نيل المرام
NAYLOUL MARAM
WAKEUR MAME KHALIFA NIASS

الخليفة الحاج محمد انياس

صاحب البصمات لراسخة والكرامات الخالدة

الشيخ محمد الهادي
بن الحاج أحمد نياس

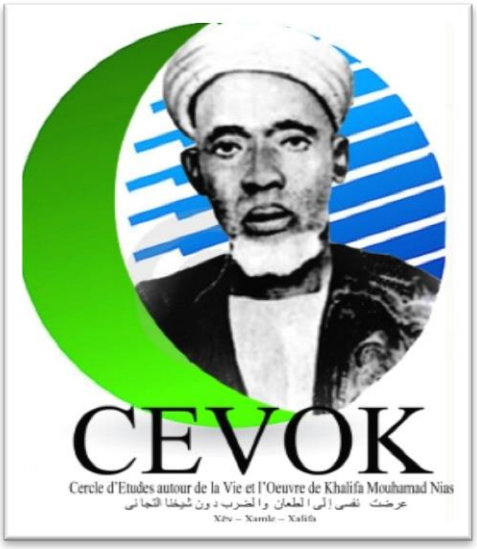

Cercle d'Etudes autour de la Vie et l'Œuvre de Khalifa Mouhamad Niass

C.E.V.O.K

Xëy – Xamlé - Xalifa

عرضت نفسي إلى الطعان والضرب دون شيخنا التجاني

Vous présente

الخليفة الحاج محمد انياس
صاحة البصمات لراسخة
والكرامات الخالدة

***

الشيخ محمد الهادي بن الحاج أحمد نياس

***

www.NayloulMaram.com

الحاج محمد الخليفة نياس

صاحب
البصمات الراسخة
والكرامات الخالدة

الشيخ محمد الهادي
بن الحاج أحمد نياس
الواعظ في قناة والفجر

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى: 1435 هـ - 2014 م

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

- ***روح من أعظم الله لي الإنعام والإكرام بسبب كوني ولده، -والولد من كسب أبيه- وهو من كان ولي الله في أرضه بتعبده وتنسكه، وصفيه على عباده بجمال خَلقه وجلال خُلقه، وسعة علمه، وكمال عقله؛ السيد الحاج أحمد انياس -رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فصيح جناته، وأقر عينه بهذا الإهداء من نجله؛***
- ***إلى حضرة من هو في كل شيء مساندي ومقوي ساعدي، ووالدي بعد والدي: سيدي محمد الأمين انياس، الذي نصبه الله ملهما للأجيال، ومعلما للرجال في مجال الصحافة والإعلام وجلائل الأعمال، وفي كل مجال يستدعي الجهاد والنضال.***

• ابنكما الفخور بكما – محمد الهادي انياس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله البر الرؤوف الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تتحقق الأماني، وبتيسيره ينجح العاملون ويفوز المخلصون. ثم الصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق من كنوز الخير والخاتم لما سبق من الهداية الربانية للبشرية الذي نصر الحق بالحق فانتصر وواجه الباطل بسلاح الحق فانهزم، وبعد.

نعيش اليوم في زمان أهله بحاجة ماسة إلى مرجعية يتخذونها وسيلة لمواجهة المعضلات اليومية التي يلاقونها والتحديات التي تأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وشمائلهم. وقد أنعم الله علينا في السنغال برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأصبحوا منارات الهدى جيلا بعد جيل. ومن أبرز هؤلاء الرجال العظام **الحاج محمد خليفة نياس** بن الحاج عبد الله الكولخي.

وقد جاء هذا الكتاب :(**الحاج محمد الخليفة نياس صاحب البصمات الراسخة والكرامات الخالدة"**) ليكون مساهمة يسيرة في إبراز جانب يسير من شخصيته التي تعددت جوانبها وتشعبت خصائصها.

وقد بدأت هذا العمل العلمي على شكل مشاركة في ورشة عمل دولية نظمتها في دكار مؤسسة وارك (WARC) في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2009. ونظرا لكثرة الإخوة والسادة العلماء الذين طلبوا مني توسيع هذا البحث على شكل كتاب، قمت بهذه المبادرة عسى أن يتخذها الباحثون منطلقا لإبراز مناقب الحاج محمد الخليفة نياس ذلك البحر الفياض.

هذا وقد بدأت هذه الدراسة بالتعريف بالشيخ محمد الخليفة مولدا ونشأة، كما تناولت لمحات عن أجداده، وتحدثت عن مراحل تعليمه، و تطرقت إلى مؤلفاته شعرا

ونثرا والأعلام الذين تربوا في كنفه، وخلافته لوالده البار الحاج عبد الله نياس، وذريته الطيبة، ورحلته الأولى إلى فاس، ورحلته لأداء فريضة الحج، ثم رحلته الثانية إلى فاس، وبعض رحلاته داخل البلاد، وكذلك علاقاته بعلماء عصره. كما تطرقت إلى الحاج الخليفة نياس في عيون أهل الدراية والولاية من معاصريه وغيرهم، و ذكرت بعض كراماته وكيفية انتقاله إلى الرفيق الأعلى وخلفائه من بعده، وختمت البحث بخلاصة يسيرة وتوصيات وملحقات تعين القارئ على فهم المقصود.

هذا، وبالله التوفيق والسداد وهو المعين القدير.

الحاج محمد الخليفة نياس

ولد العالم العلامة، فريد عصره، وأعجوبة دهره، ذو المواهب اللدنية علما ونورا وصلاحا وإصلاحا الشيخ الخليفة الحاج محمد نياس المشهور **بمام خليفة نياس** يوم الجمعة 2 من رمضان سنة 1298 هـ الموافق 29 يوليو عام 1881 في قرية يقال لها **سيلك**، بالقرب من مدينة ندوفان، في إقليم كولخ.

ومن أعجب ما نلاحظ في تاريخ ميلاده – وهو عام 1298 هـ كما أسلفنا- **أنه يوافق عبارة (القرآن دستوره)**. وكانت بلاد السنغال في هذه الآونة تعاني من سيطرة الاستعمار الفرنسي الذي كان يريد أن يستلب الدين الإسلامي من المواطنين كما يفعل الغراب بفريسته، وذلك إلى جانب تفشي العادات الضارة والمنافية لتعاليم الإسلام، مما كان يحتاج إلى مجدد ومصلح يعيد المياه إلى مجاريها الطبيعية.

والشيخ الخليفة من أبوين شريفين مشهورين بالتدين والإخلاص. فوالده هو الشيخ الحاج عبد الله نياس بن محمد بن مدمب بن أبي بكر (المعروف ببكر) بن الأمين بن ساتيورو بن مصب جيلا بن الملك رضى العربي الذي قدم من جبال الأخضر في ليبيا حيث تزوج حين وصل إلى جلف بالسيدة الكريمة جيلا نياس، وينتسب هو إلى عقبة بن نافع القرشي. وقد كان والد الحاج محمد الخليفة نياس عالما ورعا جمع بين ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة، وحسبنا وصفا لشخصية الحاج عبد الله نياس هذه الخصال الأربعة التي اجتمعت فيه:

1. **الحاج عبد الله نياس ذلك المفسر لكتاب الله :** فسر الحاج عبد الله نياس القرآن الكريم بأكمله لأولاده وأتباعه مائة وأربع عشرة مرة(114 مرة)، عدد سور القرآن الكريم، ولا تكاد ترى من فعل ذلك في القديم أو الحديث ولو كان حريصا كل الحرص.

2. **الحاج عبد الله نياس ذلك المجاهد:** رفع علم الجهاد لنصرة ونشر الإسلام في وقت كان الاستعمار قد تمكن من السيطرة على البلاد، وإرهاب دعاة الإصلاح. وقد فعل ذلك برفقة الزعيم الديني والمجاهد المشهور الإمام **مبه جخ باه** في عدة معارك جهادية من أشهرها "**معركة صمبو**" و"معركة باط باجان". وفي هذا الوقت كان الشيخ الحاج عبد الله نياس شابا قويا شجاعا كأسد الغابة فكان من حملة لواء الجهاد، كما كان يفسر القرآن الكريم للجنود في ساحة الحرب. ومن جملتهم: سعيد مبه جخ باه والإمام إلمان ندر به وسليمان باه وغيرهم من الجنود.

ولله در العالم العلامة الشيخ امباكي بصو ابن خال الشيخ أحمد بامبا امباكي حين قال:

من للشريعة والمدارس والمنا بر و المعارف بعد والأقلام
أو من لحل المشكلات إذا ونت أفكار كل مدقق مفهام
ما ليث غيل مثل عبد الله في يوم الحروب الباسل المقدام

3. **الحاج عبد الله نياس يحج في وقت مبكر 1308هـ :** أدى الحاج عبد الله نياس فريضة الحج وهو شاب خلاف ما جرت العادة عليه في بلادنا، حيث كان الإنسان لا يحج إلا إذا كبر سنه واشتعل رأسه شيبا. وفي حجه هذا يقول ابنه الأشهر وخليفته الأكبر، الخليفة الحاج محمد نياس:

من حج لله بيت الله محتسبا وزار في طيبة خير البريات

4. **الشيخ الحاج عبد الله نياس من أوائل الشيوخ السنغاليين الذين زاروا ضريح الشيخ أحمد التجاني الشريف.** وقد التقى في هذه الزيارة كبار أهل الطريقة أمثال الشيخ **سكيرج والسيد عربي محيي الدين.** وهناك نال من أسرار الطريقة ما لا يسع المقام لذكره. وفي هذه الزيارة أيضا قدم له الشيخ سكيرج أحرفا ليست كالأحرف المعروفة ولا المنسوخة في القراطيس ولا هي تقرأ بالعين ليعطيها للشيخ الحاج مالك سي، ذلك الولي الكامل والبحر الفياض. وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن علاقات الشيخ محمد الخليفة.

وجملة القول، أن الشيخ الحاج عبد الله نياس كان بحر بركة لا ساحل له، ومنهل منفعة، ومنطلق سعادة، وقبلة الإخلاص، ومنبع العلوم العقلية والنقلية، وقد ألف كتبا في شتى الفنون وكون جمعا غفيرا من العلماء والأولياء ورجالات الدين والسياسة على حد سواء، أولئك الذين حملوا راية الدين بأيمانهم وراية الدنيا بشمائلهم.

ولله در خليفته الأكبر ووارث سره الساري في الأنام الخليفة الحاج محمد نياس حيث قال:

فـــوردت هـــذا الـــورد عـــذبا مـــاؤه مـــن والـــدي شـــيخي الهمـــام وجـــاء
قطـــب الزمـــان خليفـــة عـــن شـــيخه بعلومـــــــه وبزهـــــــده وصـــــــفاء
محـــى الطريقـــة والحقيقـــة علمـــه بعـــد انـــدراس معـــالم الكرمـــاء
عبـــد الإلـــه مـــؤملا لرضـــائه معطـــي الرجـــاء وكاشـــف الضـــراء
ســـعدت بـــه الأجـــداد والآبـــاء والآ بنـــاء والأحبـــاب كالغربـــاء
مـــا مـــن ولـــي فـــي الزمـــان ولـــو عـــلا إلا عـــلاه برتبـــة وســـناء ([1])

وهذه القصيدة جامعة مانعة في وصف القرم الهمام الحاج عبد الله نياس قدوة الأنام. ارجع البصر كرتين إلى أولاده الذين هم شعلة من الهدى والصلاح والإصلاح أو انظر إلى الأعلام الذين كونهم وسقاهم من كأس المحبة والهدى.

ولله در ولده الأغر الحاج إبراهيم نياس الذي حصر هذه السلسلة الذهبية من أولاده الكرام وأتباعه البررة حين قال:

مـــن قـــاس والـــدا بـــه بوالـــدي أيـــن فـــروع كفـــروع الوالـــدي
مـــن كالخليفـــة الـــذي تعلمـــا منـــه ومنـــه قـــد حـــوى التقـــدما
أي نجلـــه الكبيـــر بحـــر العلـــم وفـــاق فـــي الصـــغر كـــل القـــوم
رد عـــن شـــيخي علـــى الفحـــول وصـــير العـــالم كـــالجهول

([1])ديوان الكبريت الاحمر في مدائح القطب الأكبر للخليفة الحاج محمد نياس الكولخي. وعليه شرح الشيخ محمد بن محمد المختار الشريف الحسني العلوي. الصفحة 22.

لـــــه توالـــــف لـــــه أشـــــعار رائقـــــة لنـــــا بهـــــا افتخـــــار
ومـــــن كصـــــنوه محمـــــد الـــــذي قـــد فـــاق فـــي العلـــوم كـــل جهبـــذي
زيـــن المجـــالس فتـــى الفتيـــان بـــل إنـــه مبـــرر الأقـــران
ومـــن يســـمى الشـــيخ أعنـــي عمـــرا فـــي الفقـــه والنحـــو صـــغيرا بهـــرا
ومـــن كبكـــر فـــي شـــأن المعرفـــة بســـر ســـر الشـــيخ صـــار معرفـــه
ومـــن كـــأبي بكـــر هـــو الإمـــام مـــن جـــده بـــه اقتـــدى الأعـــلام
والغيـــر مـــن هـــاد ومـــن محمـــود ومـــن معـــاذ للهـــدى مقصـــود
ومـــن يخـــرج مـــن الأعـــلام كهـــؤلاء قـــادة الأنـــام[1]

وواصل الحاج إبراهيم بعد وصف الأولاد ذاكرا بعض رجال الدين الذين استمدوا من فيوضات الحاج عبد الله نياس الربانية وشربوا من منهله حتى ارتووا. ولاشك في أن قدر المتبوع ينجلى بمعرفة التابع.

وكل واحد من هؤلاء المقدمين كنز يشار إليه بالبنان في الرتبة والولاية، وكل يستحق أن يؤلف عنه كتب ودواوين.

واسمع الحاج إبراهيم وهو يذكرهم:

فمـــن كعبـــد القـــادر المقـــدم ومـــن كمختـــار الســـري المعظـــم
ومـــن كأحمـــد البكـــار والحســـن أبـــي علـــي مـــن يقـــود بالرســـن
ومـــن كمـــود ســـام والحبيـــب ومـــن كعثمـــان الســـري حبيبـــي
ومـــن كمثـــل الشـــيخ ذاك عمـــر بـــبطش ووجـــه ذاك قمـــر
ومـــن كمثـــل نجـــل دمـــب القاضـــي مـــن حكمـــه عنـــد الخصـــام ماضـــي
ومـــن كـــأبي بكـــر رجـــل ومـــن كمثـــل إبـــراهيم مـــن أهـــل الـــزمن
وغيـــر ذاك مـــن رجـــال ســـالم ذروة نهـــج الخـــتم نجـــل ســـالم
وغيـــرهم مـــن أهـــل كـــل بلـــد لـــم ينكـــرن تقديمـــه مـــن أحـــد

([1]) ورقات كتبها الشيخ الحاج إبراهيم نياس الكولخي عن والد ه الحاج عبد الله وتلاها على الحاضرين وذلك من باب (وأما بنعمة ربك فحدث) . الصفحة 6.

وكان قصد الحاج عبد الله نياس في زيارته تلك ملاقاة صاحب الضريح الشيخ أحمد التجاني زعيم الأولياء وقائدهم فنال ذاك يقظانا كما بينه ابنه صاحب القلم الذهبي الحاج محمد الخليفة نياس:

وزار شـــيخي فـــي فـــاس علـــى كبـــر لكـــــن يحركـــــه حـــــب الملاقـــــات
فنـــــال ذلـــــك يقظانـــــا وصـــــافحه بحـــــر المعـــــارف ينبـــوع الكرامـــات

وقال في موضع آخر بيتين عجيبين شكلا ومضمونا بحيث لم يلتصق أي حرف منها بحرف آخر وهذا نادر في اللغة العربية:

زار زوري وازداد ودا ووردا وروى إذ رآه درا ووردا
ووداد آل دواء وزاد رب وارزق وارأب ودا ووردا([1])

وفي انفصال أحرف هذين البيتين ما يشير إلى تعدد المراحل والمعضلات التي خاضها الشيخ في سفره هذا حيث لقي منه نصبا وصعوبات، وكابد التحديات رجاء الوصول إلى ضريح حبيبه الحميم، وبذالك غلبت محبته عناءه فأصبح عناؤه راحة.

([1]) ديوان الكبريت الاحمر في مدائح القطب الأكبر.الصفحة

مولد الحاج عبد الله نياس

ولد الحاج عبد الله نياس ذلك القطب الأكبر الكبريت الأحمر يوم الاثنين 3 من ذي القعدة سنة 1264 هـ الموافق 1848م([1]) في قرية يقال لها "بيل" إحدى قرى منطقة جُلُف وهي في وسط سنغال ومتجر العرب الشناقطة متاخمة لحدود أرضهم، فلما تضلع من علمي الشريعة والحقيقة وصار صيته في الخافقين، زاحم في الأفلاك النيرين أعمل العرب إليه بيعملاتهم الرواسم واجتازوا إليه كل صحصح طاسم، وجعلوه كعبة آمالهم ومحيط أقطابهم ورحالهم فطوقوه وطوقوا بناءه السادة من درر قرائحهم أي قلادة بعد ما سبروهم، فألفوهم بحارا لا تكدرها الرواد ولا تنزح بغرق الدلى منها الأمداد، ولهم قرائح سيالة تنبئ عن طيب عنصرهم وتأصل مفخرهم واتصالهم بجرثومة العرب السواس فإن العرق دساس.

ولله در الشاعر القائل:

أبنـــاء أنـــيس قـــد دلـــت شـــمائلهم بـــأن عنصـــرهم ينمـــى إلـــى العـــرب ([2])

كما وصف الكاتب المؤرخ الكبير محمد بن عبد الله بن سيد بن محمد الصغير التيشيتي في كتابه "مطرب السامعين والناظرين في مناقب الشيخ الحاج عبد الله نياس) هذه المنطقة " فقال :"أرض جلف معروفة بالديانة، ومحفوظة بالعناية، موصوفة أهلها بالفضل، مشهورة ساداتها بالعدل".

وقلت ولا غرو في ذلك لأن كلمة "جلف" تعادل 113 عدد سور القرآن في بعض الاعتبارات. وقد ذكرنا أن الحاج عبد الله نياس فسر القرآن مرات تعادل سور القرآن أي 113.

([1]) قلت وهذا عام موت شيخنا بدي سيدي حسان الطريقة.

([2]) هكذا وصفه العالم العلامة الصوفي الفقيه المحدث محمد بن محمد المختار الشريف الحسني العلوي التجاني المالكي التقي العارف بالله في شرحه لديوان الكبريت الأحمر الصفحة 22.

وقد ذكر المؤرخون أن هذه المنطقة لم ترفع على أرضها كنيسة وهي تموج بالمساجد والجوامع ودور العلم وآثار أولياء الله أمثال الشيخ عمر الفوتي، والشيخ الحاج مالك سي، والشيخ أحمد بامبا امباكي، والشيخ الحاج عبد الله نياس عليهم رضوان الله.

وقد جاء الحاج عبد الله نياس بين هؤلاء وسطا فالشيخ عمر الفوتي أكبر منه بأكثر من خمسين عاما لأنه ولد عام "بشير" 1212 هـ كما في روض الشمائل، كما ذهب بعضهم إلى أنه ولد عام "هج بشر" 1210هـ. ([1])

والشيخ الحاج عبد الله نياس أكبر سنا من الشيخ أحمد بامبا بستة أعوام لأنه ولد عام "شرع" كما ذكره الشيخ محمد الأمين جوب دغنا في كتابه المشهور "**إرواء النديم في عذب حب الخديم**" حيث أورد بيت شعر من قول الشيخ الحاج حامد بن عثمان الفوتي التلري وقال:

وقد ولد الخديم من قد شرعا شريعة المختار عام شرعا
ثم مضى لربه عام شموش وعمره عين ودال كالشموش
وقيل إن عمره مئال نلت المنى وسرك المئال
ليلة الأربعاء في المحرم من بعد عشرين مضت فلتعلم([2])

والشيخ الحاج عبد الله نياس أكبر سنا كذلك من الشيخ الحاج مالك سي بعدة سنوات، لأنه ولد عام 1853 م. وقد ذكر ذلك ابنه البار وخليفته الأعظم مولاي الحاج عبد العزيز الدباغ في كتابه(**أوضح المسالك في التعريف بحياة ومناقب الشيخ الحاج مالك**)([3])".

([1]) كتاب الجواهر والدرر في سيرة الشيخ حاج عمر رضي الله عنه. تأليف الشيخ محمد منتقى أحمد تال. الصفحة 17- 18 دار البراق للنشر والتوزيع بيروت.طبع سنة 2005م.
([2]) كتاب إرواء النديم في عذب حب الخديم. الشيخ محمد الأمين جوب. الصفحة 12.
([3]) كتاب أوضح المسالك في التعريف بحياة ومناقب الشيخ الحاج مالك للشيخ عبد العزيز الدباغ الصفحة 17.

و كان الحاج عبد الله نياس متبحرا في كافة ميادين العلم والمعرفة وقد درس أكثر الفنون العلمية بدون معلم مما يدل على نبوغه الفريد بل كان يدرس الطلاب وأولاده من غير النظر إلى النصوص في الكتب.

أما مؤلفات هذا الحبر العظيم والشيخ الجليل، فبالرغم من علمه الواسع وتأثيره القوي على أولاده وطلابه كما أسلفنا، فإننا لم نعثر سوى عدد قليل من كتبه أشهرها:

1- كتابه في الطب التقليدي.
2- الأجوبة المفحمة في الصدقة للميت.
3- ومطهر القلوب ومبين الهداية من العطية.
4- والدلائل المحكمة.
5- والبر الأبر في التعريف ببني بكر.
6- والنصيحة والإرشاد.
7- وتنبيه الناس على شقاوة ناقضي بيعة أبي العباس.

وقد قرظ كتابه هذا ولده ووارث سره الحاج محمد الخليفة نياس فقال:

ولقد هزمت عساكرا ملمد عي ... ن بضرب غضب باتر للسمد
ومفرق جمع اغترار عضبه ... عضب البراهن واضحات المقصد
طلب البراز كماة كل كتيبة ... ودروعهم بنصوص كل المعكد
فتقهقروا لمسائل كصوارم ... ويصول صولة ضيغم ذي لبد
بيمينه زرق النصال دلائلا ... يردي بها من عارض للصندد
وهبت له قبل الزوال رياح نص ... ر هيجت خفقان قلب الأقمد
أفنى جيوش المدعين فلن ترى ... غير الشقي إن لم يتب ومجدد
حجج تضي كبروق أمطار الدجى ... يهدي المريد ولا المريد أخا الرد
لو لم يكونوا راغبين بوردنا ... ما بات صارم شيخنا بمجرد
متوسدا متقلدا متجردا ... بجواده وبسيفه ومؤيد
طعن الملا العاملين جداولا ... برماحه في كف أبصر أيد

إن كـــان منتســـبا بنـــا بطريـــق شـــي ... خ قطـــب أقطـــاب البرايـــا الصـــمد
تمنـــى جميـــع الأوليـــا بمقامـــه ... لكنمـــا نـــالوا بـــه فبأحمـــد
طلبـــوا لقطبانيـــة عظمـــى التـــي ... بـــيض الأنـــوق علـــى ذوانيـــق بـــد
بتوحـــد وتعبـــد وتجـــول ... وتوســـل وتوقـــع وتهجـــد
صـــدروا بـــلا علـــم بهـــا ولربهـــا ... ظفـــر الـــولي بنيلهـــا المتفـــرد
أســـتاذنا وملاذنـــا لا غيـــره ... قـــد نالهـــا مـــن جـــده بمحمـــد
هـــو خـــاتم للأوليـــاء ممـــدهم ... لـــولاه مـــا نـــالوا مـــذاقا مصـــعد
وضـــع الكتـــاب خليفـــة خلفـــاءه ... شـــمس الهـــدى بحـــر النـــدى للمجتـــد
قطـــب الرحـــى بـــوم الضـــحى الحـــاج عـــب ... د اللـــه راضـــخ كـــل مـــا مســـترفد
وكتابـــه درر الطريقـــة قـــد حـــوى ... فالصـــيد فـــي جـــوف الفـــرى للمهتـــد
و ختامـــه مســـك بوصـــف خريـــدة ... ورحيقـــه مختومـــه فلتحمـــد

اللهم صل عل سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

وغير ها من الكتب والإجازات العلمية الرفيعة التي حصل عليها من مراكز العلوم والمعرفة في العالم العربي. من ذلك إجازته في علم التفسير والحديث، حصل عليها من جامعة الأزهر الشريف. لكن ذلك كله فُقدَ بسبب كثرة تنقلاته بين السنغال وغامبيا والتي كان السبب فيها مضايقات المستعمر الفرنسي المتكررة به.

أما أشعاره فقد عثر منها على القصيدة التالية وهي أشهرها و يقول فيها:

يا شيخنا أحمد التجاني يا أملي ... يا خير من ورث النبي ملجانا
يا قطب يا غوث يا غيث الأنام معا ... فلتسقين عبدك الذليل مولانا
يا حب سيدنا تابعه أبدا ... فدل عبدا جهولا صار حيرانا
يا كاشف الكرب فلتكشف له الكربا ... أفض عليه أيا مفيض فيضانا
يا من له المن والمنع كما ظهرا ... يا بحر كل ولي فاق أقرانا
يا برزخا خاتما إمام من حشروا ... من الأكابر والأقطاب التجانا
لولاك ما ذاقت الأقطاب معرفة ... وغيرهم مسجلا منكره مانا
وأنت أعلمهم بالله أكثرهم ... خوفا له ذا الولي فاز من دانا
حمدت ربي إذا ما كنت تابعه ... ياويح مبغض من سموكه كانا
يا من له شرف الطين والدين نعم ... وشرف العلم يا محسن ماوانا
يا وارث الحب والخل بلا فند ... فلتكشف الحجب ياأبى أزمانا
هذ هدايتنا فخذ إليك بها ... ثم إلى حبنا حبيب مولانا
وطهر القلب والجسم أيا قمر ... ياحاضرا سامعا بالمن منانا
اسمع إلهي يا مولاي يا صمد ... دعاء عبد حزين صار هيمانا
بجاه سيدنا وجده أجبن ... فسرعة سرعة الرحمن رحمانا
صل وسلم على شفيعنا أبدا ... يا معطي الفضل أهل الفضل حنانا

وسأختتم كلامي عن الشيخ الحاج عبد الله نياس ذلك البحر المحيط الذي لا تحصى محاسنه بثلاث قصائد قيل فيه رضي الله عنه.

فالقصيدة الأولى للعالم العلامة والبحر الفهامة الحاج تفسير مصطفى تيام الفوتوي الطيبوي أحد من تعلموا على يد الشيخ الحاج عبد الله نياس وارتووا من منهل فيضه الفياض يقول فيها:

يـــــا طالـــــب العلـــــم والآداب أيهمـــــا
فاقصـــــد لنحـــــو همـــــام نلـــــت مشـــــتغلا

بهمـــــه لـــــين مصـــــعوب الخطـــــوب كـــــذا
وكـــــل شـــــأس وشـــــرس صـــــار منعـــــزلا
فنحلـــــــه ثـــــــروة لكـــــــل مفتقـــــــر
وكـــــــل ذي عـــــــدم وقـــــــال مـــــــرتجلا
ورب مســـــــــتعطف وفـــــــاه ذي فـــــــزح
قـــــد آب ذا فـــــرح مـــــن بعـــــد مـــــا وجـــــلا
ورب ملتـــــــــبس بالجهـــــــل محتقـــــــرا
مـــــن بالعبـــــادة حقـــــا كـــــان قـــــد كســـــلا
فـــــــدام مقتفيـــــــا بالفعـــــــل مقتبســـــــا
بعلمـــــه قاصـــــرا عـــــن كـــــل مـــــا حظـــــلا
حتـــــى يـــــرى البـــــذل مبســـــوطا بـــــلا كـــــدر
وكـــــل علـــــم وديـــــن طاعـــــة ســـــهلا
لـــــذ بالســـــريّ الـــــذي لـــــو كنـــــت ذا ظمـــــإ
مـــــن بحـــــره صـــــرت ذا ري بـــــه شـــــملا
بـــــه انجـــــلاء غطـــــاء فالبصـــــيرة هـــــا
حتـــــى تظـــــن هـــــلالا كـــــان مشـــــتعلا
لـــــذاك شـــــمر ولا تنفـــــك منحرمـــــا
بـــــه ومكتفيـــــا فتبلـــــغ الأمـــــلا
بـــــه اشـــــتكيت ضـــــرام القلـــــب ذا وجـــــل
فأبـــــت مستصـــــحبا بالبشـــــر مـــــا عـــــذلا
هـــــو الهمـــــام الـــــذي كـــــل الزمـــــان
يأتيـــــك ذا قـــــدم فـــــي الـــــدين ممتـــــثلا
بـــــأن ورســـــم ديـــــن نبـــــي اللـــــه جـــــدده
مـــــن بعـــــد محـــــو دروس راق وانفضـــــلا
روحـــــي وجســـــمي وقلبـــــي قـــــل محبتـــــه
وزد مجالســـــة توليـــــك مـــــا كمـــــلا

هـــو الـــزعيم الـــذي حـــل الزمـــان بـــه
ســـمطا مـــن المجـــد منظومـــا فهـــا عطـــلا
أعنـــي الجســـيني مـــن نـــال الخلافـــة مـــن
بحـــر البحـــور جميعـــا نعـــم مـــتكلا
شـــيخي مـــلاذي ورفـــدي ملجـــإي ســـندي
عبـــد اللـــه لـــه الـــذي بالـــدين قـــد وكـــلا
شـــيخ مـــرب مـــرق معلـــم فحـــوى
أعلـــى المراتـــب جمعـــا لاتقـــل هـــزلا
ورب شـــيخ خضـــم هـــب مســـتكنا
إليـــه مفتتحـــا مـــا كـــان قـــد قفـــلا
مـــن الشـــوارد فقهـــا والحـــديث وقـــل
نحـــوا عروضـــا بيانـــا بـــان مـــا خطـــلا
يـــا رب فافعـــل زمـــامي ملحقـــا بيـــده
وعـــاجلا آجـــلا بـــه ومكتـــبلا
بالمصـــطفى المجتبـــى المختـــار خالقنـــا
أجـــب دعـــائي ذا لـــو كـــان قـــد عضـــلا
لـــه الســـلائل قـــاموا باقتفـــا الأثـــر
الشـــيخ معتبـــرين كـــل مـــا شـــكلا
أبنـــاء شـــيخي شـــموس إذ ســـرت بهـــم
مـــا للخليفـــة إرثـــا نعـــم مـــا بـــذلا
إذ هـــم أدلتنـــا فـــي كـــل مشـــكلة
فـــي كـــل فـــزع حبـــوا لكلنـــا جـــذلا
لازال يفـــرح قلبـــي إذ أجالســـهم
وإذ أحـــادثهم يـــا طيـــب ذا وعـــلا
هـــم البـــدور إذا مـــا ليلـــة دهمـــت
لازال حيـــرى بهـــم صـــحوا وقـــد خـــبلا

مـــــــنهم فقيـــــــه ومـــــــنهم مـــــــتقن لعلـــــــو
م حـــــــافظ قـــــــارئ وذاك قـــــــد قـــــــبلا
مـــــــنهم بليـــــــغ فصـــــــيح منشـــــــد فحـــــــوى
علمـــــــا ودينـــــــا وتأديبـــــــا فـــــــذاك جـــــــلا
يـــــــا ذا التعـــــــدد مـــــــن أبنـــــــاء ســـــــيدنا
فضـــــــلا وعلمـــــــا ودينـــــــا ذاك مـــــــا مـــــــثلا
ثـــــــم الصـــــــلاة علـــــــى المختـــــــار ســـــــيدنا
مـــــــا جـــــــنّ ليـــــــل وكـــــــان الـــــــدين قـــــــد جمـــــــلا
والآل والصـــــــحب ثـــــــم المقتـــــــدين فهـــــــم
نـــــــالوا الســـــــعادة حقـــــــا مجـــــــدهم كمـــــــلا
ومـــــــن يؤيـــــــد ديـــــــن اللـــــــه بعـــــــدهم
وكـــــــان مجتهـــــــدا بـــــــه ومعتـــــــدلا

والقصيدة الثانية للقطب الأكبر والكبريت الأحمر السيد التيجاني بن باب بن أحمد بيب أخو ناظم منية المريد ومسمى به بعد وفاة صاحب المنية مادحا بها السيد الحاج عبد الله قائلا:

أما بعد. فيقول كاتب هذه الحروف المرسومة يمدح من أخلاقه عند الناس معلومة، من ظفر بالعلوم الظاهرة والمكتومة الذي تمهر في علوم القرآن وأحكام التجويد، وبلغ الغاية في السيرة والحديث والتوحيد، وباعه في الفقه والنحو واللغة بعيد، وكلامه في الأصول والبيان والمنطق سديد، وعلم الحقيقة فيه لا يبارى، وفي ميدانه لا يجارى. أعني شيخ الإسلام ومصباح الظلام، الإمام الشهير والشيخ الكبير الحاج عبد الله.

على الشيخ أنوار المعارف تزهر ورؤية ما يعطى من المال تبهر
فما في الورى بعد النبي محمد وبعد الذي قد ما به نحن نفخر
كعبد الإله الحاج من هو حاجنا ومن علمه عنه المشايخ أقصروا
فما للورى تلفى مدى الدهر منية ولا بغية إلا لها الشيخ مصدر
وكادت على أبوابه كل ساعة للأخرى وللدنيا الخلائق و تحشر
على بابه بيض الأنام وسودها وعن بابه ما حاد من هو أحمر
وبالباب لا بواب يخشى ويتقى ولا زاجر عنه يرد وينهر
إليه سعى الآفاق حتى كأنه على كفه رزق الأنام مقدر
وما دامت الزوار ساحة بابه لهم كل ما شاؤوا طعام وسكر
وكل بما يبغي تراه يخصه فما منهم إلا لديه مكبر
فبين الذي يسعى بإصلاح قلبه وبين الذي بالمال فورا يسير
لئن كف عن لمس البرية كفه بها لهم تطوى الثياب وتنشر
وتجري على الأعيان يمينه لكلهم منها عيون تفجر
ترى بعضهم يعطي المئين تفضلا وبعض له منها الألوف تقرر
ولم يبق بعد العين عنهم عروضه فما عنده للسائلين مصير
فيعطي الجمال البدل بعضا وبعضهم له الخيل والبيقور تهدى وتذكر
لك اليوم يعطي بعد أمس وفي غد و في كلما منه الندى يتكرر
ويزداد ما أعطاك يوما وغيره جداه إذا ما ظل يعطيك أبتر
تطاول عن سير المشايخ سره فعن كل ما حاز الأجلاء أدبروا
له خلق لم تحك سيرا وسيرة ومن فاته أدراك ما نال يعزر
وما فيه أرسلت العنان لأنه مآثره بالنظم لم تك تحصر
فلا الشعراء الدهر تكمل مدحه ولوبالغوا فيما وشوه وأكثروا
أيا سيد السادات أنت إمامنا وأنت الذي من رام ما رمت يعثر
فكم أقبلت قوم تؤمك للندى وكم للندى ناخت ببابك ضمر

وكم ذهبت يوما عفاتك بالذي أحبوا وإن عنك الحقيقة أضمروا
نهتني عن سيري إليكم أحبتي وعابوا على السير جدا وأنكروا
تأخر هذا السير قالوا ولا تسر فقلت لهم إن الكرم تأخروا
وسير إلى باب الكريم مبلغ به في العلى عزينا ومفخرا
وإنى إذا ما جئت يوما بلاده ووافيته في (كوس) كسريّ يجبر
هو الجنة العلياء في هذه الدنا فما فوقه إلا الكمال المؤخر
لما لقيت الإمام الحاج ممتطيا نجب العلى بذوي الأسفار والحضر
وفيه أبصرت ما قد كنت أسمعه من أن سيرته من أحسن السير
ذكرت بيتي مجيد قد أجادهما في مدحه قيل ذا من بالمديح حر
كانت محادثة الركبان تخبرنا عن أحمد بن فلاح أحسن الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت إذني بأحسن مما قد ردا نصري

أما القصيدة الثالثة فهي للعلامة محضن بابه بن محمود بن الشيخ محضن بابا فتح الله له وأحبابه من كل خير بابه. قالها في الشيخ الحاج عبد الله نياس:

لقد جئت من بعد المزار أزوركم وجبت بلادا لا تقرب بيدها
فكن لي زعيما بالسعادة والمنى فأبناء هذا العصر أنت فريدها
وخضت بحور العلم شيخا ويافعا وحظك منها كامل ومديدها
وقد نلت من بين المشايخ رتبه تقاص عن ميدائها من يريدها
وكنت دليلا في طريقة شيخنا وتهدي إليها إن أتاك من يريدها
وأحييت منها اليوم ما كان دارسا ألا حبذا أخلاقها وجديدها
فقل لي كما قال الكريم لضيفه فإني غريب في الديار بعيدها
فإن شئت أتيناك في الحي مكرما وإن شئت بلغناك أرضا تريدها

وأما والدة الحاج الخليفة محمد الكريمة الطائعة الشريفة السيدة آمنة آية في الوفاء والإخلاص فكانت عابدة لربها مطيعة لزوجها حريصة على العلم والعمل به وكانت تقضي نهارها بالصيام وتسهر ليلها بالقيام ذات أخلاق حميدة ومناقب لا تدانيها مناقب، اجتمعت فيها خصال الشرف التي تنال المرأة بها الجنة كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم "إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها"([1]). فكانت بلدا طيبا يخرج نباته بإذن ربها فهي بنت العالم العلامة والفهامة الدراكة، منبع الخير والصلاح، الشيخ إبراهيم كلل خال الشيخ الحاج عبد الله نياس.

وكان الشيخ إبراهيم كلل، هذا رئيس أركان الحرب في جيوش الشيخ مبه جخ باه المجاهد الكبير، كما ذكر ذلك الباحث محمد جوف في كتابه "أعلام الهدى في غرب إفريقيا" وهو من الخمسة الذين جاء بهم الشيخ مبجخ باه من جلف إلى سالوم للجهاد بالسنغال، وهم : مامور مام أنت صل امباكي، والفقيه مختار بند سي الأخ الكبير لسيدي عثمان سي والد سيدي الحاج مالك سي، ولامين ساخو والد مام عمر ساخو والإمام سرج صمب تكلور.

وآمنة هذه حفيدة الشيخ عمر الفوتي تال فهي آمنة تيام بنت إبراهيم تيام كلل بن صمب تيام بن علي تيام بن ألفا تيام بن مصمب تيام. وتجد أن عمر الفوتي تال ولد لسعيد تال ابن فاطمة تيام بن ألفا تيام. وإلى هذا الجد تلتقي آمنة بالشيخ عمر الفوتي فهي حفيدة له.

ومن جهة الجد نجد أن الشيخ عمر الفوتي تال هذا ابن آدم تيام بنت عائشة تيام بنت الإمام تيام بن سر تيام بن ألفا تيام.

([1]) رواه أحمد والطبراني في الاوسط عن عبدالرحمن بن عوف.

وبهذا فإن السيدة آمنة تلتقي بالشيخ عمر الفوتي تال مرتين عند الجد ألفا تيام. وحسبها فخرا ومكانة أنها حفيدة الشيخ عمر الفوتي تال. ذلك المجاهد الهمام الذي كان يقول اسمي رمز "لعمري" فالعين في حساب الجمل 70 وقد عاش 70 عاما، الميم 40 وقد غزا 40 غزوة والراء : 200، وقد حفظ 200 كتبا كما ألف مثل ذلك أو أكثر.

وقد أبدع الشيخ محمد الخليفة نياس في مدحه حين قال:

شـــــيخ ذوي الفـــــتح حســـــام الـــــدين
مـــــن لايهـــــاب حـــــد الحســـــام
عمـــــر الفـــــوتي المزيـــــل لكفـــــر
برمـــــاح علـــــى نحـــــور اللئـــــام
فأنـــــار الـــــبلاد شـــــرقا وغربـــــا
وهـــــو فـــــي الطريـــــق بـــــدر التمـــــام([1])

كما أبدع أيضا الشيخ أحمد التجاني سي المكتوم في قصيدة رائعة جادت بها قريحته، في شيخ المشايخ ومنبع العلوم والأسرار، الشيخ عمر الفوتي. فقال:

هذا من الله تجري حوله العصر — يا أشبه الناس بالفاروق يا عمر
أوحى إليك بما في الطي من سور — حتى تمثل في أعمالك السور
رسالة من خيار ما لها شبه — وسيرة من رجال دونها السير
تسعى بها خطوات الجد في ثقة — لكل منطقة من سعيها أثر
أيدته بكرامات مخلدة — وفي الكرامات ما تجلى به الفكر
أنقذت أمتنا السوداء حين شكت — من قبضة الشك فارتاحت بك الأسر
وقدتها برضى تمشي لغايتها — وفقا لفطرتها فانقادت الفطر
لما سمعنا رجالا يذكرون به — وأفضل الشيء ما طابت به الذكر
قلنا لهم لا أقل الله زادكم — زودتمونا بما في ضمنه عبر
تلك المعارك تدعو للدفاع فلا — تدعو إلى الظلم إن الظلم يُحتقر

([1])ديوان الكبريت الأحمر الصفحة 418.

يبنون كل مساعيهم بحكمتهم على المكارم لو عزوا لو انتصروا
طافوا البلاد على خيل شمائملها تحكي شمائلهم من بينها غرر

وكفاهما فخرا أيضا أن كانا من أحفاد الشيخ محمد صمب تيام العالم العلامة الذي تعلم وتتلمذ على يديه جم غفير من العلماء الأجلاء والأولياء الكرماء أمثال الشيخ الكبير والولي الشهير مهرم امباكي جد أهالي امباكي كلهم، وسرج مختار دومبه جوب جد أهالي كوكيه، ومنهم أحمد صغير لو والولي الفاضل سرج أَمَرَنغون انداك العالم العامل، والشيخ محمد فال به غايه معلم الشيخ عمر الفوتي، والشيخ مبه بص جد أهالي بصوبه.

والشيخ مصمب تايم هذا ثمرة شجرة علم واسعة الأغصان في بلاد السنغال وغريها.

لمحات عن أجداد الشيخ

كان الخليفة الحاج محمد نياس ثمرة مباركة عرفت بالعطاء المثمر والبركات المتوالية وفيما يلي نبذة عن أجداده الكرام.

الجد الأول: مولانا السيد محمد: كان حافظا لكتاب الله، معلما لعلوم الدين، وورعا تقيا، ونقيا مشهودا له بالولاية والدراية. وكان صاحب كشف إذا تنبأ بأمر وقع كما توقع وكان دعاؤه أقطع من السيف البتار وبذلك رزقه الله ولدا علما هو الشيخ الحاج عبد الله نياس، وحفيدا انتشر ذكره في الآفاق وهو الخليفة الحاج محمد.

الجد الثاني: مدمب: كان يوصف بالجود والصدق في القول والتصرف، والشجاعة في العمل، وصلة الرحم كما ذكر ذلك محمد التيشيتي في كتابه "**مطرب السامعين**".

الجد الثالث: أبو بكر: وكان مشهورا ببكر، ذو الصيت الذائع،والدرجة الرفيعة، إليه ينتسب أهل نياسين فيقال لهم بنو بكر، وكان معروفا بصلة الرحم والشجاعة، وتذكر له كرامات وخوارق أعجبت السامعين والناظرين منها أن ابن أحد الملوك التقليديين أخذ بقرته غصبا فأتاه يسترجعها فقال له بلغني أنك تعاقب كل من أثار غضبك، وها أنا سليم لم يصبني شيء. فقال له بمشيئة الله لا تسبقك هذه البقرة إلى الموت. وبعد مدة يسيرة طلب من زوجته خدمة فامتنعت فضربها ضربة موجعة فغضب أحد أبنائه، فطعنه ومات فوقع وعيد الشيخ كما توعد بعون الله.

الجد الرابع: الأمين: وكان يعرف بلا من، كان بحرا في العلم والمعرفة، وكان مشهورا له بالسخاء، وكان بارا ذا بركة فائقة ومناقب عجيبة، كان أهل الخير يفدون إليه طلبا للزيادة في الظاهر والباطن.

الجد الخامس: **ساجر**: كان معروفا بالوقار والهيبة، شهد له علماء عصره بالخير والوقار وكان جوادا كريما ذا همة عالية.

الجد السادس: **السيد صمب جيلا**: كان فريد عصره، وسيد معاصريه، في العلم والتقى وكان الناس يأتونه من كل فج هؤلاء من أجل العلم وأولئك من أجل المال.

الجد السابع: **السيد الرضى**: كان أحد ملوك العرب في منطقة جبال الأخضر في ليبيا، مسقط رأس السيد عبد الرحمن الأخضري، صاحب كتاب الأخضري المشهور في السنغال. وكان عالما تقيا، مخلصا وصالحا، همته العالية هي التعليم ونشر المعرفة والجهاد لنشر كلمة الدين، وكان له كنانة فيها(أسهم ذهب). ولنشر الدين وصل به المطاف إلى بلاد السودان من الشرق. وقد تزوج بامرأة من ملوك كجور يقال لها جيلا نياس ولذا ألحق هذا اللقب بسائر أسرة نياسين المعروفة اليوم وذلك غريب وقاعدة شاذة في عادة إفريقيا لأن الألقاب تنتشر عن طريق الآباء لا الأمهات. والأمر الآخر أن العرب لم يعرفوا بإلحاق الألقاب إلى الأسماء على نمط إفريقيا ومن ثم اجتمع ضدان على خلاف القاعدة القائلة بأن الضدين لا يجتمعان.

ويرجع نسب أهل نياسين إلى عقبة بن نافع الفهري القريشي، ذلك الصحابي الجليل الذي بيده تم فتح قيروان. وقد جاءت ذريته إلى بلاد تكرور برفقة أبي بكر بن عامر.

وممن أكدوا انتساب أسرة نياس إلى الشرفاء كل من الشيخ أحمد سكيرج الخزرجي الفاسي، والشيخ عبد الله بن الحاج العلوي الشنقيطي. وحسبنا شهادة من أولئك العدول والمثل العربي يقول " وما يوم حليمة بسر".

وقال الشاعر:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

الخليفة صاحب الموافقات

وأول هذه الموافقات مولده رضي الله عنه، فقد وافق نهاية الحكم الإسلامي في منطقة فوتا طورو التي قامت سنة 1776، ووافقت ولادته شهر رمضان المبارك كما وافق اسم والده اسم والد النبي واسمه اسم النبي واسم أمه اسم أم النبي صلى الله عليه وسلم.

وهو حفيد لإبراهيم كلل كما أن النبي حفيد لسيدنا إبراهيم عليهما الصلاة والسلام . وكان والده صلى الله عليه وسلم توأما من امرأة تسمى أروى كما كان والد الخليفة **الحاج محمد الحاج عبد الله** نياس توأما من امرأة.

ومن موافقاته أيضا جمعه جميع مراتب المشيخة الخمسة التي قل ما تجتمع في رجل واحد، وهو نادر الوقوع في هذا الزمان لتقاصر الهمم وضعف الاستعدادات. واعلم أن المشايخ خمسة:

1- **شيخ إرشاد:** وهو العالم العامل بعلمه القاصد به وجه ربه وهو المشار بقوله تعالى(إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ)([1])

2- **شيخ تربية:** وهو ذو البصيرة والتجربة والمعرفة بعلم المعاني مع الله عز وجل ومع العباد، فبصيرته النيرة تأخذ بيد من تعلق به إلى الله.

3- **شيخ ترقية:** وهو ذو البصيرة النافذة والنور التام والهمة العالية بحيث يغني بنظرة لمن هيّء لذلك وتيسر له على يديه سلوك تلك المسالك.

4- **شيخ تجربة:** وهو الذي يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي الله به أجاب وإذا سئل به أعطى. وهو الذي يمد غيره لمعرفته ومعرفة حروفه وصيغه ومقاصده وعدده ووقته وكيفية استنباطه واستخراجه من اسم الجلالة الذي هو الاسم الجامع.

[1])(سورة فاطر الآية 28.

5- **الشيخ الجامع:** وهو المحصل لهذه الأقسام والمراتب والمتصف بجميعها والسالك لجميع مسالكها والمدرك لها إدراكا يقينا. فهذا هو الشيخ العارف بالله الدال بحاله ومقاله على الله، فهو الذي يلقى القياد إليه ويجعل أمره بين يديه، ويسير كالميت بين يدي غاسله لديه.

وقد أشار صاحب المرشد المعين إليه بقوله:

يصحب شيخا عارف المسالك يقيه في طريقه المهالك
يذكره الله إذا رآه ويوصل العبد إلى مولاه

وقد أشار إليه أيضا الإمام سيدي أحمد قرشي اليمني البكري الصديقي المتوفى في الربيع الأول عام 641 هـ في قصيدته سرائر الأنوار

وللشيخ آيات إذا لم تكن له فما هو إلا في ليالي الهوى يسري
إذا لم يكن علم لديه بظاهر ولا باطن فاضرب به لجج البحر
وإن كان إلا أنه غير جامع له فيهما جمعا على أكمل الأمر
فأقرب أحوال العليل إلى الردى إذا لم يكن منها الطبيب على خبر[1]

كما قسم الشيخ زروق رضي الله عنه الشيوخ إلى ثلاثة:

1- **شيخ التعليم:** وشروطه ثلاثة: تحصيل عقد الباب المتكلم فيه، والقدرة على الإلقاء بلا تقصير، والإنصاف في القبول والرد.

2- **شيخ تربية:** وشروطه ثلاثة: علم المعاملات ظاهرا وباطنا، والبصيرة النافذة، والتجربة الحاصلة.

[1] الفيض الرباني فيما تدور عليه التربية عند الشيخ التجاني وأصحابه الكمل أهل الفضل والتهاني للشيخ إدريس بن محمد بن العابد العراقي الصفحة 014.

3-**شيخ ترقية:** وشروطه ثلاثة أيضا: البصيرة النافذة، والنور التام، والهمة العالية. فبالبصيرة يميز، وبالنور يمد، وبالهمة يرفع ويحط. كما أن شيخ التربية بالعلم يربي وبالبصيرة يرقي وبالتجربة يحقق.([1])

فهذا الشيخ هو الوسيلة العظمى وآية الله الكبرى المشار إليها في هاتين الآيتين الكريمتين: 1- (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة)([2])

2- (واتبع سبيل من أناب إليّ)([3])

وقد حقق وحرر مولانا الخليفة الحاج محمد هذه المراتب المذكورة كلها، اتفق على ذلك أهل الظاهر والباطن، فهو شيخ كامل وقطب محيط بجميع المعارف والأسماء والصفات. وكل من لم يجمع هذه المراتب الخمسة أو الثلاثة، وتصدر للمشيخة وأراد أن يكون له مريد قبل خمود بشريته وفطامه على يد شيخ، فإنه محجوب محب للرياسة، لا يجيء منه شيء. إلى أن قال ومن لم يتخلص من تبعات نفسه فاشتغاله بصلاح نفسه أولى وأسلم من فساد رياسته، لأنه لما بقي فيه من العلل لا يخلو من شره، كما ذكره الشيخ عمر الفوتي قدس الله سره في كتابه الرماح الفصل الخامس عشر.([4])

ولا غرو بعد كل هذا أن يكون علما في رأسه نار ومنهلا يرد إليه الظمآن.

ومن خصائصه محبته للرسول صلى الله عليه وسلم وكان يقول: فإني منذ ناهزت الفطام وترعرعت وصرت غلاما ما زلت في اليقظة والمنام أهوى من جعله الله خير الأنام، رسول الله، خاتم المرسلين الشافع المشفع في الثقلين، وهمت بأودية الغرام، وشمت بروق الغمام من محبته، وانبث في قلبي ما انبث فقلت:

([1]) أثبته الحاج عبد الله في كتابه تنبيه الناس على شقاوة ناقضي بيعة أبي العباس الصفحة 10.

([2]) سورة المائدة الآية 35.

([3]) سورة لقمان الآية 15.

([4]) رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لسيدي عمر الفوتي.

مـــذ صـــرت أغـــدو وأمســـي فـــي حـــب خيـــر الرجـــال
ولا أصـــــيخ لعـــــذل فيـــــه ولســـــت أبـــــالي

فهو فوتي من **بني تورودو** الذين عنهم يقول الشيخ عمر الفوتي تال:

بنـــي طـــور كونـــوا مثـــل آبائنـــا الأول ذوي المجـــد والتقـــى الإحســـان والعـــدل
بنـــي طـــور توبـــوا وارجعـــوا لتـــراثكم جهـــاد عـــدو اللـــه دومـــا بـــلا بتـــل
بنـــي طـــور ســـفنا فيـــه كـــان أصـــولكم لأجـــل جهـــاد جئـــتم فـــوت بالـــذال

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن التكرور تنحدر سلالتهم إلى بني حمير، وفي ذلك يقول الشيخ الحاج إبراهيم خرج كاه وهو من العلماء الذين تعلموا عند الخليفة الحاج محمد:

قـــل للمحـــاول علـــم انســـاب الـــورى تكـــرور حميـــري ولـــيس ببربـــري
فـــدليل قـــولي بارتفـــاع أنـــوفهم وبيـــاض أعيـــنهم وحســـن المنظـــر
وفصـــاحة تعلـــو فصـــاحة غيـــرهم وشـــجاعة غلبـــت شـــجاعة حيـــدر
مـــن لـــم يصـــدقني علـــى مـــا قلتـــه كتـــب الأوائـــل قلبنـــا فلينظـــر

فالخوارق التي ظهرت في مولده ورضاعته كثيرة، نذكر بعضها على سبيل التمثيل لا التفصيل. فقد ولد في اليوم الثاني من رمضان في عام 1298 هـ الموافق 1881 م وقت العصر وأعطته والدته الثدي فامتنع إلى حين غروب الشمس هنالك رضع وكذلك كان حتى أصبح الناس يعرفون وقت غروب الشمس وطلوع الفجر في تصرفه هذا. وله وجه شبه في ذلك مع شيخه الحاج عمر الفوتي الذي ولد في شعبان ولما جاء رمضان امتنع عن الرضاعة في نهار رمضان كله.

ومن الغريب كذلك أنه إذا سمع ذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو يرضع توقف ينصت ويترنح إلى أن يسكت ذلك الرجل الذاكر. وقد ذكره والده هذا في وقت بلوغه فقال له بأنه لم ينس ذلك مما يدل على أنه فاق سنه بمواهبه اللدنية . وقد

قال له والده لا يعجبني فيك شيء لأن وقت ولادتك ما رقدت فوق سرير قط بل ظللت أدعو الله أن يرزقني مثلك. قال له إن الله قد أراه النبي يقظة لا مناما بأسبوع من ولادته فقلت له إن الله رزقني نجلا نجيبا فسأسميه بك فطلب منه الرسول أن يأتيه به فأحضره خفية فضمه إليه وأدخل لسانه في فيه وفي ذلك يقول الحاج محمد الخليفة نياس بأن ذلك جعله يجيد العربية حتى لا يعرف متى أجادها. وتلك موهبة عظمى ونعمة كبرى.

مراحل تعليمه

كان بحر علم لدني بلا تعلم بل إنما علمه الله قبل ظهوره في هذا الكون، علمه العلم الرسمي والعقلي. وقد دلت على ذلك أمور عدة كما شهد بذلك والده وهو نفسه كذلك قد شهد بذلك حيث كان يقول:"أنا شوكة ما حددني أحد" كما كان يقول:"ما بدأت كتابا فأكملت تعلمه بل أبدأه فأفهم كله". كان يحاكي التعلم وهو عالم كما كان أبوه يحاكي التعليم مخافة ألسن الناس وأعينهم وهناك ثلاثة براهين على ما نقول:

الأول أنه أحيانا إذا وقف عند آية قرآنية ما قال إذا لم يأت بعدها كذا وكذا فإن الكلام لا يستقيم فيكون ما يلي كما توقع.

و**الثاني** أنه بدأ تفسير القرآن الكريم لما وصل إلى سورة النبأ.

و**الثالث** أنه بدأ نظم الشعر لما وصل في تعلمه للقرآن إلى سورة الملك.

وهاك أول بيت جادت به قريحته:

وهـــب لنـــا كرمـــا زادا يبلغنـــي ديـــار حبـــك قبـــل الشـــبب والهـــرم
حتـــى أنـــيخ بمـــن كانـــت محبتـــه قبـــل انفطـــام وقبـــل الـــدرك للحلـــم

وتعجب معي من هذا الشعر الرائع ثم تعجب من أنه جاء من شاب تعد سنواته بالأصابع فقد تبحر في الفنون، وهو في اللغة، والتفسير وعلوم الحديث ومصطلحه، وعلم الكيمياء والفيزياء، وعلم النحو والأدب ناهيك عن علوم الطريقة والتصوف

والسيرة العطرة فهو في ذلك بحر لا ساحل له ومنهل لاينفد. ولاغرو فقد التقى بذات العلم حين ولادته فجاد بما عنده نحلة له وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فنال بذلك علما لدنيا.

وتلك موهبة إلهية وفيض رباني. كما قال الشاعر:

تلــك المكــارم لاقعبــان مــن لــبن شــيبا بمــاء فعــادا بعــد أبــوالا

.

البعد العلمي للحاج الخليفة نياس

عاش الشيخ محمد الخليفة نياس في عصر يصح أن نطلق عليه عصر النهضة العلمية في السنغال. حيث أصبحت الحرب الفكرية والثقافية بديلة عن مواجهة المستعمرين بالسيوف، في حروب غير متكافئة ما جعل علماء الدين يتبنون هذه الاستراتيجية الجديدة في الحرب والمقاومة وهو العلم والتعليم. وقد برز في الفترة التي نتحدث عنها والتي تمتد من سنة 1820 إلى 1950م علماء ومشايخ أجلاء أمثال الشيخ مور خجه كمبه جوب، والشيخ القاضي مجخت كل، والشيخ موسى كمر، والشيخ الحاج عمر الفوتي، والشيخ الحاج عبد الله نياس، والشيخ أحمد بامبا مباكي، والشيخ الحاج مالك سه، والشيخ تيورنو حامد آن القائل في حق نقسه:

يـــا راحـــلا يركـــب الأمـــواج والخطـــر ويركـــب البيـــد كيمـــا يـــدرك الـــوطرا
فـــبلغن كـــل قـــح مـــن بنـــي وطنـــي أنـــي توجهـــت أنـــي أشـــعر الشـــعرا

في هذه الفترة التي أطلقنا عليها عصر النهضة في السنغال والذي امتاز بمن تقدم من العلماء والمشايخ الأجلاء بزغ نجم من نجوم العلم والمعرفة في جميع ميادينها، ألا وهو الشيخ الخليفة محمد، مما يجعلنا نقول:

إن الخليفة الحاج محمد نياس في مجال العلم والمعرفة كان فريد عصره وآية زمانه، وكان مضرب المثل في كثرة العلم.

وحسبنا مثلا لا حصرا سمو مكانته في الشعر والأدب مما دفع العالم العلامة الحاج مجخت كلا يعترف بعلمه ويركن إلى حضرته، فيقول:

لقد تفوقت على علماء عصري أجمعين، ولكن تفوق علينا جميعا الحاج محمد الخليفة نياس. بل يمكن أن نقول بأن مام خليفة نياس كان كعب زمانه وحسانه، أضف إلى ذلك ما شئت فكان آية في العلم يرافقه التحدي فيه القاصي والداني. والمفكر في سعة علمه واتساع درايته ينتهي به التفكير إلى أن يقول: فتبارك الله أحسن الخالقين.

مؤلفاته

يعجز العقل عن إحاطة ما ألفه الشيخ من منظومات ومنثورات وكتب في مختلف المجالات كما يعجز القلم أن يذكر جميع ما في هذا التراث العظيم. وسوف نذكر فيما يلي بعضا منها على سبيل التبرك و التمثيل لا على سبيل الحصر والإحاطة.

1. **ديوان خاتمة الدرر على عقود الجوهر في مدح سيد البشر:** وهو ديوان ضخم بجميع بحور الشعر المعروفة وقوافيها.

2. **ديوان الكبريت الأحمر في مدائح القطب الأكبر**: وفيه أكثر من ثلاثة آلاف بيت كلها في مدح شيخه وحبيبه الشيخ أحمد التجاني الشريف.

3. **مسامرة الفكر في زيارة القطب الأكبر**: وقد ألفه حين زيارته للشيخ أحمد التجاني، وفيه تجد روعة الشعر بلاغة وفصاحة وعروضا وقافية.

4. **مرآة الصفا في سيرة المصطفى:** ومضمون هذا الكتاب كاسمه فهو مرآة يشخص لك الرسول صلى الله عليه وسلم كأنك تراه وتسمعه. وقد ثبت أن هذا الكتاب لا يقرأ في ملأ إلا رأى بعض الحاضرين النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره الشيخ الحاج عبد الله نياس حيث رآه في بيته على شكل نور وضاح حتى كأن بنايات المدينة تريد أن تسقط وجاء في الحلقة لدى التالين للكتاب فقال لابنه لقد أعجب الرسول بجميع ما كتبته ولكن بالأخص هذا الكتاب **"مرآة الصفا"** لا سيما باب أوصافه الخلقية والخلقية فقال له الحاج عبد الله نياس: لقد استدركت كل ما فاتني في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومطلع مرآة الصفاء:

أنـــت للكـــون بهجـــة وبهـــاء وتجلـــت بنـــورك الظلمـــاء
أنـــت لـــولاك لـــم يكـــن كـــل كـــون ولمـــا زال عـــن ذويـــه الشـــفاء
ضـــاء منـــك الوجـــودو حتـــى اســـتنارت مـــن مقـــاييس ضـــوئك الأنبيـــاء

ولهـــم منـــك كلهـــم معجـــزات عجـــزت عـــن أمثالهـــا الأصـــفياء
ظهـــر الـــبعض مـــن صـــفاتك فـــيهم فهـــم أنجـــم وأنـــت ذكـــاء
أنـــت كنـــز الإلـــه والـــذخر والـــع ز ومنـــك اســـتمدت النعمـــاء
أنـــت بـــاب الإلـــه أنـــت المرجـــى أنـــت مـــن أدواء القلـــوب شـــفاء
أنـــت للكَـــرب كاشـــف ومغيـــث إن أتتنـــا البأســـاء والضـــراء
نـــال منـــك الهـــدا ذووه بفضـــل مـــن كـــريم ينيلـــه مـــن يشـــاء
بـــك أوصـــى مـــن قبـــل آدم شـــيثا لـــك تختـــار كـــي تطيـــب النســـاء
وهـــو شـــيث الوصـــي مـــن كـــان فـــردا حيـــث كانـــت تؤامـــا الأبنـــاء
أمهـــات مـــا فارقـــت قـــط ذنبـــا محصـــنات لـــم تنحهـــا الفحشـــاء
نظـــم در فـــي ســـمط عـــز وفخـــر وعلـــو مـــن دونـــه جـــوزاء
لـــك أصـــل فـــي ســـاجدين وفـــرع وعلـــو علـــت فيـــه الحنفـــاء

5. **طريق الجنان في مدح سيد بني عدنان:** وهو كتاب غريب في السيرة النبوية. يقول فيه:

الحمـــد للـــه معطـــي الفضـــل والحكـــم
ثـــم الصـــلاة علـــى المختـــار ذي الكـــرم
يـــا مـــن لبـــرق ومـــيض نحـــو كاظمـــة
أرقـــت منـــه دمـــوع العـــين أو إضـــم
فحـــي ســـلعا وســـل عـــن حـــال ســـاكنه
ولا تضـــل طريـــق الضـــال والســـلم
أراك ريمـــا كريمـــا كنـــت تالفـــه
ريـــم برامـــة منـــه القلـــب فـــي الضـــرم
يشـــفيك مـــن غمـــم مـــن نطـــق ذي حكـــم
وضـــحك مبتســـم كالـــدر فـــي الـــنظم
أجـــرى العقيـــق علـــى خـــديك منســـجما

ذكـــــر العقيـــــق وجيـــــران لـــــدى الحـــــرم
لاغـــــرو فـــــي الـــــدمع إذ أحبابنـــــا رحلـــــوا
عنـــــا وقـــــد عزنـــــا تجديـــــد وصـــــلهم
مـــــذ بـــــان عنـــــك قضـــــيب البـــــان مـــــن حـــــزن
تبيـــــت حلـــــف الجـــــوى والشـــــوق والضـــــرم
فالبعـــــد والصـــــد والهجـــــران لـــــيس لهـــــا
شـــــاف ســـــوى القـــــرب والاســـــعاف والـــــنعم
إن الهـــــوى لهـــــوان للمحـــــب فـــــلا
تنفـــــك فـــــي حـــــزن دهـــــرا وفـــــي ســـــقم
قـــــد أنحـــــل الجســـــم إذ فـــــارقتهم فرقـــــي
أبـــــدي التجلـــــد حينـــــا ثـــــم لـــــم يقـــــم

6. **نيل المرام في مدح خير الأنام:** وهو أول كتاب ألفه وكان والده يحيي به ذكرى المولد النبوي الشريف في سنواته العشرة الأخيرة من حياته. ومطلعه:

جابـــــت قفـــــارا بعـــــاد الا أنـــــيس بهـــــا
ســـــلمى إلـــــي ودونـــــي بحـــــر أهـــــوال
باتـــــت تجـــــوب الفيـــــافي لادليـــــل لهـــــا
إلا لهيـــــب اشـــــتياق حـــــره صـــــال
خاضـــــت إلـــــي وبالجرعـــــاء منزلنـــــا
فهيجـــــت لـــــي أوجـــــاعي وأوجـــــالي
لكـــــن فلبـــــي لحـــــب المصـــــطفى أبـــــدا
قـــــد مـــــال عـــــن حـــــب ذات الـــــدل والخـــــال
ولســـــت أذكـــــر ربعـــــا غيـــــر أربعـــــه
ولا يهـــــيم بـــــه فكـــــري ولا بـــــالي
حيـــــث الرســـــالة قـــــد لاحـــــت معالمهـــــا

وحيـــــــث يهـــــــبط جبريـــــــل كميكـــــــال
وحيـــــــث تغفـــــــر أو زار لزائـــــــره
وحيـــــــث يجـــــــزل أجـــــــر أي إجـــــــزال
حيـــث الـــتخلص مـــن بحـــر الـــذنوب إلـــى
بـــــر بـــــرى شـــــوقه قلبـــــي وأوصـــــال
محمـــــد المصـــــطفى المختـــــار مـــــن مضـــــر
وآدم كـــــان مـــــن مـــــاء وصلصـــــال
تكونـــــت مـــــن صـــــفا نـــــور حقيقتـــــه
قبـــــل الوجـــــود بعلـــــم الواحـــــد العـــــال
لـــــه الشـــــفوف علـــــى الرســـــل الكـــــرم فـــــلا
خلـــــق يدانيـــــه فـــــي خلـــــق وأفعـــــال
أعطـــــاه مـــــولاه مـــــا أعطـــــى وأرســـــله
إلـــــى البرايـــــا بتفصـــــيل وإجمـــــال
ونـــــوره ســـــاجد للـــــه فـــــي قـــــدم
قبـــــل التكـــــون مـــــن أشـــــباح أشـــــكال

7. **المواهب الإلهية في الغزوات النبوية:** وقد ذكر فيها غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وأسماء الشهداء فيها وأعدادهم، قل ما نجد ذلك في كتب السيرة.

8. **نظم وصايا الشيخ رضي الله عنه:** وقد ذكر فيه جميع ما أوصى به الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه. وبعد أن فرغ من تأليفه أرسله إلى حبر الطريقة العالم العلامة، السيد سكيرج، فأدخله في كتابه المسمى(**رفع النقاب**).

ويقول السيد السكيرج عن ذلك النظم الفريد في مطلع كتابه ذاك:

"وقد وجه إلي ولد روحي وثمرة فؤادي الصادق في المحبة والمودة السيد الحاج محمد بن الحاج عبد الله نياس الكولخي

السوداني أرجوزة لطيفة اشتملت على نظم هذه الوصايا مع بقية الوصايا التي لم أنقلها هناك، ولإتمام الفائدة سنح لي أن أذكرها في هذا المحل، وعلى الله الصلة والعائدة ونصها بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم".

قال الفقير الجلفي محمدا الكولخي الأحمدي سندا
محمد سليل عبد الله نجل محمد السري الأواه
مصليا على النبي العربي الهاشمي الأبطحي الطيب
وبعد ذا فشيخنا التجاني له وصايا جمة المعاني
عقدت من منثورها فرائدا لكي أفيد به الفوائد
سميته بمرشد الإخوان إلى وصايا شيخنا التجاني
لي والغير من الأحباب من غير تقصير ولا إطناب
لأن النثر عزيز المسلك صعب الفياد مستدق المدرك
وأسأل الله به أن ينفعا من كان في تحصيله يوما سعى
من قارئ أو كاتب أو مملي فإنما الله عظيم الفضل
وأسأل الله بجاه المصطفى وآله وتابعيه الخلفا
وبابنه خاتم الأولياء أمامنا ذي المجد والسناء
أن ينفع القريب والبعيدا بالنظم والمحب والمريدا
ويبسط الفضل علينا والقبول بنظمنا وأن ينيلنا الوصول
وأن يكون للذنوب غافرا جميعها وللعيوب ساترا
لي ووالدي والأحباب ومن تعلق بذا الجناب
جناب شيخنا ومن له انتمى ومن أحبه ومن به احتمى
وأن ينيلنا الرضى بفضله ويكبتن أعداءنا بعدله
فقلت راجيا ثواب الله والذخر منه وعلو الجاه
على وصايا شيخنا التجاني أوصيكم يا معشر الإخوان
ففي الرماح أول الوصايا تقوى الإله مجزل العطايا
في الغيب ما كان وفي الشهاده ولكم الحق اجعلوه عاده

9. نصيحة الإخوان عن دعوى الولاية بالبهتان: وقد ميز فيه بين الحق والباطل في دعوى الولاية.

10. مفتاح الفتح والوصول إلى حضرة شيخنا ابن الرسول.

11. ذخيرة العطايا في الوفود والسرايا. وهو كتاب مليء بالعلم والنور، حيث طابق الاسم المسمى. وفيه يقول:

قال العبيد الأحمدي سندا المالكي الكولخي بلدا
محمد سليل عبد الله لا زال في حماية الإله
الحمد لله الذي قد شيدا دين الهدى بالهاشمي أحمدا
صلى عليه الله داعي الفلاح دعا وما تم المرام بالنجاح
وآله خلاصة الأخيار رهبان ليل أسد النهار

إلى أن قال:

هنا انتهى ما صح لي في الكتب من كتب النبي طه العربي
والحمد لله على تيسير ما أردته حتى أتى منتظما
مثل الجمان في نحور العين والدر في أصدافه المكنون
وأسأل الله اجتماع الشمل ونيل كل مطلب وفضل
للنفس والأبناء والإخوان ومن أعانني مدى الزمان
والتابعين لي ومن ينتسب لنا ومن له لدينا مطلب

12. الفكر في زيارة القطب الأكبر.

13. شفاء الصدر فيمن حضر وقعة البدر.

14. فوز السعداء في التوسل بالشهداء.

15. **بلوغ السول في مدح الرسول.**

وقد استهل الكتاب بهذه الأبيات:

يا رب صل على المختار في الأزل مولى الشفاعة يوم الحادث الجلل
واجعل سلاما عليه طيبا عطرا تزول شم الرواسي وهم لم يزل
أعلى البرية طرا عند خالقه مبري السقام من الآثام والعلل
ومن سناه سنى شمس الضحى برزت من نوره تنجلي الكوان كالحلل
صلاح أمور جميع الناس قاطبة في حبه واتباع أفضل الملل
صافي الشمائل فيه الله ألف ما قد كان من قبله في سائر الرسل
أعطاه مولاه جبريلا ليخدمه بوحيه فأتاه وهو في الجبل
وإذ أتى نازلا بالوحي أثقله من المناجات ما في الوحي من ثقل
ناداه باقرأ ولم تقرأ أوائله فردد الآية العظمى مع الوجل
وآب للأهل مرعوبا وليس به رعب وزمل بالأنماط والكلل
لثمت من حبه كأسا معتقة فلن تراني إلا دائم الشمل
ومن مكانته أن سوف يجلسه غدا على العرش دون السادة الرسل

16. قلائد المرجان في الطب النبوي الروحاني.

17. الفيض الرباني في التسؤل بأسماء بني العدنان.

18. **زاد الميعاد في تضمين بانت سعاد: وهو أول من قام بمثل هذا العمل من السود ومطلع هذا الكتاب:**

بريم رامة قلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
ترنو بفاتر جفن ليس يشبهها إلا أغن عضيض الطرف مكحول
تريك قامة غص البان مائسة لا يشتكي فصر منها ولاطول
هي الشفاء لداء الصب لوصدثت يشفي مضاجعها شم وتقبيل
تفتر عن برد عذب مجاجته كأنه منهل بالراج معلول
لايمسك القلب حبا غيرها أبد إلا كما يمسك الماء الغرابيل
بعد الصدود لعمري لايفر به منك العتاق النجبات المراسيل

أو ماخرات سفين من دواخنها للجو غيم على الأرجاء مشمول
بحب خير الورى طول الزمان ولو أني على آلة حدباء محمول
لعل عـفو رسول الله يدركني والعفو عند رسول الله مأمول

إلى قوله

هدية من مقل نحو حضرتكم لعل كل الذي يهديه مقبول
قفوت كعبا بها في مدحكم ولكم للفضل جود على العافين مبذول
بمدحكم نال كعب بردةٌ فعسى ينيلني بـردة فالفضل مأمـول
كسوته بقـميص قد تداوله من بعده الخلفا الشم المقاويل
ورؤيتي وجهك الأسنى تبشرني بقـولكم أنت محـبول ومقـبول

19. **الأدلة المقنعة إلى طرق المنفعة:** وقد شرح فيه كتاب العالم العلامة صاحب المواهب الشيخ السكيرج، فكان يقول بأن الحاج محمد الخليفة نياس هو الفرد الوحيد من السود الذي يثق به في شرح كتاباته. وقد انتشر هذا الكتاب انتشار الطريقة التجانية في مختلف الربوع.

ويقول الشيخ الخليفة في مقدمة شرحه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على شفيع الأولين والآخرين وآله وصحبه الطاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين أما بعد:

فيقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه الغني الكبير محمد بن الحاج عبد الله تولى أمره مولاه: لا يخفى على كل عاقل لبيب له ذوق سليم ورأي في نظره مصيب، أن الوقوف بباب الله تعالى عند ضيق الأمور وارتكام الأهوال وجيشان الصدور هو المنجاة الكبرى، والعروة الوثقى التي لا تخاف انفصاما ولا ابترا. فيه ينزل الله لنا الفرج ويخرجنا لسعة الأمر بعد المضيق والحرج. ولا شك أن من أنجح ما يتوسل

به الحائر المكروب، وأنفع ما يتضرع به الشجى المغلوب، ويتبحر به الراغب إلى الله تعالى في نيل المطلوب، بضاعة العارف بالله تعالى الواصل، فريد عصره، وأوانه بين المجامع والمحافل من حاز قصب السبق في كل مضمار رسالة من (تبوؤوا الدار والإيمان من قبل)([1]) فدعوا بالأنصار الذي دارت عليه رحى طريقتنا الأحمدية، الحامي ذمارها بالنجدة الكاملة و المئاثر الخزرجية، ألا وهو الشيخ أحمد سكيرج. لا زالت شمس طلعته بازغة وينابيع فيوضاته بين الورى نابعه قال الشاعر:

أجـــل قـــدرك أن تســـمى مؤبنـــة ومـــن يصـــفك فقـــد ســـماك للعـــرب

وأما بضاعته المشار إليها بالبنان التي هي عصمة كل تائه حيران فهي بديعيته الطنانة، وروضة فكره الوارقة الفينانة التي بها الأحزان عنا منفرجة. وسويداوات قلوبهم لها وامقة، لما جمعت من حكمة بارعة، ودلت إلى الله تعالى من كل نفس ضارعة. قام العبيد الحقير الراجي غفران وستر مولاه الكبير يريد التطفل على منزعات موائدها والعكوف على اجتناء فوائدها، ورام أن يضع عليها تعليقا لطيفا، لعلني أدخل في زمرة القوم، وأن حاز شكلي عن شكلهم تحريفا. لأن سواد الجلد لا يتعدى إلى القريحة السليمة ولا يضر الجبلة الطبيعية القديمة، وسميته: الأدلة المقنعة إلى طرق المنفعة. وأرجو من الله تعالى أن يكون تجارة رائدة. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

20. **خالص الشهد في تضمين البردة:** وهو عبارة عن تضمين لكتابة بردة المديح لمؤلفه الشيخ محمد البوصري. وقد قام بهذا التضمين بإشارة من والده. فقد طلب منه ذات يوم أن يعتني بالكتاب فحفظه عن ظهر القلب فأخبر والده بذلك فقال له :" أريد منك أكثر من ذلك" هنالك قام بتضمين القصيدة ومطلعها:

أمن تذكر جيران بـذى سلـم أسلمت نفسك لأشواق في سلم

([1]) سورة الحشر الآية 9.

لما كتمت الهوى فاهتاج هائجه مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
فكيف تصبر عن حي بذي سلم إذ أومض البرق في الظلماء من إضم
فما لعينك لاينفك واكفه وما لقلبك إن قلت استفق يهم
لولا الغرام لما بكيت منزلة ولا أرقت لذكر البيان والعلم
لاتنكر الوجد من ليلى فقد شهدت به عليك عدول الدمع والسقم
نقش من الدمع قد خط الغرام به مثل البهار على خديك والعنم
إن الهوى بعد ما قد لذ آلمني والحب يعترض اللذات بالألم
عذلتني في الهوى العذرى ويك فدع بعض الملام فلو انصفت لم تلم
أمري عزيز فما سرى بمكتتم عن الوشاة ولا دائي بمنحسم

إلى قوله

إني وإن حكت أمداحي لمعترف بالعجز عن بردة أعيت على الأمم
ولا أعارض ما ترميه من درر من ذا يعارض سيبا باكر الديم
من خالص الحب أخلصت المديح وهل في خالص الحب إلا خالص الكلم
لكن أضمن أسلوبا ببردته منمقا ببديع رائق الحكم

21. **الجيوش الطلع بالمرهفات القطع إلى ابن مايابى أخي التنطع":**

هو كتاب أفحم جميع منكري أهل التصوف بغير حق وهو مرآة للتصوف الصافي يعرف هذا من يعرف وينكره من ينكر كما يقول:" الله تعالى في محكم تنزيله(***بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله***)([1]). فنجد هؤلاء في ساحة الإنكار، وأولئك في ساحة الأذكار وكل حزب بما لديهم فرحون. وكتاب الجيوش الطلع يعد مرجعا لأهل العلم في مجال التصوف.

وجدير لكل مريد أن يجد هذا الكتاب ويتفهم ما فيه. ومطلع هذا الجيوش:

([1]) سورة يونس الآية 39.

قال العبيد الكولخي محمد سليل عبد الله وهو يحمد
من خصه بواضح البيان من بين كل البيض والسودان
تحدثا بنعمة الوهاب برغم أنف المنكر المرتاب
مصليا على الرسول العربي وآله أولي العلا والرتب
من كان حبهم أساس الدين وبغضهم كفر بغير مين
هذا ولما انتدب الأشقى إلى سب إمام الأولياء الفضلا
جردت من قريحتي مهندا عضبا لأسقيه كأس الردى
عرضت نفسي إلى الطعان والضرب دون شيخنا التجاني
فقلت راجيا دوام المدد من فيض شيخنا التجاني الأحمد
الحمد لله الذي قد أوقدا نور الهدى في قلب كل من هدى
وقاد للحضرة كل مجتبى بصحبة القوم الكرام النجبا
فأخلصوا القلوب من أغيارها وهذبوا النفوس من أكدارها
وذاك من كرامة الرحمان للأولياء الغر أهل الشان

ومن خلال دراسة هذه القصيدة نجد أن الخليفة الحاج محمد جندي لشيخه حام لطريقته وقد اشتهر من بين أقطاب شيخنا رضي الله الدفاع عنه وعن طريقته لما قام الجاهل المجهول **"الجنكي" ابن مايابا** الذي أطلق لسانه في سب شيخنا التجاني حسدا من عند نفسه حيث أنكر كثيرا من الأمور في الطريقة التجانية بما لا يعلم ونسبها إليه ما هو برئ منه رضي الله عنه فكان الخليفة الحاج محمد له بالمرصاد، لم يقف على رد اتهاماته الكاذبة ولكن بين كثيرا من افتراءاته التي نسبها إلى قطب الأكبر واستخدم فن الشعر التعليمي ويوصف هذا الشعر بأنه لون من الشعر الغث البارد اصطنعه الشعراء بهدف تعليم الناس شؤون دينهم ودنياهم، فكان الخليفة لابد من أن يسلك نفس المنهج للشعر التعليمي لبيان الحقائق المتعلقة بالطريقة التجانية. وقد وفقني الله بتقريب معانيه إلى اللغة الولوفية في تسجيل صوتي أصدرته.

ويقول الشيخ الخليفة في كتابه الجيوش هذا : توضيح لك ما حملني على هذا النظم وشرحه في تزييف من لم يبلغ وابله قطرة من رشحه، وقد كان حقه أن يترك هملا، ولا يضيع فيه أحد قولا ولا عملا، لأن الشيخ لا يضره إنكار منكر ولا افتراء مفتر، ففضله أشهر من نار على علم، وكثرة مزاياه لا يحيط بها بنان ولا مجاجة قلم، وفي المعنى:

فكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

لكنني بينما أنا أردد في رده لفكر، وأقدم رجلا وأؤخر أخرى، لعلمي بأن في أهل هذه الطريقة من العلماء الأكابر، وأسود الملاحم الخوادر، ممن أنا في جنبه كلا شيء.

وأما الرجل فحجته داحضة وينابيع علومه عائضة، إلا أني رأيت الشيخ التجاني رضي الله عنه ووقع لي معه ما يؤيد لي عملي الرد على الرجل. فظهر من تيسير الأمر ببركة ما هو حائد عن القياس. ولذلك صرت كأنما يملى علي من قبل الغيب بجميع الحجج القاطعة والأدلة الدامغة من القرآن والحديث وقول أكابر العلماء، حتى جاء الشرح — بحمد الله تعالى- وافيا بالمقصود. ([1])

فميدان الرد عن المنكرين ميدان الشيخ الخليفة، له فيه وفي الذب عن جميع طرق أهل الله، وعن ملتهم الغراء صولات وجولات، لأجل ذلك رد على المنكر العنيد ذي الجهل الشديد ابن المؤقت قائلا:

يا من يحاول سبة الإيمان بؤ بالشقا والطرد والخسران
أو ما علمت بأن أهل الله لا لا يشتاهم إلا أخو الخذلان
فاربأ بنفسك أو فرد مستوبلا من سبهم للزيغ والطغيان
أو لم تكن تخشى بسب الأولياء أهل الإله السادة الخُلصان
مقت الإله وسوء عاقبة به تلقى الشقا بعداوة الرحمن

إلى أن قال:

([1])الجيوش الطلع بالمرهفات القطع إلى ابن مايابى أخي التنطع نظم وشرح الشيخ الخليفة محمد نياس الصفحة 90.

ابن المؤقت جاهل أو جان — من ذا يسب أكابر الإيمان
من ذا يكون مبرءا من سبه — إذ سب أهل العلم والعرفان
أهل المذاهب والوظائف سبهم — وكذا المشايخ موقظو الوسنان
تأليفه أغلوطة وجناية — من سبه الأعيان بالإعلان

ومما يدل على حرص الحاج محمد الخليفة نياس على الطريقة ووقوفه على ثغورها أن رجلا أعور العين في منطقة فوت كان يتجول ليخرج الناس من الطريقة فشهر الحاج محمد الخليفة قلمه وجاد بهذه القصيدة وثم بعد ذلك لم يعد الناس يعرفون مصير ذلك الرجل ولم يسمع منه ركن ولا يعرف أمسخ أم رفع إلى السماء. وها هي القصيدة:

إن الطريد الذي قد جاء يحتال — نمته للزيغ جهال وضلال
كونوا على حذر منهم فإنهم — حزب الجهالة ضلال وجهال
قد جاء قبل ابن مایاب فئاب على — خزي سقته الردى شيب وأطفال
يا أهل فوت إذا الدجال قال لكم — قولا وحسنه ففيه إضلال
فأحموا وظائفكم من أن يدسنها — حلف الغباوة بادي الذل دجال
أقواله كأقاويل الذين مضوا — في النكر ليس لهم في الدين إقبال
والله ما اتبعوا غير اللعين هو — وبيس ما فعلوا كلا وما قالوا
فلؤلؤ الورد عضا جآء به عمر — قطب الجهاد له في الدين إقبال
وبين الفرض والمسنون بينه — كما له في نواحي الأرض أقيال
ذو العلم في الدين أحرى أنه يطاع له — ولا الذي هو بالشبان جوال
سلب الإرادة فوز للمريد فلا — ينال من دونه فتح كما نالوا
منع الزيارة دخل في طريقتنا يا فوز — يأتي به الأعور المذموم دجال
من زار صحب الشيخ من رفعت — لهم لدينا مقامات وأحوال
أتى بهاالشيخ شرطا في طريقته — يأتيك في منية التجان يختال

إعطاء ورد بلا شرط قد أبطله شيخي التجاني فلا يغررك بطال
ومن يلقنه ذا المذموم من غرر ينهار في جرف هاربه الحال
إلا إذا جدد الأوراد من سند فيه من الشيخ أقوال وأفعال
يحرفون الكتاب عن مواضعه وذاك كفر صراح فيه إبدال
صلى على كامل الأخلاق ومرسله إلى الأنام به للدين إكمال

22. كشف الغمة في مدح نبي الرحمة.

وقد استهله بهذه الأبيات التالية في بحر المجتث:

قف بالربوع البوالي وابك السنين الخوالي
ولتسقها كل دمع يهمي كفض اللئالي
دور عهدت أهيلا بها زمان الوصالي
أنستك في كل دار وكل أهل ومال
إن غادرتك رسوم منها حليف خبال
وأوقدت باشتياق في القلب جذوة صال
فقد سيقت رحيقا للوصل عذب المنال
مذ صرت أغدوا وأمسي في حب خير الرجال
ولا أصيخ لعذل فيه ولست أبال
من يشغل الذهن منه في حسنه المتلالي
يستفتح الحور ترنو بكل عين غزال
وكل أشنب عذب يزري بشوك السيال
وكيف لا وهو عمري أصل لكل حمال
من نوره كل بدر يبدو وشمس الزوال

ومن أعجب الأشياء أن الشيخ الحاج عبد الله نياس كان يحيي ليالي المولد النبوي الشريف بقصائد الشيخ الخليفة الحاج محمد حيث كان إخوته يتغنون بها والشيخ يفسر وكان قبل ذلك يستخدم قصيدة بردة المديح للشيخ محمد البوصري. وبذلك كان يقول تحدثا بنعمة الله :"لقد أعطاني الله ما لم يعطه لنبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا للشيخ أحمد التجاني الشريف ولاغرو أن تركتني أبين: فليس من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من مدحه بقصائد وكذلك الشيخ أحمد التجاني- قيد حياتهما- وتلك مجرد مزية والمزية لاتقتضي الأفضلية، كما قالها العلماء الأصوليون.

والمتأمل في تبحر الشيخ الحاج محمد الخليفة في العلوم يجد أن فيه جانب الموهبة اللدنية، لأنه حينما كان يقرأ القرآن، ربما وقف في آية ما وقال هذه الآية لا بد أن تليها آية كذا، فكان الأمر كما قال.

فلما وصل إلى سورة النبأ كان كمن درس القرآن كله وفهم مقصوده، فلما وصل إلى سورة الملك شرع ينتج الشعر العربي بجميع بحوره.

وقد حقق الدكتور عامر صامب في كتابه **الأدب السنغالي العربي** أن خليفة الحاج محمد نياس من أفصح علمائنا وأشعر شعرائنا، بل هو شاعر صوفي انغمر في حبه للنبي صلى الله عليه وسلم وللشيخ أحمد التجاني قدس الله سرهما.([1])

كما قال الشيخ أحمد تجان غي حين أبدع في ذلك دون مبالغة في مدحه حيث يقول: نجد قريحة الحاج محمد الفياضة تفرز دررا من المديح غالية تتحلى بصور بيانية بديعة يعجز عنها عنترة وإن جال وصال وزار، ولا يطيقها امرئ القيس وإن ركب وعقر، ودونهما بفرسخ عمر بن ربيعة وإن تشبب وغزل وهكذا دواليك.([2])

([1])الأدب السنغالي العربي للدكتور عامر صامبالشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر الطبعة 2/ 1978 الصفحة 19

([2]) الإيناس في حياة وأعمال الشيخ الخليفة محمد نياس الطبعة 2009/1 دكار سنغال الصفحة 87.

كما ختم الأستاذ محمد جماكاه بحثه لنيل شهادة مستر2 بعنوان(**المدح النبوي في شعر الخليفة الحاج محمد نياس**) قائلا: إن الشيخ محمد خليفة نياس يعد فحلا من فحول المدح النبوي في السنغال، وما كان ليمثل هذه المكانة لولا تمكنه من جميع فنون العلم العربي من الأدب، والبلاغة، والنحو، والصرف، والعروض، وسائر العلوم الإسلامية. وتبدو شاعريته في قدرته على تنويع أساليبه في المدح النبوي، حيث يستخدم الجمل الفعلية الدالة على التوتر والحركة والتجدد في قصائده تارة، وتارة أخرى يستخدم الجمل الاسمية الدالة على الإثبات والتأكيد والاستقرار. كما أنه يجمع بين الأساليب الخبرية والإنشائية حسب ما تقتضيه المواقف الشعرية المختلفة.([1])

وعلى كل حال فالشيخ الخليفة الحاج محمد نياس يحمد الله تعالى على ما أولاه الله من النعم الوافرة والمواهب اللدنية والخصائص الرحمانية بتربعه على كرسي العلم والولاية وبقبول أمداحه وخدمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحفيده الشيخ أحمد التجاني الشريف رضي الله تعالى عنه وأرضاه. ولذلك أنشأ يقول لما بشره والده بذالك:

الحمد لله على قبول أمداحنا بحضره الرسول
صلى عليه واهب الأنعام وآله وصحبه الكرام
وبجانب شيخنا التجاني ختم الولاية عظيم الشأن
فرحت إذ جآء به المبشر من حضرة الغيب ونعم المخبر
حسبي من العز ونبيل الجاه أن كنت خادم رسول الله
وخادما لنجله قطب الورى ممد أقطاب الرجال الكبرا
قبوله أرجو به قبولي بين الورى ونيل كل سول
قد صرحا بشائر المرائي به وأهل الكشف والصفاء
أرجو دوام خدمتي لأحمدا صلى عليه ذو الجلال أبدا
وبيقت خدمته في عقبي صلى عليه الله مر الحقب

([1])المدح النبوي في شعر الخليفة الحاج محمد بحث كتبه الأستاذ محمد جماكاه لنيل شهادة ماستر 2 في جامعة شيخ أنت جوب السنة الجامعية 2011- 2012م الصفحة 87.

والآل والصحب ذوي المكارم ما قبل المخدوم مدح الخادم

وقد تناول الأستاذ إسماعيل دم جوانب مهمة من مؤلفات الحاج محمد الخليفة نياس وقد ارتأيت أن أوردها فيما يلي:

"إن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله علم شامخ من أعلام الأدب واللغة والعلوم الشرعية،له عدة دواوين وفتاوى. وقد تمكنا من معرفة بعضها بفضل مجهودات ابنه البار سيدي لمن انياس الذي نشر له ديوان :**خاتمة الدرر على عقود الجوهر في مدح سيد البشر، والكبريت الأحمر في مدح القطب الأكبر**. وخلال تصفحنا لديوانه الضخم، خاتمة الدرر، لمحنا مقدرة شعرية وتمكنا لغويا وخيالا فياضا لدى الشيخ محمد الخليفة.

وفي هذه اللمحة السريعة، نحاول أن نتطرق إلى أكبر مميزات شعر محمد الخليفة:

كان شاعرا طويل النفس، يحترم ـ غالبا، عمود الشعر الكلاسيكي الذي يتطرق إلى مواضيع جانبية إلى أن يصل إلى الموضوع الأساسي. وهو بذلك يسلك مسلك شعراء العرب قديما في شكل القصيدة ومضمونها، فمدائحه كلها للرسول صلى الله عليه وسلم ولشيخه أبي العباس أحمد بن السالم التجاني. ويتسم أسلوبه بالجزالة والرقة مع الفصاحة والرصانة، مما جعل الشيخ العلامة اللغوي محمد بن المختار العلوي الشنقيطي يصفه (***بأصمعي الفصاحة والبيان، وحسان المديح النبوي، ورياحي الجنان الأحمدي***).

ومن أهم ما يلفت نظر الباحث عندما يطلع على ديوانه المذكور سابقا، كون الشيخ محمد الأديب الشاعر يمزج قصائده بكل ما يحيط به من رونق وبطاح وأرض ومساء ونجوم. بل أنه يسخر كل الطبيعة لهدف واحد وهو الإشادة والحنين والشوق إلى بلاد الحرمين الشريفين أرض طيبة، يقول ـ مثلا ـ عندما شاهد لمعان البرق.

فيالك من برق على محب فيا ليتني من حيث دار أصاحبه
سقى النخل في البطحاء بطحاء طيبة إلى حيث من أحد تبدت جوانبه
إلى القبة الخضراء فالروضة التي بها النور في الآفاق تبدو عجائبه
فيا ليت شعري هل بها لي عودة فينعش منها ذاهل العقل ذاهبه
بحيث أحييه وألثم تربه وأشكو همومي عنده وأخاطبه

إن من يقرأ قصائد الشيخ محمد الخليفة يجد نفسه، وكأنه في بيئة شبه الجزيرة العربية، في مكة والمدينة بالذات، وضواحيها خاصة، حيث النخيل وبطحاء طيبة والروضة والقبة والوديان.

إذا لاح برق على نحو الحجاز ترى عيني من النوم مما هاج محرومه
أرض الحبيب الذي لولا حقيقته أكرم به، كانت الأكوان معدومه
نور الكمال كمال النور فهو له أصل ومعدن إنشاء وجرثومه

أصبح كل ما يحيط به يحرك شوقه إلى مدينة الرسول، وهذه عبقرية نادرة، لا عهد لنا بها في الشعر السنغالي العربي قبل الشيخ محمد الخليفة، وهي مزج الطبيعة بالشعر مستعملا الخيال من أجل أن يتحقق مناه وأمله، وتنطفئ لهيب أشواقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

أيا برق خيم بالعتيق وجد به معاهد خير فضلهم غير كاذب
معاهد أنصر النبي وقومه وعرته من بين أهل وصاحب
معاهد طابت هجرة ثم تربة لأكرم خلق الله جم المناقب

ولهذا الشوق الحار إلى تربة طيبة، سكب دموعا مسجوما، وظلت أجفانه مكلوما.

أذري الدموع على الخدين مسجومه شوق الأحبة فالأجفان مكلومه
لا الدمع يبرد من هم الجوى لهبا فالقلب بنار الحب مضرومه

إنها نار الحب الصوفي، حب الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل ما يتعلق به، ويذكره به.

فكل شيء يثير ذكراه لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حتى سجع الحمام وسني البرق:

أثار الهوى سجع الحمام السواجع على فنن غض الأراكة يانع
فيالك من شوق تجدد كلما تغنى حمام أو بدا ضوء لامع
نعم إن مشتاق الأحبة لم يزل يهيج له الأشواق فيض المدامع
فطورا بتغريد الحمام وتارة بضوء بريق بين مزن طوالع
وكل سني يبدو لعيني تخاله سنى وجه خير الخلق أكرم شافع([1])

ومعلوم أن الشيخ زار بيت الله الحرام، حاجا عام 1910م، وعمره آنئذ تسع وعشرون سنة (29) لأنه من مواليد عام ألف وثمانمائة وواحد وثمانين 1881م ولكن ذلك لم يشف غليله بل ظل يحن إلى الأرض التي بها خير الورى محمد صلى الله عليه وسلم:

إن الربوع وإن تقادم عهدها فلها جديد الشوق بين الأضلع
طال الحنين إلى معاهد طيبة وتشوقي بها دهرا وتوجعي
أرض بها خير الذي وطئ الثرى أكرم بها من بقعة أو موضع

([1]) ديوان خاتمة الدرر: الصفح. 154.

وبالرغم من ذلك، فقد ظل دائم الهيام شديد التعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبالبقع الإسلامية المقدسة،فقلبه دائم الخفقان، وجسمه يكتوي بنيران الشوق لزيارة حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم.

فنيـــران أشـــواقه قـــد أحرقـــت كبـــدي ودمـــع عينـــي يشـــفيني مـــن العلـــل

واعجباه! من هذا الشاعر الذي أصبحت دموعه شفاء لمرضه، لأنها ليست دموعا عادية سكبت لفقدان متاع من متع الدنيا، أو نعمة من نعمها، وإنما للبعد عن صفى الله الذي صرفه حبه عن كل ملذات الدنيا.

صرفت قريحتي وجميع وجهي إلى من ما له في الناس ثان
إلى من خصه المولى بقرب وبعد في المعالي غير دان
صفى الله من كل البرايا وكنز السر نادرة الزمان

هذه أيها الإخوة لمحة مقتضبة من جانب من أهم جوانب ما تناوله الشيخ الأديب محمد الخليفة في قصائده: أسلوب جزل كلمات غير نابية أبيات لينة خفيفة ورصينة في نفس الوقت، يحسبها القارئ أنها صدرت من شاعر عربي في بيئة عربية.

هذا هو الأديب الشاعر محمد بن عبد الله الخليفة، شاعر المديح النبوي، ذو الإحساس المرهف. إن آثاره جديرة بالدراسة، حقيقة بالعناية لتستفيد منها الأجيال الحاضرة والقادمة.

ونشكر الأخ سيدي لمن انياس لمبادرته الطيبة داعين الله تعالى أن يمد في عمره ويوفقه ـ هو وإخوته ـ لمزيد من خدمة الإسلام واللغة العربية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خصائص شعر الخليفة الحاج محمد نياس

إذا نظرنا إلى شعر الخليفة الحاج محمد فإننا نلاحظ أنه من أروع الشعر العربي وأحسنه من ناحية المضمون والشكل.

فمن ناحية المضمون فهو شعر إسلامي صوفي يمتاز بتنوع أساليبه وفنونه مما يعجز الواصف عن وصفه .

ومن ناحية الشكل أيضا فإن شعره يمتاز بتعدد الأغراض الشعرية، فهو يتكون من المقدمة الغزلية ووصف الديار والمطايا كما يشتمل على الاستغفار والدعاء أحيانا، والشيخ قد استخدم أغلب البحور الشعرية التي تتناسب مع أغراضه الشعرية كالطويل والبسيط والكامل والوافر وغيرها من بحور الشعر العربي وهولم يترك حرفا من الحروف الأبجدية العربية إلا واستخدمه كروي، وإن كان أكثر استخداماته للهمزة والتاء والراء والميم واللام. إلا أننا نجده في المعارضات الشعرية كما فعل مع قصيدة كعب وكذلك بردة البوصيري، نجده يلتزم نفس القافية التي أنشأ بها أصحاب تلك القصائد قصائدهم.

فشعر الخليفة الحاج محمد مزيج بما هو جيد من الشعر القديم، فهو يضاهي ويشابه في ذلك عظماء الشعر الجاهلي. فاسمع قوله وهو يقف على الأطلال:

قـــف بـــالربوع البـــوالي وابـــك الســـنين الخـــوالي
ولتســـقها كـــل دمـــع يهمـــي كفـــض اللئـــالي

لكنا نجده يتخلى عن طريقة الشعراء في القديم فيترك الوقوف على الأطلال ويسلك مسلكا آخر يبدأ به قصائده.

فاسمع قوله:

دع عنـك ذكـر الهـوى واللهـو والغـزل وما لميـة مـن رسـم ومـن طلـل
وعـد عـن كـل مـا قـد كنـت تألفـه عصـر الشـبيبة فـي أيامـك الأول

دعنـــي أســـر قاصـــدا أرض الحجـــاز بهـــا جبريـــل ســـار وفيهـــا أفضـــل الرســـل

لكن ذلك التخلي عن نهج القدماء ليس عيبا في شعره، بل إن الخليفة الحاج محمد يمزج في شعره القديم بالجديد ولا يقيد نفسه بطريقة واحدة يلتزمها في كل أشعاره، بل إننا نعجب حين نراه يبتكر لنفسه أسلوبا فريدا في نظمه يدل على تمكنه في الشعر وفي نظمه، ويدل على طول باعه في انتاج القصائد الشعرية([1]) .

وشعر الخليفة الحاج محمد فضلا عما ذكر من ناحية الشكل والمضمون، فإنه يحتوي على كثير من المحسنات اللفظية وعلى العديد من روائع البلاغة التي ترد في شعره عفوا ومن غير تكلف منه، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

الجناس: وهو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى.

وهو نوعان جناس تام، وجناس غير تام ولكل منهما أقسام.

فالجناس التام: هو أن يتفق اللفظان في أمور أربعة، نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها، ويختلفان في المعنى([2])، كما ورد في قوله:

فجـــانس الـــدمع مـــن عينـــي العقيـــق علـــى ربـــع العقيـــق بمنهـــل مـــن المقـــل

فالعقيق الأول خرز أحمر، والعقيق الثاني موضع بالمدينة.([3])

وفي قوله:

أمـــن تـــذكر جيـــران بـــذي ســـلم أســـلمت نفســـك للأشـــواق فـــي ســـلم

فبين ذي سلم وفي سلم الجناس التام.

أما الجناس غير التام: فهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة وهو أنواع منها:

1- الجناس الملفق: وهو أن يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين. ومن أمثلته في شعر الشيخ الخليفة نياس قوله:

([1]) ارجع إلى بحث (المدح النبوي في شعر الخليفة الحاج محمد نياس) لمحمد جما كاه من الصفحة 66 إلى الصفحة73.

([2]). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمي. شركة القدس للنشر والتوزيع القاهرة. 2009م الصفحة 312

([3]) ديوان خاتمة الدرر على عقود الجوهر للشيخ العلامة محمد الخليفة نياس وعليه شرح العلامة محمد بن المختار بن أحمد فال العلوي مطبعة دار التأليف الصفحة 152.

وكـــم ألفـــق ســـلوان الغـــزال بـــه وقـــد غزالـــي بســـمر الحـــط والأســـل

2- الجناس المركب وهو ما اختلف ركناه إفرادا وتركيبا. ومن أمثلته في شعره:

إن رمـــت تركيـــب حزنـــي فـــي الهـــوى أبـــدا نحـــو الحبيـــب فحزنـــي ســـاحة الطلـــل

فبين تركيب حزني وحزني الجناس المركب([1])

3- الجناس **المذيل** وهو ما يكون بزيادة أحد ركنيه في الآخِر، كقول أبي تمام

يمـــدون مـــن أيـــد عـــواص عواصـــم تصـــول بأســـياف قـــواض قواضـــم([2])

وقد ورد ذلك أيضا في شعر الخليفة الحاج محمد حيث يقول:

وذيـــل الحـــزن هـــام هامـــل ســـكب مـــن لاحـــق مـــاحق صـــبرا علـــى الوجـــل([3])

ومن المحسنات اللفظية في شعره استعماله السجع وهو توافق فاصلتين أو أكثر في الحرف الأخير.

من ذلك قوله:

فـــالهجر يحزننـــي والوصـــل يؤنســـني والقـــرب ينشـــرني والبعـــد يطـــويني

فالبيت يحتوي على أربع فقرات تنتهي كل واحدة منها بحرف واحد هو الياء.

ومن المحسنات أيضا:

الاقتباس الذي هو أحد الفنون البلاغية، فقد ضمن شعره شيئا من القرآن الكريم. وذلك كثير في شعر الحاج خليفة منه قوله:

إنـــي لهمـــزي بـــل حســـان مـــدحكم عســـاي أحظـــى بـــأجر غيـــر ممنـــون

فقد اقتبسه من الآية الكريمة في سورة التين(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون).([4])

ومنها أيضا **المقابلة**، وهي أن يأتي بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يأتي بما يقابل ذلك على الترتيب([5]). وأمثلتها في شعر الشيخ الخليفة:

([1])ديوان خاتمة الدرر الصفحة 153.
([2]) جواهر البلاغة الصفحة 314.
([3]) ديوان خاتمة الدرر الصفحة 154
([4])سورة التين الآية7
([5]). جواهر البلاغة الصفحة288

بعــزه عــذت مــن ذلــي مقابلــة والرشــد فــي ســفه والجــود مــن بخــل

فالمقابلة بين الجود والبخل والسفه والرشد والذل والعز([1])

وفي موضع آخر يقول:

فــي طاعــة اللــه عصــيان لشــانئه فهــو المطيــع وعاصــي كيــد ذي الحيــل

فالمقابلة بين الطاعة والعصيان وبين المطيع والعاصي([2])

وقد استعمل إلحاح الخليفة **التضمين** أيضا: فقد ضمن قصيدة كعب في زاد المعاد في تضمين بانت سعاد والتي مطلعها:

بــريم رامــة قلبــي اليــوم متبــول متــيم إثرهــا لــم يفــد مكبــول

وكذلك ضمن بردة البوصيري فقال في مطلعها:

أمــن تــذكر جيــران بــذي ســلم أســلمت نفســك للأشــواق فــي ســلم

ومما استعمله الشيخ الخليفة من المحسنات اللفظية **التلميح** وهو أن يشير الشاعر في شعره إلى بيت شعر مشهور أو مثل أو حكمة. كقوله:

عليــك بهديــه والقــول منــه فــإن القــول مــا قالــت حــذام([3])

إشارة إلى البيت المشهور:

إذا قالــت حــذام فصــدقوها فــإن القــول مــا قالــت حــذام

وقال في موضع آخر

أرســلت ذا مــثلا فــي حــب غيــرهم فقلــت لا ناقــة لــي فيهــا ولا جملــي([4])

ويشمل التلميح التلميح إلى المصطلحات والعبارات العلمية من نحو وصرف وبلاغة وعروض ومصطلح الحديث أيضا ونحو ذلك .

استمع إليه وهو يقول:

مســتطرد بهــواه كلمــا ألفــت نفســي كمــا يطــرد الراعــي عــن الهمــل([5])

([1]) ديوان خاتمة الدرر الصفحة 188

([2]) المرجع السابق الصفحة 201.

([3])ديوان خاتمة الدرر الصفحة 362.

([4]) المرجع السابق الصفحة 171.

([5]) المرجع السابق الصفحة 155.

فقد استخدم لفظ الاستطراد من المصطلحات البلاغية والاستطراد أن تكون في فن من الفنون ثم تخرج منه إلى فن آخر- لمناسبة- لترجع بعد ذلك إلى الفن الأول([1]) .

وقال في موضع آخر:

تأكيد ذمي بشبه المدح في عذل لا خير فيه سوى أخلاقه السفل[2]

و تأكيد المدح بما يشبه الذم أو تأكيد الذم بما يشبه المدح من مصطلحات علم البلاغة.

وقال الخليفة في المواربة وهي من المصطلحات البديعية:

فقلت للحب في عتب مواربة طال الجفا في الهوى فاسمح بوصلك لي

و**المواربة** أن يجعل المتكلم كلامه بحيث يمكنه تغيير معناه بتحريف أو تصحيف أو غيرهما ليسلم من المؤاخذة. كما فعل أبو نواس مع الرشيد العباسي حيث قال:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع عقد على خالصة

فلما أنكر عليه الرشيد قال إنما قلت:

لقد ضاء شعري على بابكم كما ضاء عقد على خالصة

فاستحسن الرشيد مواربته.([3])

وعن رد العجز على الصدر يقول:

رددت عجز الهوى لصدره طربا والشوق قد رد عجزي في التجال

ويقول في موضع آخر:

كامل الحسن وافر الفضل قلبي في بسيط من حبه وطويل
كل بحر من الهوى لفؤادي قطعته في الحب أيدي الخليل

فقد أورد بعض أسماء البحور العروضية كالطويل والبسيط والوافر والكامل لكنه يعني بها شيئا آخر إيرادا لا تكلف فيه ولا عناء.

([1]) جواهر البلاغة الصفحة 286.
([2]) خاتمة الدرر الصفحة 162.
([3]) خاتمة الدرر الصفحة 162- 163

وإذا عمقنا النظر في الفنون البلاغية والبيانية في شعر الحاج الخليفة محمد نياس أيضا لوجدنا منها الكثير التي هي بنفسها تحتاج إلى أن تكتب حولها المؤلفات لكن من باب البيان والتمثيل لا الحصر سنشير إلى بعضها.

يقول في التشبيه:

ولأنت شمس الحسن في فلك السنا ولأنت غيث الجود للمتسول

يشبه الممدوح هنا بالشمس والغيث لكنه في كلا التشبيهين يحذف أداة التشبيه ووجه الشبه، ويسمى هذا النوع من التشبيه في البلاغة **التشبيه البليغ**([1]).

ومثله أيضا قوله في موضع آخر:

فأنت شمس الوجود المستضاء بها وروحه إذ براه فالق الفلق

ومن أمثلة **التشبيه الضمني** في شعره قوله:

أولئك القوم لا أبغي لهم بدلا وكيف يترك ماء اللجة السمك

حيث ورد التشبيه في البيت السابق ضمنا ويشير إلى أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن، فكما أن السمك لا يمكنه مفارقة مياه البحر، فكذلك لا يمكنه هو مفارقة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن **التشبيه المقلوب** في شعره قوله:

ما البدر ما البحر ما الليث الهصور له في الحسن والجود والإقدام في الغرر

والتشبيه المقلوب في البلاغة هو جعل المشبه مشبها به بادعاء أن وجه الشبه في المشبه أقوى وأظهر منه في المشبه به([2]).

وغير ما ذكر من المحسنات والروائع البلاغية في شعر الحاج الخليفة نياس التي لا يمكن إحصاؤها وعدها.

ومن المحسنات المعنوية في شعر الشيخ محمد الخليفة نياس **التورية**

والتورية عند علماء البديع هي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان أحدهما ظاهر قريب غير مراد، والآخر بعيد خفي هو المراد بقرينة([1]).

([1]) جواهر البلاغة الصفحة 204.
([2])المرجع السابق الصفحة 206.

يقول الخليفة في ديونه الكبريت الأحمر:

بحر بسيط طويل المد وافره مديد فضل سريع في اللبانات
مضارع بحر طه منه مقتضب مقارب الوصل مجتث البليات
وكامل وهو للطاعات ذو رمل مسرح الفيض في أهل النهايات
له خفيف من الأوراد يوصل من قد لازم العهد حقا للفتوحات

فالبسيط والطويل والوافر والمديد والسريع والمضارع والمقتضب والمتقارب والمجتث والكامل وكذلك الرمل والمسرح والخفيف كل هذه الأسماء هي أسماء لبحور شعرية معروفة في علم العروض والتفعيلات.

فتفعيلات البسيط:

مستفعل فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعل فاعلن مستفعلن فاعلن

وتفعيلات الطوبل:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

وتفعيلات الوافر:

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

وتفعيلات المديد:

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

وتفعيلات السريع:

مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات

أما المضارع فتفعيلاته:

مفاعيلن فاعلاتن مفاعيلن فاعلاتن

وتفعيلات المقتضب:

([1]) جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي الصفحة 282

مفعـــــــــولات مفـــــــــتعلن مفعـــــــــولات مفـــــــــتعلن

والمتقارب تفعيلاته:

فعـــولن فعـــولن فعـــولن فعـــولن فعـــولن فعـــولن فعـــولن فعـــولن

وتفعيلات المجتث:

مســـــــــتفعلن فـــــــــاعلاتن مســـــــــتفعلن فـــــــــاعلاتن

أما الكامل فتفعيلاته:

متفـــــاعلن متفـــــاعلن متفـــــاعلن متفـــــاعلن متفـــــاعلن متفـــــاعلن

أما الرمل فتفعيلاته:

فـــــاعلاتن فـــــاعلاتن فـــــاعلاتن فـــــاعلاتن فـــــاعلاتن فـــــاعلاتن

وتفعيلات المسرح:

مســـــتفعلن مفعـــــولات مســـــتفعلن مســـــتفعلن مفعـــــولات مســـــتفعلن

والخفيف تفعيلاته:

فـــــاعلاتن مســـــتفعلن فـــــاعلاتن فـــــاعلاتن مســـــتفعلن فـــــاعلاتن[1]

واستعمال الشيخ الخليفة في الديوان لهذه الاصطلاحات العروضية يقصد بها معانيَ بعيدة غير المعاني المذكورة آنفا.

فالبسيط يعني به أنه بسط الله طريقة الشيخ أحمد التجاني على وجه الأرض.

وبالطويل أن مقامات أصحاب الشيخ طوال لا يدركها سواهم لعلوها.

وبالوافر أن أمدادهم وافرة عامة فيهم.

وبالمديد أن طريقة الشيخ تمتد إلى آخر الزمن.

وبالسريع أنه سريع وصول أصحابها إلى مقامات الرجال وإلى كل خير.

ويقصد بالمضارع أن بحور أمداد الشيخ يشبه بحور أمداد النبي صلى الله عليه وسلم، لأن هذا تستمد منه الأنبياء وذاك تستمد منه الأولياء. فالمضارعة المشابهة.

([1])يرجع إلى ميزان الذهب في صناعة شعر العرب للسيد أحمد الهاشمي مكتبة الآداب القاهرة طبع سنة 1997م.29- 91.

أما المقتضب فمن اقتضبه بمعنى قطعه وهو يقصد به هنا أن بحره رضي الله عنه ممتد من بحر النبوة.

ومقارب الوصل، أنه يقارب الوصول للحضرات بلا مجاهدة.

كما يعني بالمجتث أن طريقة الشيخ سبب للسلامة من البلاء، فالمجتث بمعنى المنتزع.

ويعني الشيخ بالكامل أنه يأتي بالطاعات على أكمل الوجوه لتصفيتها من الشوائب .

والرمل من رمل بمعنى أسرع ويعني بالرمل هنا أنه يتسارع في طاعة مولاه.

ومسرح الفيض أن فيضه غير مقيد بالمناهل بل مطلق، فربما فاض من بحره مدد يغرق في فيضه أهل النهاية العارفين بالسباحة الغواصين لإدراك درر المعارف.

وقوله له خفيف يقصد به أن ورد الشيخ التجاني خفيف لأنه ثلاث مائة وغيره ست مائة، وهو موصل من حافظ على شروطه إلى مقامات العرفان([1]).

إننا لو قصدنا حصر المحسنات البلاغية في شعر الحاج محمد نياس وبذلنا في ذلك كل طاقتنا لكلفنا ذلك جهودا مضنية وساعات من البحث والنظر، لكننا لم نقصد سوى ذكر بعض الأمثلة على ذلك مخافة التطويل والخروج من الغرض .

([1]) يرجع إلى الكبريت الأحمر في مدائح القطب الأكبر للشيخ محمد الخليفة نياس وعليه شرح العلامة محمد بن محمد المختار الحسني العلوي المالكي التجاني الصفحة .

الأعلام الذين تربوا في كنفه

لقد تربى على يد الشيخ وتحت منهجه التربوي الرباني جمع غفير يستحيل تعدادهم ويتعذر إحصاؤهم وذلك منذ توليه التعليم نيابة عن والده بعد تقدم سنه. وقد واصل هذه المهمة إلى أن أصبح خليفة بعد وفاة والده بل العجيب الأعجب أن هذه المهمة قد استمرت بعد وفاته أيضا عن طريق منهجه الذي يعتبر شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

فهذه الشجرة المباركة جذعها الحاج عبد الله نياس وفرعها الأول الشيخ الخليفة الحاج محمد نياس وثمار هذه الشجرة هي الهداية والعلم والعبادة والخشوع والتقوى والمروءة والصلاح والإصلاح. وإذا شبهت الخليفة في نشر العلم قلت كأنه شمس زوال ترامت أشعتها إلى كل فج، فالخليفة شمس في سموه على العلماء ونشره لشعاع النور والبركة. ولله در الشاعر حين يقول:

كالشـــمس فـــي وســـط الســـماء ونورهـــا يغشـــي الـــبلاد مشـــارقا ومغاربـــا

لقد تفرغ الخليفة الحاج محمد نياس للعلم فبدأ يدرس إخوته وأتباعه وطلاب العلم والمعرفة من مختلف الأجناس والقبائل مختلف الفنون والعلوم مواصلا بذلك مهنة أبيه وحرفة أسرته المباركة.

وقد كان الخليفة كعبة البيوتات الدينية، ورواد العلم والمعرفة من السنغاليين وغيرهم كأهل موريتانيا. ومن أولئك الذين جاءوه لطب العلم تلك الوفود القادمة من غامبيا وعلى مقدمتهم الحاج عثمان ساخو ذاك الولي التقي النقي من مدينة فاس جاخو، وكذلك الحاج عمرجي في فاس جك جي، و سرج مود جك،والشيخ علي ساخو أحد الوعاظ المشهورين في إذاعة غامبيا الوطنية، والسفير الحاج مصطفى سيسي

من زاوية جامل العتيقة، والحاج سه الإمام في برني، وجيرنو عيان تيام الذي كان يربطه بالخليفة رباط محبة قوية، والأستاذ أحمد جي في مدينة كولخ، وإبراهيم خرج كه في سول، والشيخ عبد الله آن في قرية آنين. وغير هؤلاء ممن لا يحصى عددهم ولا تحسب كثرتهم.

وقد كون الشيخ الخليفة أعلاما بارزين في منطقة ندكمان منهم على سبيل المثال الحاج مود جاني ذلك الولي الموهوب في قرية امبيين جما (Mbène dioma) وإلمان باه ابن وكه باه ابن سعيد مته باه الإمام الراتب في المسجد الجامع في بانجول عاصمة غامبيا، ومنهم الحاج بابا فاط انداو ذلك العلامة الكبير في منطقة كيِ على بعد كيلومترين من كفرين وقد اكتسب منطقة دكمان البركة بقدومه إليها، والحاج محمد الأمين لوم في جايين بغن، والحاج مدن جوب ذلك الولي المنير بعلمه وكان يتخذ من جامين كاجت مسكنا له.

إن محاولة إحصاء من كونهم مام خليفة نياس وزودهم بالعلم والمعرفة، إنما هي كمن يحاول إيلاج الجمل في سم الخياط. ولكن حسبنا أن نقول بأن أرض سالم لا تجد فيها شبرا إلا وله فيه أثر. وقلما تجد عالما يشار إليه بالبنان إلا وقد تعلم على يده أو على يد من تعلم منه. بل إن مثل الذين كونهم وعلمهم مام خليفة نياس، كمثل سرب من الجراد انتشروا في الآفاق، هذا إلى المشرق يتجه، وذاك إلى المغرب.

وإذا وصلت إلى سالوم وجدت أمثال الحاج عبد جان في طوبى جان، والحاج محمد غالي بي الذي نال شرف العلم والفتح والانفتاح بدعاء خليفة الحاج محمد له، وقد نلت أنا شرف التعلم على يده، وكان في العلم بحرا وفي الحكمة لقمانا وفي الرفعة علما وقد تعلم على يده ألاف من العلماء والفقهاء، وسرج دار مور حمين نيام من تيامين وال.

وبالجملة نقول إن نيران المعرفة في منطقة سالم قد أضرمها الخليفة الحاج محمد نياس وكان يفتي المستفتين ويرشد المسترشدين وهكذا دواليك.

ومن طرائف ما يدل على ذكائه ودقة فكره أن القائد الفرنسي **فديرب** قد وجه إلي زعماء الدين رسالة بالعربية وبخطوط غريبة فعجز العلماء عن قراءتها فأعطوها للخلفية الحاج محمد نياس فقرأها وفسرها وبينها فطابق ذلك محتوى النص الفرنسي للرسالة. وكان والده على قيد الحياة آنذاك ومن ثم عينته إدارة الاستعمار الفرنسي قاضيا ومواطنا فخريا في جرب ولكن والده امتنع من ذلك وقال بأن أولاده قد جبلوا على خدمة الشيخ أحمد التجاني الشريف. وقد كان الخليفة ولم يزل منهلا للعلماء وطلاب العلم ومرجعا لأهل الدراية وكان السابق الذي لا يلحق، والفارس الذي لا يدرك.

ولله در الشاعر:

يـــا مـــن يســـاجلني ولـــيس بمـــدركي شـــأوي وأيـــن لـــه بجلالـــة منصـــب
لا تتعـــــين بـــــدون مـــــا حاولتـــــه فـــرط القتـــاد دوار مطـــاع الكوكـــب

نبذة عن رجال رأوا مراتبه في المنام

الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيد المرسلين. أما بعد فهذه بشارات من المرائي للخليفة الحاج محمد بن الشيخ الحاج عبد الله رضي الله عنهما وعن الجميع بجاه النبي الشفيع وهي من رجال متعددين وأقاليم متفرقة. وفي الحديث (***لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة*** [1]) وفي الحديث أيضا(***إن رؤيا المؤمن جزء من ستّ وأربعين جزءاً من النبوة***[2]) . ***وفي تفسير قوله تعالى (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة)***([3]) إنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ولم يزل السلف الماضي يسأل عن المرائي ويرونها رغبة في الخير وتشوقا لفضل الله تعالى. وبالجملة فقد كثر المرائي له بالخير الكثير من جميع الجهات مع ما يضاف إلى ذلك مما يرى هو لنفسه فأحب أن يستودعه بطلب القرطاس ليجعله عنده ذخرا ليستبشر به من النعم عليه وبلوغ الدرجات التي عسى أن ينالها من فضل الله تعالى.

فمنها:

ما كتب به إليه الأخ الصالح ففا ابن سيد بن أحمدان وهو انه كان يقرؤه ورد الصبح بعد صلاته إذ رأى جماعة من الأولياء قدموا رجلا سودانيا وولوه ومضوا به إلى ناحيتهم قال أرجوا أن يكون أنت ومما يؤيد كونه هو أن الرؤيا قال إنها وقعت بعد وفاة والده بقليل.

([1])رواه البخارى عن أبى هريرة.
([2]) أخرجه البخاري ومسلم.
([3])سورة يونس الآية 64.

ومنها ما ذكره محمد محمود بن محمد الحنفي أنه وجد بي ليلة عشرين من ربيع الثاني وأنه بين النوم واليقظة فإذا بالشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه وهو جالس ومعه قوم فإذا بالحاج محمد يعني الخليفة صاحب الترجمة قال فأدناه الشيخ رضي الله تعالى عنه قربه وأجلسه على كرسي وقيل كرسي المملكة وأعطاه شيئا من يده لم يدر ما هو ولكنه حسن، وقيل هذ مقام القرب للحاج محمد. قال وفي القوم الذين مع الشيخ رضوان الله تعالى عليه. ومن خط يده.

ومنها ما كتب له به محمد الحافظ بن بد بن محمود أن امرأة يقال لها خديجة بنت محمد حرم رأت جماعة كثيرة من التجانيين فيها الخليفتان محمد سعيد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الحافظ ومحمد الأمين بن الشيخ أحمد بن بد والخليفة محمد بن عبد الله رضوان الله تعالى على الجميع.

ومنها ما رأيته من خط أحمد بن السائح بعثه إليه من فاس قال رأيت أنك جئت للزاوية المباركة في فاس وذهبت أنا وإياك إلى الزاوية ووجدنا سيدنا الشيخ رضي الله عنه في الزاوية وأجلسك على سجادة كان جالسا عليها قال وقلت له يا سيدي هذا فلان بن فلان أدع له أن يكون معك في الدنيا والآخرة. قال لي رضي الله تعالى عنه أنا أعرفه وأعرف والده رضي الله تعالى عنه وبصق في فمك ودعا لك بالخير والصلاح.

ومما كتب له أيضا أحمد بن السائح المذكور أنك إن شاء الله تدرك المقام لأنني رأيت سيدنا الشيخ التجاني رضي الله تعالى عنه خلفك وجعلك خليفة عنه في كل شيء رأيت ذالك في النوم يوم ثمانية عشر في صفر، من خطه أيضا. ورأيت من خط صاحب الترجمة أن أحمد بن السائح أيضا كتب إلى والده وهو في خاي يقول له: "وأما ولدك الحاج محمد، أطال الله عمره، كلما نرى سيدنا الشيخ رضي الله تعالى عنه ما زال يفتح الله عليه في هذه الطريقة حتى يكون من أكابر المفتوح عليهم إن شاء الله تعالى".

ومما رأى بعض الإخوان أيضا قال إنه رأى ذات ليلة كأن قائلا نادى في جماعة كثيرة واعلموا أن النور الذي من النبي صلى الله عليه وسلم ورثه محمد آمنة فقال للمنادي من هو محمد آمنة؟ فقال له اخرج تراه فخرج فإذا هو بالحاج محمد واقفا في سحاب من النور وكان النور فوقه وتحته ويمينه وشماله فقيل هو وارث الأنوار المحمدية.

ومن مرائي بعض النساء أنها رأته يدعو الناس للزاوية التي بناها والده في كولخ فأتته جماعة كثيرة. فقال لهم إن والدي أمرني أن أريكم سيدنا ومولانا الشيخ رضي الله تعالى عنه وبيده مفاتيح كثيرة مجموعة في سلسلة بيضاء ففتح أحد البيوت التي التصقت بالزاوية فخرج شيخنا رضي الله عنه فتفل الشيخ على يده. بخط من سمع الرؤيتين من صاحبتهما. ومما رأى له بعض إخوانه أيضا وهو من الصلحاء كما قيل أنه مر به في المنام وهو جالس مع جماعته الصلحاء، فقال له قائل: أنت لم تسلم على المغفور له، فسأله من هو فأومأ الهاتف إلى الحاج محمد، وقال ذلك الحاج محمد بن الحاج عبد الله. بخط من أثق به.

ومما نقلت من خط أخيه محمد زينب بعد البسملة *"وبعد فيقول كاتب اسمه عقب رسمه أنه نام في أوائل شوال بعد أداء فريضة الصبح وبعد قراءة الأوراد فرأى شيخه ووالده العارف الرباني والمربي الصمداني، شيخ الشيوخ، ومعدن الثبوت والرسوخ من جر ذيل النسيان على أولياء وفقهاء الزمان، الحاج عبد الله بأن السيد محمد رضي الله تعالى عنه وقدس روحه في النعيم المقيم وفي يده مكواة من حديد وهو يقول بأعلى صوته :من ساءه فعل الحاج محمد أصيبه بهذه المكواة" وفعل الحاج محمد هو أنه تزوج امرأة طلقها رجل طلقة بائنة وذالك غير حسن عند الولفيين. لكن ما حسنوه فمخالف للسنة والذي قبحوه عليه موافق لها والناس على ضيق من ذلك ما بين جالس وواقف فلما رأيت تلك الآلة المفزعة بيد الشيخ فزعت وبكيت بكاء شديدا مع نحيب وشهيق فلما انتبهت من النومة وجدت أثر الدموع وبللها على خدي وكنت أظن*

أن أهل الدار سمعوا بكائي. وهذا هو الذي سمح لي الوقت بتقريره ولولا خوف هتك أستار الله على خلقه لصرحت باعث البكاء ولعينت رجالا رأيتهم أصيبوا بتلك الآلة نجانا الله وإياهم من تلك الورطة، قال ومن ذلك الوقت إلى الآن ما زلت متوقعا الوقوع بهم والسلام" .من خط محمد زينب.

ومن خط المفسر إبراهيم بن الشيخ الحاج عبد الله ما نصه بعد البسملة: *"نمت في بعض الليالي فرأيت القيامة فإذا الخلق كلهم اجتمعوا لخالقهم في المحشر وأنا أنظر إليهم فرأيت منبرا نوره وحسنه يكل لساني عن وصفه فإذ أنا بشيخنا القطب المكتوم والبرزخ المختوم سيدنا التجاني رضي الله تعالى عنه على المنبر جالس والأنوار ساطعة منه فسمعت مناديا ينادي لتعلم أهل ذا المحشر أن هذا الإمام هو الذي جميع مرادكم منه قال فتعجبت وقلت في نفسي هذا هو مصداق قول العلامة التجاني بن باب "ينصب منبر من النور غدا الخ" قال ورأيت جميع الأولياء في المحشر كلهم بيده لواء بقدر مقامه وبيد شيخنا لواء طويل جدا وحسن.*

قال ثم نادى أخي وحبيبي الحاج محمد بن شيخي ووالدي الحاج عبد الله فأتاه ونزل الشيخ وأمر الحاج محمد الخليفة بالرقي فوق المنبر وأخذ اللواء الذي كان بيده الشريفة رضي الله تعالى عنه وقال له هذا مقام والدك أره الناس وكان الحاج محمد المذكور على المنبر واللواء بيده وهو ينادي بأرفع صوته هذا مقام الشيخ الحاج عبد الله ويكررها فرحا مسرورا. قال نبهني قرع صوته" نفعنا الله به آمين.

ومن خط الشيخ إبراهيم المذكور، ومن ذلك رؤيا ذكرها مريد الشيخ الحاج عبد الله نياس اسمه أحمد تيام قال إنه رأى في نومه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى وأخرج كتابا للناس ودفعه إلى الحاج محمد وأراد الناس أن يشموه للتبرك فمنعهم منه عليه السلام. وقال للحاج محمد أدخله في جيبك بعد أن قال له علمه للناس ثم قال له آتني بالماء للوضوء فأراد أحد غيره أن يأتيه بالماء فقال لايأتني به غير الحاج محمد فأتاه الحاج بالماء فتوضأ وقال له قل للناس إن والدك الحاج عبد الله أعماله كلها مقبولة

وعلامة ذلك أن بني إسرائيل ما قبل من قربانهم تنزل عليه نار من السماء فتحرقه وإن شئتم أريتكم ذالك في أعماله قال فأراهم بيوتا وقال لهم إن أفعاله في ذا البيت ثم نزلت نار من السماء فأحرقت البيت. قال وصار الحاج محمد يترجم بينه وبين الناس بكلام طويل لم يتعفه قال ثم إن الحاج محمد ركب معه في عروبة وسارا. والرؤيا المذكورة في حياة الشيخ الحاج عبد الله.

ومن ذلك ما حكي عن بعض الرجال وهو كما وصف من أهل الورع بالوالدين أنه حضر قوما يتكلمون بين الحاج محمد هذا ورجل آخر من خيار قومه فكل فريق يفضل أحد الرجلين على الآخر كما هي عادة أهل الخوض وإنه هو أي الرائي ربما نهاهم.

ويقول لهم المفاضلة بين أهل الله تعالى لا تجوز إلا بوجه شرعي فنام بعد ذلك فرأى كأن هاتفا وقف عليه وقال له ما كنتم تخوضون فيه؟ فقال أما أنا فلست منهم فلم أتكلم بينهما. فقال له الهاتف: مثل الحاج محمد كمثل الباكيت وما سواه بمنزلة حمل الجمل وأين حمل الجمل من حمل الباكيت، عمن أثق به.

ومن ذالك ما حكي أن رجلا قيل إنه من أهل القرآن إنه رأى في نومه سحائب كثيرة ورأى الحاج محمد يقسمها على الناس بقدرة الله تعالى فيقول بهذا اذهبي إلى موضع كذا وللأخرى اذهبي إلى موضع كذا، فقال له ألا تعطينا سحابة من هذه السحب فقال له بلى. فإذا بسحابة بيضاء فأمرها بالمسير إليهم فسارت كما أمرها.

خلافته لوالده

يصح القول بأن الخليفة الحاج محمد نياس قد خلف والده الكريم مولانا الحاج عبد الله قبل موته، سواء في مجال التعليم أو في نشر الطريقة وتقديم الإجازات.وكان عين والده ويده ولسانه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ أحمد التجاني والدعوة إلى سبيل الرشاد حتى كان يقول له والده" استدركتني على ما فاتني في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ أحمد التجاني وعلى جميع الأعمال التي كنت أرجو القيام بها، أنت خليفتي وخليفة الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنهما. وقد كان والده يتوسم فيه الخلافة مع ما انضم إلى ذلك من المكاشفة الصحيحة، وفراسة الوالد. أما تخليفه إياه فأوضح من الشمس. وقد قال الناس من المشرق والمغرب بعد وفاة والده: لم يفقد من الشيخ إلا ذاته الترابية.([1])

وقد التحق والده بالرفيق الأعلى يوم 18 شوال عام 1340 هـ الموافق عام 1922م، بين الظهر والعصر عن عمر يناهز 77 سنة عاما عدد (كنز) وقد كان حقا كنزا، وكان عمر الخليفة آنذاك 43 سنة عدد (جم) وكان جما في البركة والخير والصلاح والرشد والوقار. بهذه الخلافة حقق أماني والده في إخوته وأتباعه وحتى أحفاده.

أما ما يخص إخوته فقد أكمل لهم تعليمهم وسلوكهم في الطريقة التجانية وترقيتهم ووحد صفوفهم. وأما عن أتباعه فقد حقق أمنية والده في حقهم بتوسعة حلقات الذكر وحفلات المولد لدى المقدمين وأمر بإحياء الذكرى النبوية لديهم لنشر الخير والتخفيف عن الناس في تنقلاتهم التي قد تشكل عبئا عليهم فبدأ من منطقة فوتا لدى ذلك الرجل البار المخلص الشيخ تفسير بالا وكذلك التفسير مصطفى في طيبة

([1]) الإكتفا في شرح مرآة الصفا للعالم العلامة أحمد بن محمد مختار المعروف بدهاع بن محمد الحنفي الشنقيطي. الطبعة 2 شركة الأمل القاهرة. الصفحة 25.

غيين إلى أن عم ذلك جميع ربوع البلاد سواء في ندكامان وسج وسين وسالوم (جهة النهر) وأهل جومباطو وأهل ريبه إلى غامبيا.

وأكمل أمنية والده في أحفاده بتزويد أولاده وبعض أولاد إخوته بالعلم والدراية والمعرفة. وقد وفقه الله كذلك على تنفيذ وصايا والده الخمسة"

1. دفنه في زاويته حيث ضريحه الذي يعتبر موضع استجابة الدعاء.
2. الصلاة عليه مع قراءة دعاء أبي هريرة المعروف.
3. تولي أمر الزاوية وعمارتها بالورد وإلقاء الدروس.
4. توطيد ورعاية الصلة بينه وبين البيوتات الدينية في السنغال وغيره.
5. ربط الأواصر بينه وبين سلالة الشيخ أحمد التجاني. وقد كان الشرفاء يقدمون إليه من بقاع شتى وأقطار عديدة. وهذه العلاقات الذهبية ما زالت متواصلة إلى اليوم. وحسبنا تمثيلا ذكر الصلة بين أسرته والشيخ العلامة الفهامة سيد محمود وسيدي بنعمر، وسيدي الطيب، وغيرهم من الشرفاء الأجلاء.

وهذه الزاوية كانت تخرج أفذاذا في العلم والمعرفة كما كانت مركزا اجتماعيا لقضاء الحاجات اليومية وبالصلاة أحييت الزاوية مدة 37 عاما كل ذلك بالتعليم والتعلم والإرشاد وقضاء الحاجيات ونصح أهل السياسة وبذلك كان كعبة لأهل السياسة، وقبلة العلماء والأولياء، وكان بشهاب النور يواجه الظلمات ويجاهد ضد الضلال والبغي.

وفي هذا الدرب أنهى حياته إلى أن ارتحل إلى جوار ربه ليلة الاثنين عام 1959م رافعا راية المجد تاركا خلفه تراثا حيا وفياضا يؤتي أكله كل حين بإذن ربه.

وفاته

توفي الخليفة الحاج نياس يوم 1959/03/1م ليلة الاثنين وكان يقول في حياته إن الله سيتوفاه ليلة الاثنين مثل حبيبه محمد صلى عليه وسلم وذلك بعد أن قام بجميع لوازمه الليلية وكان عمره 80 عاما مثل شيخه الشيخ أحمد التجاني الشريف وكان يدعو الله، وكانت حياته زيادة ورفعة وربحا بدون خسران لا ثانية ولا دقيقة ولا ساعة ولا يوم ولا أسبوع ولا شهر ولا سنة، كل صرفه في شأن مهم وأمر عظيم من علم وهداية وتقوى وصلاح وإصلاح فكان بذلك جديرا أن يقال عنه ما قاله هو عن شيخه الشيخ التجاني:

وبالثمـــانين عـــاش الشـــيخ مجتهـــدا فـــي طاعـــة اللـــه والأنـــوار تزدحـــف

وقد حقق أمنية والده البار في حياته كما حقق أمنيته في مسيرته من أجل طاعة ربه وخدمة عباده وإرشادهم إلى الطريق القويم ورفع العباد إلى المقامات العليا وإرائتهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما وإروائهم الأتباع علوما بلا تعلم ويستجيب الله دعواتهم بواسطته لان دعاءه كالسيف البتار لدى ذوي الحاجات فقد كان يدعو للعقيم فيلد، وللفقير فيثري، وللملهوف فيقوي، وللجاهل فيهدي، وكان يدعو لطالب السيادة والقيادة فيقع مطلبه كما طلب.

وقبل وفاته جمع أولاده الكرام وعلى رأسهم خليفته وسمى والده الحاج عبد الله الخليفة فأوصاهم بأربعة أمور:

1. الوحدة بلا تفرق حيث يأخذون سويا ويتركون سويا.
2. أن يعملوا للإسلام ولطريقة الشيخ أحمد التجاني الشريف.
3. أن يرشدوا الأتباع وأن لا يضلوهم وأن يحيوهم لا أن يحيوا بهم.
4. أن يأخذوا العلم إماما ومرجعا لهم في كل شيء.

وقد سار أولاده من بعده في هذا الدرب المبارك ابتداء من الحاج عبد الله ثم الحاج بابكر والحاج عمر نياس والشيخ الحاج إبراهيم وسائر الذين تفرعوا من سلالته الكريمة، بل يصح فيهم قوله تعالى (***من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا***)([1]).

ونصب الحاج عبد الله ابنه الأكبر على الخلافة وراثة عنه وعن سميه وجده الأعلى الشيخ الحاج عبد نياس.

ونصب الحاج بابكر ذاك الولي الكامل على معاملة أهل السياسة أمثال الرئيس السنغالي الأسبق سنغور ولمين غي، والحاج عمر ذلك المجاهد الأكبر والزاهد عن الدنيا على كرسي التدريس مع أخيه الكريم الخليفة الحاج إبراهيم نياس كما عين الحاج أحمد نياس ذالك الولي المفخم للجولة ولتفقد أحوال التلاميذ.

ذريته الطيبة

إذا كان التراب واري جسد الشيخ الخليفة الحاج محمد نياس فإن الدهر لم يوار مهنته وعطاءه فما زال بحرا فياضا معطاء إلى لحظة قراءتك هذه العبارة، فعطاؤه مستمر عن طريق أبنائه الذين كونهم ورباهم فأحسن تربيتهم وأولئك الذين يمكن تسميتهم بأبناء الروح.

وقد خلف أحد عشر ذكورا كانوا أحد عشر كوكبا وقد توفي في حياته اثنان من أبنائه وهما **عثمان وحبيب**. وقد سمى جميع أبناءه إما بالنبي أو الصحابة أو الشيخ أحمد التجاني أو رجال الطريقة الكبار، وأكبر أبنائه الذكور هو **الحاج عبد الله** سمي والده وخليفته الأول ووارث سره كما سيتبين ذلك.

([1]) سورة الأحزاب الآية 23.

والثاني من الذكور هو **الحاج أبوبكر** سمي أبي بكر الصديق وخليفته الثاني صاحب الولاية الكبرى والآيات العظمى.

والثالث هو الولي الأشهر الكبريت الأحمر أبو الفضل الذي جمع بين الشريعة والحقيقة **الحاج عمر نياس** سمي سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب وكانت صفاته كصفات عمر الفاروق في الشجاعة والعزيمة والوقار.

والرابع هو سيدنا وشيخنا ووالدنا التقي النقي الزاهد الذي أعرض عن الدنيا إلى الآخرة **الحاج علي نياس**.

والخامس هو الولي الأكبر صاحب الكرامات الباهرة والمزايا الفاخرة، الطود الشامخ، والملجأ القوي، مولانا الحاج **أحمد نياس والدي**، سيدنا وسمي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان ينظم في العام أكثر من مائة مناسبة للمولد النبوي الشريف وكان كذلك يعيش بعمل يده فكان مزارعا كبيرا استقر في ندكمان حتى توفي ودفن فيها بوصية منه.

والسادس هو صاحب الأسرار وأمين سر والده الخليفة الحاج محمد نياس وهو صاحب الدعوة المستجابة **الحاج إبراهيم نياس** ذلك العالم العلامة وصاحب الهبات الربانية والصفات الحميدة والذروة الرفيعة.

والسابع هو **الشيخ أحمد التجاني نياس** سمي صاحب الطريقة صاحب السلوك الحسن والتدين الخالص حبيب الشيخ أحمد التجاني.

والثامن هو السيد **العربي الدمراوي المشهور بمحمد العربي** الذي يعتبر مدفعا يرمي بعيدا، استقر شمال البلاد ناشرا رسالة الدين والطريقة وقد امتاز بقوة الذاكرة وسعة الصدر وانفتاحه على سائر البيوتات الدينية والعلماء.

والتاسع هو **أحمد خليفة نياس** صاحب العطايا الجمة والجواد الفياض الذي بسخاء يده المعطاء أوصل مئات الناس إلى أرض الحرمين الشريفين. وقد فتح فرص العمل للشباب الذين كادوا أن يتخذوا التواكل منهاجا للحياة فوفر لهم فرص العمل والاعتماد على الذات وكان ولم يزل لأهل السياسة مرشدا وناصحا شجاعا.

ولله در الشاعر والقاضي الشرعي في غامبيا الحاج علي ساخو حيث قام وقال فيه قصيدة هذه القطعة منها:

يابن الخليفة فرع العلم والعمل فرع الهدى والتقى في أحسن الملل
يا من تنشأ من نور الولاية من نور النبوة بل من أكرم الرسل
يا من تحلى بأخلاق مطيبة ومن له همة أعلى من الزحل
يا من سيادته بيض المهارق مع سود المحابر تبدي أفصح الجمل

والعاشر هو ذلك العالم **العلامة المشهور بسيدي الأمين نياس** شخصية 19 مارس 2011 الذي آثر أن يكون عونا لضعفاء الزمان والمستضعفين كأنه يقرأ عليهم قوله تعالى :(***ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين***)[1]. وقد أصبح من الرجالات الذين يعدون بالأصابع من أهل الدراية والشجاعة وصناعة الرأي العام في البلد، وهو من أكثر أولاد الخليفة الحاج محمد نياس حجا وزيارة لضريح المصطفى صلى الله عليه وسلم. ولله در الشيخ الشاعر صالح توري ممثل الطريقة المريدية في تياس في ذكر شمائله حين قال: هذه الباقة على الرغم من ذبولها أهديها إلى صديقي فضيلة الأستاذ الكبير سيدي الأمين نياس بمناسبة مروره علينا في طريقه إلى مدينة سنت لوي، عاصمتنا السابقة مع كامل سروري. ثم قال:

خذ من صديقك باقة الأوزان تشدو بفضلك طيلة الملوان

[1]) سورة القصص الآية 5.

قلمي يعبر دائما عن كونكم بطلا يقاوم كثرة الطغيان
لك في الدفاع عن التصوف خطوة يرضي بها الصوفي ذو العرفان
قاومت أهل الخوض في الأوهام وهزمتهم بصراحة البرهان
دافعت عن شيخي خديم المصطفى فجزاك ذو الاحسان بالإحسان
لاحظت فيك مكارم الأخلاق جلت عن الإحصاء في الديوان
لك مستوى لجميع آفاق العلوم عال كأنك منبر العرفان
لقنت أهل الغي والإفساد درسا من الإخجال والخذلان
صافحت أهل الرشد والإصلاح وغمرتهم بالبر والإحسان
خذ هذه مع باقة الإعجاب بصمودكم في جبهة الشيطان

وبعد هذه القصيدة الرائعة، أورد أخونا وحبيبنا في الله الأستاذ الماهر بابكر أحمد طبر تيام ، المسؤول عن مركز الحاج أحمد نياس في كفرين_ والذي أسسه مؤلف هذا الكتاب_ أورد الأخ المذكور قصيدة يرحب فيها سيدي الأمين نياس و يقدر فيها جهوده في الدفاع عن الدين والوطن قائلا:

سعدت فزت أيا كفرين يا وطن أنى لفخرك بغداد أو اليمن
علوت إذ أنت قد أحظيت من كرم بوطأة من شريف جده الحسن
ذاك الشريف وذاك الشيخ ذاك فتى بهمة منه يعلو الشعب والوطن
ذاك الحسيب النسيب ابن الخليفة شيـ ـخ القوم من لا يرى مثلا له الزمن
هذاكمو سيدي الأمين أمنكمو من دون همته الأهرام والفتن
فسيد القوم في المأثور خادمهم وأنت خادمهم حقا ومؤتمن
أبيت ذلا وجورا واعتدا أبدا فقمت لله كالأولى له ركنوا
ولم تزل دائما تبدي جواهرآ راء زرت حبرا ما إن لها ثمن
إن كان يزعمك المغبون من سفه غير ذويه ويغشى قلبه الإحن
فإننا دائما_ ونحن أهل الرأى_ نراكمو زينة الأوطان يا حسن

نراكمو سيدا في الحق مجتهدا لتختفي بدع وتنجلي السنن
مكن ودكمو والود ملتزم وضدكم عندنا يا شيخ ممتهن
لا زلت منتصرا لا زلت مرتفعا لا زال تجلو بك الأدران والشجن
عيشا طويلا معافى باهرا علنا يغشاك من ربك الخيرات والمنن
بجاه والدكم مع جاه والده وجاه من لا يفني أمداحه اللسن
محمد سيدي الهادي الأمين إما م الرسل من ساد منه الشام واليمن
صلى عليه وسلم رب خالقنا ما انساب حافلات الهوج والسفن

والحادي عشر هو **السيد بشير صاحب** الشهادات العليا والمتعددة ، فهو كثير الفعل، قليل الكلام وهو بشارة كاسمه الكريم.

بناته

وقد رزقه الله عشر بنات صالحات، قانتات، مسلمات، مؤمنات، وقد سمى بناته بزوجات النبي وببناته. **فأكبرهن فاطمة الزهراء** وكانت عابدة مخلصة وقد رزقه الله كذلك أحفادا من هذه البنت أمثال: الحاج مور فاط جوب ذلك العالم الفقيه الشاعر والكاتب وكان إماما مشهورا في قرية جوبين والو.

البنت الثانية: هي **سخن أجرة فاط سامب نياس** التي كانت تصوم نهارها وتقوم ليلها ولها أولاد يشار إليهم بالبنان في العلم والهداية منهم الحاج مالك انجاي الذي له وجه شبه بالخليفة الأول الخليفة الحاج عبد الله نياس حيث كان تاجرا مخلصا وصادقا. وقد أرجع قرية كجي إلى رشدها واسترجع لها نورها، والحاج مام آس نياس الذي تخرج في كلية الشريعة والقانون في المملكة العربية السعودية، والعامل المخلص الحاج شيخ أحمد جاي صاحب المناسبات.

والثالثة: هي سخن أجرة **رقية نياس** تلك المرأة الصالحة القانتة العابدة كانت تصوم نهارها وتقوم ليلها لا تخاف في الله لومة لائم.

الرابعة: هي **سيدتنا خد عائشة نياس** سمية سيدتنا خديجة وهي عابدة قانتة مخلصة مطيعة لبعلها.

والخامسة: هي تلك المرأة الصالحة المطيعة لزوجها البرة **سخن زينب نياس** المعروفة بـ جي نياس سمية بنت رسول الله صلى عليه وسلم زينب.

والسادسة: هي السيدة آمنة نياس وهي آمنة كاسمها قانتة عابدة لربها.

السابعة: هي **سخن خديجة نياس المعروفة بخد أَوَ** زوجة ابن عمها سرج مكي نياس ابن شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس.

والثامنة: هي الحاجة **ندي أم نياس** مطيعة لزوجها ومصداقة لربها.

والتاسعة هي سخن **خديجة نياس** المعروفة **بخد مينغي** نياس وتعتبر هذه المرأة خادمة أحفاد الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه.

والعاشرة: هي العاملة المخلصة، العابدة الملازمة للذكر والتلاوة، **سخن سلمى نياس**، التي أعجبت أهل السنغال وأهل فرنسا بشيمتها وأخلاقها الحميدة. وقد دافعت عن المرأة المسلمة وحشمتها.

خلفاؤه من بعده رضي الله عنه

أول خليفة للخليفة الحاج محمد نياس في هذا العمل الرباني هو العالم العلامة البحر الفياض، الزاهد الورع، صاحب المروءة والشجاعة، الذي دافع عن المبادئ والقيم النبيلة وهو الحاج عبد الله نياس سمي والده الذي ورثه شكلا ومضمونا. وقد صدق الشاعر الموريتاني محمد فال العلوي حين قال عنه:

إن كـــان عبـــد اللـــه جـــاء بمحمـــد فمحمـــــد يـــــأتي بعبـــــد اللـــــه

وأجابه الشيخ الحاج عبد الله قائلا:

إن كـــان أنجـــب جـــدنا بمحمـــد فمحمـــــد بـــــاهى بعبـــــد اللـــــه

وإلى هذا التوارث المثالي يرجع فضل إنشاء المسجد الجامع في لون نياسين حيث كان والده وجده قد تركا زاوية فتخلى عن منزله لصالح المسجد الجامع وكان كثير من إخوته والأتباع تحت كنفه يتحمل لهم متطلبات المعيشة وكان ذا بهاء وهيبة ووقار ومروءة.

وكان ينظم الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف كما كان يقيم حلقات العلم والتفسير. وكان له علاقات قوية وأخوية مع العديد من الزعماء الدينيين في العالم أمثال آية الله الخميني، والحسن الثاني العاهل المغربي، وكان السياسي المشهور محمد جه من أتباعه أما علاقته بزعماء البيوتات الدينية فحدث ولا حرج ومن قبيل ذلك صلاته مع الشيخ عبد العزيز سي الدباغ وقد درسا معا في إحدى كتاتيب مدينة اندر في شمال البلاد وكان صديقا للشيخ محمد الفاضل امباكي والشيخ عبدالأحد امباكي والشيخ عباس صال الذي قال عنه قصيدة مدح رائعة سوف نذكرها لاحقا.

ومما قيل فيه ما قاله العالم الفتي المدرس الفقيه النحوي الأصولي محمد فال ابن فتى العلوي التجاني.

يـاأيـها الأستـاذ عبد الله نجل الخليفة عادم الأشباه
كن في العلوم الظاهرات مشاركا واخشع خشوع القانت الأواه
لا تنظر الدنيا الدنية واجـفها كجفاء حب رياسـة والـجاه
أن الخلافة أمرها صعب فلا تك عن حمل عبئها بالتلاهي
لابد فيها من خـلال جمة فلها خلال ما لهـن تناه
بالعلم والحلم الثقيل وبالـندا ومكارم فيها الكريم يباه
إن كـان عبد الله جا بمحمد فـمحـمـد باهى بعـبد الله

فأجابه الحاج عبد الله بن الخليفة ارتجالا.

أرجو وآمل أن أكون كوالدي شيخ المشايخ عادم الأشباه
بعـلومه وفـنونه وشـؤنـه وثـقات قلب قـانت أواه
وبجذبه وسلوكـه وبحـمله يسقى كؤوس العلم مثل الشاه
بالله أرجـو أن أكـون محققا فيما ذكـرت بما لهن تناه
بالمصطفى وبآل بيت نبيه وبجاه ذي جاه عظيم الجاه
وخلافة الأشياخ يثقل حمـلها والله يهدي كـل جان لاه
إن كـان أنجب حدنا بمحمـد فمـحـمـد بـاهي بعـبد الله

وهذا يدل على غزارة علمه وتربعه على كرسي العلم والمعرفة ووراثته لوالده الخليفة الحاج محمد نياس. وإليك قصيدة أخرى قالها محمد فال ابن بابا:

هـذا البهى الشيخ عبد الله حاج المريد به الزمان يباهي
رفعته أبنية المكارم فـاعلا بحميد فعل عـادم الأشـياه
بلغ النهايه في العلوم ولم يكن عـن بعضها بمقصر متـناه
فهو المضاهي سر والده الذي ما إن له في العالمين مضاهي
فمحمد يقفوا طـريق محمد دابـا وعـبـد الله عـبد الله
ينهى ويأمر باقتفاء المصطفى لله درك أمـر أونـاه
أهـدي إلـيها تحـية مسكية أشهى وأعذب من كؤس الشاه

فأجابه الحاج عبد الله ببديهة ارتجال، حيث قام وقال:

يا نخبة الفضلاء أهل الله وذؤابة الشرفاء أهل الجاه
أنت الذي نلت السيادة كلها وقد اقتفيت طريق عبد الله
أدركت كل معارف ومكارم وأخذت كل المجد دون تناه
نلت السيادة سيدا عن سيد ومتسلسلا كأبيك أجل أباه
فمحمد أفعاله محمودة من وصفه كالاسم ذي الأشباه
فالله يبقى صيته وعلومه ويقيه بأس حصائد الأفواه

وهذه القصيدة جادت بها قريحة الحاج عبد الله الخليفة رثاء لوالده الموهوب الخليفة الحاج محمد نياس. فقال:

أخليفة ليس الخلائف مثله وخليفة الخلفاء في الإسلام
واعالما لم يدفنوا في قبره إلا العلوم ونادر الأحكام
وله دواما يعتني بتألف في مدحه كالدر في الإنظام
وبسبطه هو شيخنا قطب الورى فصفاته جلت عن الأفهام
ذهب الخليفة بعد نيل مراده إذ ناله من بعد نيل مرام
ورث الخلافة كاملا عن شيخنا عبد الله عن الإمام السامي
عن شيخنا هو النبي محمد مختارنا في العرب والأعجام
فمضى وقد حاز المعارف والعلى وعلومه تبقى مدى الأيام
أورثتنا سر العلوم وكنزها وشاهد أشهدت بخير مقام
وله علوم في الصدور يبثها علماؤنا من بعده بكلام
وتوالف قد صانها وفرائد غير التي حملت إلى الأعمام
فالله ينصرنا وينصر حزبنا من بعده بالحفظ والإكرام
ولتسق رب ضريحه بغمائم من رحمة بتنابع بدوام
ولتحفظن جماعة بكجينا أنصارنا بالبذل والإقدام
ثم الصلاة على النبي وآله وصحبه مشفوعة بسلام

وهذه القصيدة رمز لغزارة علمه وفصاحته. ومن خلال هذه القصائد يذكر الخليفة الحاج عبد الله نياس بمنزلته وأن والده اعتنى بتربيته وتعليمه.

وللشيخ الحاج عبد الله خليفة نياس أيضا قصيدة أخرى تدل على غزارة علمه وفصاحته، حيث قال فيها:

يا فرد يا أحد يا مالك الأمم ... ياصاحب اللطف والخيرات كلهم
ويا عزيز ويا وهاب يا صمد ... يا مالك الناس والأشجار والأكم
فهب لنا كرما خيرا نفوق به ... من كل ذي ثروة وكل ذي نعم
وتصلح القلب إني حائر وجل ... ولتعجل اليسر من فوقي ومن أمم
أفض لنا بركات منك دائمة ... ولتسبل الخير مثل السيل والديم
ولتكفنا شر ذي شر وذي شرر ... ولتغفر الذنب يا ذا العفو والكرم
واستر العيب عني واسترن به ... ولتكثر الخير في كفي بلا عدم
وولني رفعة من كل منزلة ... طالت على فلل الأجبال والخيم
واجعل لنا هيبة عزا وتكرمة ... ولتكسنا ثوبك المحبوب في النسم
وتكفنا شر ذي كيد وذي حسد ... ولتحرس الجسم عن سوء وعن
يسر لنا ربنا ما قد أروم به ... سقم من المراكب يا معطي ويا رحم
فلتتمم البيت بيت الله جامعنا ... ولتحسن الحال في الدارين من نعم
فلتكفنا السوء في أهلي وفي ولدي ... وفي دياري وأموالي ومغتنم
وفي والدي والأحباب جملتهم ... والآخذين بأحبال من الذمم
وافتح لنا ربنا فتحا يكون به ... نور البلاد في علم وفي حكم
ولتشرقن لنا نور الهداية من ... نور الولاية في داج من الظلم
أريد رزقا كثيرا واسعا رغدا ... فعنه قد عجزت كفي كذا قدم
بجاه أحمدنا المحمود سيرته ... الطاهر العلم ابن الطاهر العلم
وبالملائك والأبرار قاطبة أدعو ... والرسل أجمعها واللوح والقلم
بأسمائك العظمى التي عظمت ... والمنزل من ءاي ومن كلم
وتذهب الهم والأحزان عن كثب ... ويسر الرزق يسرا غير منصرم

وبالصحابة والتابعين بهم ومن مشوا أثرهم من سائر الأمم
والآل والصحب والأزواج قاطبة أهل التقى والعلى والجود والكرم

ولد الشيخ عبد الله خليفة عام 1908م وتوفي في شهر ربيع الأول عام 1991.

وقد خلف علماء جهابذة أمثال الحاج آس عبد الله المشهور بآس خليفة الذي خلفه في كرسي الخلافة وقد سمي بالحاج عبد الله الجد وله مستوى رفيع في العربية والفرنسية، درس داخل وخارج البلاد مثل تونس، والسيد عربي نياس الذي تخرج من مصر وتبحر في علوم شتى، والسيد بشير نياس، والشيخ عبد المطلب نياس صاحب الهبات الغزيرة، والشيخ آب نياس، والشيخ مود نياس، والشيخ بشير نياس، والشيخ عامر نياس، وعبدالرحمن نياس وكلاهما عاشا طويلا في الولايات المتحدة الأمريكية معتمدين على عمل أيديهم وينشطون في اتحاد التجانيين الذي يضم عددا لا يستهان به من الأتباع الذين يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية وسيدنا عمر نياس يعيش في إيطاليا مجاهدا ومناضلا بالسلوك والقدوة ومحمد نياس ذلك التقي الورع.

وأما خليفته الثاني فهو الحاج أبوبكر نياس الولي الأكبر الورع الزاهد صاحب الكرامات، وهو مشهور بجلب المنافع ودفع المضاري. وله أتباع كثيرة من الإنس والجن وكان حبيب الشيخ أحمد التجاني. ومن عجائب أموره أن الشيخ أحمد التجاني قد أعطاه عرجون تمر يقظة لامناما وكان يزاول الزراعة في منطقة بول في خلكوم وكان صديقا حميما للشيخ صالح امباكي أحد معاصريه. وقد ولد في عام 1914م وتوفي في الربيع الأول عام 1996.

وفي خلافته انتشرت الطريقة التجانية بل في غضون ست سنوات عمل عملا واسعا يشار إليه بالبنان. وقد رزقه المولى أولادا صالحين أكبرهم هو أكبر الأحفاد وهو ذلك الفرد الفريد الحاج أحمد بابكر نياس لسان الخلفاء وأقدامهم وقد واصل عمل أبيه في جاغ خلكوم.

ومن إخوته السيد محمد الحبيب البار الصادق، والشيخ التجاني العالم الموهوب، والسيد الطيب، والشيخ محمد نياس، والشيخ محمد البشير نياس، والسيد أحمد نياس صاحب خلوة الحاج عبد الله نياس في دكار العاصمة، وعلي بدر نياس الرجل الصالح المستقر في الولايات المتحدة الأمريكية.

وخليفته الثالث هو الحاج عمر نياس الولي الأكبر والورع الزاهد الجامع بين الشريعة والحقيقة، له قدمان إحداهما على الشريعة والأخرى على الحقيقة. وفي خلافته دخل نياسين في حصنه المنيع وقد فني في حب الله ورسوله وحب الشيخ أحمد التجاني وهو وارث مقامات والده . وفي خلافته طبع بعض كتب والده ونظمت الزوايا، ولد عام 1916م وتوفي عام 2009.

وقد وفق حقا في خلافته حملة لواء الصلاح والإصلاح كما فاز الطلاب والشباب الذين كانوا تحت كنفه بزاد يعينهم في دنياهم وأخراهم. وقد وفقني الله أن حزت من يده إجازتين مقيدة ومطلقة وكان كسميه سيدنا عمر الفاروق خلقا وخلقا.

وكان يواظب على مهنة إلقاء الدروس طول حياته في الفنون المختلفة كالفقه واللغة والسيرة وكتب الطريقة وغيرها وكان منكبا على عبادة الله حريصا على اتباع سنة رسوله والعمل بها.

وقد زكاه كثير من العلماء العدول وشهدوا له بالصلاح والإخلاص. حسبنا أن نذكر منهم الحاج علي ساخو ابن الشيخ عمر ساخو القاضي الشرعي في محكمة بانجول.

توفي فقيد الإسلام والمسلمين، وفقيد العلم والمتعلمين، وفقيد الطريقة والمريدين والمقدمين الحاج عمر نياس الخليفة المشهور كشيخه ووالده الخليفة الحاج محمد ابن الشيخ الكامل الحاج عبد الله نياس، رضي الله تعالى عنه فأنشأ قصيدة رثاء وقال:

في يومنا أصبح الفردوس يفتخر ... من أجل طلعة روح فيه تزدهر
في يوم عيد تجلى الله فيه على ... عباده بجمال زاره عمر
عين الهدى خلفة الأخيار وارثهم ... في العلم والدين بالإحسان يشتهر
شخص تقي نقي زاهد متوا ... ضع حنيف إلى مولاه مفتقر
موحد مؤمن بالله معتكف ... على عبادته والقلب يدّكر
وسالك في الصراط المستقيم إلى ... مولاه دأبا لما يرضاه يبتدر
بر كريم أمين عادل ورع ... فاروق حق به يعلو وينتصر
فلا يرخص أمرا بل يؤكده ... فعلا وعما نهاه الله ينزجر
ما زال منذ الصبا يرمي إلى هدف ... يرضي الإله وفيه جاءه الكبر
وخلقه حسن فيه المروءة وال ... إخلاص والصدق طبعا وهو مصطبر
وقوته من حلال كان يكسبه ... بنفسه وهو من ذي شبهة حذر
حبر جليل تروي بالفنون معا ... ومزنه في علوم الدين منهمر
يحج حجا قويما في شريعتنا ... وفي طريقتنا بالجد يعتمر
ضوء شريعته نور حقيقته ... في الدين قل إنه شمس وقل قمر
حب النبي وءال البيت شيمته ... لاسيما قطبنا المكتوم والوزر
شيخ كبير ولي كامل ودلي ... ل للهدى وشفيع شيخنا عمر
جزاه مولاه بالتضعيف ما ربحت ... تجارة باعها في الله متجر
ثم الصلاة وتسليم الإله على ... خير الورى معه أصحابه الخير

ومما يدل على عظم مكانة الحاج عمر نياس أن مادحه على ساخو كان الناس يمدحونه على مدحه هذا كما فعل ذلك الشيخ الجاملي فقال:

طالعت نظما صاغه متبحر ... حبر أديب ماهر ومفكر
علم الأئمة زينهم وفخارهم ... يهدي العجائب ذاك حين يعبر
بحر عميق بالبلاغة مزبد ... عين جواد بالسخاء يفجر
نظم عجيب شيخنا يرثي به ... عمر الخليفة في جسين مؤثر
نظم يجر ذيول نسيان على ... سحبان وائل مثله متعذر

إني انتهيت تعجبا لما رنت عيني إليه وفكرتي تتحير
يا فخر جاغ وفخر غامبيين مع سنغال سهمك في العلوم موفر
أزريت بالماضين من بلغائهم فمنال مثلك في زمانك يعسر
كم نبهت أقوالكم ذا غفلة فيصير ذيل الجد بعد يشمر
كم أصغت الأحباب يا بحر الهدى لكلام ربك حين كنت تفسر
فلكم بكم ولكم بكم ولكم بكم حاز اهتداءا جاهل متكبر
إني إليكم يا علي مشوق فكأنني لجلال شخصك أنظر
لازلت في ذا العصر بدرا طالعا ظلمات جهل في القلوب ينور
أنهيت قولي والضمير مفعمل باللذ مما أوردته هو أكثر
ولقد أتيت ببحر كامل سيدي لكمالكم يا من بحذق تشهر
فعلى النبي صلوات ربي دائما وسلامه ما قد أقام مكبر
والآل مع أصحابه أسد الوغى أهل العلي فهم الألى قد خيروا

وقد رزقه الله أولادا يواصلون دربه، وأكبرهم ذلك الرجل الصالح المجاهد الشيخ أحمد التجاني نياس المشهور بالشيخ فاطم غي المشرف على الدوائر في أمريكا. ومنهم الشيخ محمد البشير العابد الزاهد الورع، ومنهم الشيخ محمد الحبيب الفقيه المتبحر الذي اتخذ التعليم له مهنة في الكتاتيب، ومنهم أحمد نياس، وسرج سيلا نياس وبابكر نياس.

وأما خليفته الرابع فهو الحاج إبراهيم نياس، فخر الأمة، وقبلة أهل الخير والصلاح ذلك العامل لدنياه كأنه يعيش أبدا ولآخرته كأنه يموت غدا، هو مفتاح خزانة الخليفة الحاج محمد نياس وأمينه الخاص وهو عالم مرب، وعلامة، حفظ القرآن عن ظهر القلب والأعجب من ذلك أنه حافظ على كتاب الله فعلا وتركا كما جدد بناء المسجد الجامع بصورة حديثة وواصل ما بدأه أخوه الكبير الحاج عمر نياس، وحسبه إنجاز العمل الدؤوب في بناء المسجد وتعميره وهو كذلك محيي الحفلات الدينية والمناسبات الاجتماعية.

وقد رزقه الله أولادا يقتفون قفاه، وينحون نحوه، منهم محمد نياس الذي تخرج من المملكة العربية السعودية وأخوه باب خليفة نياس المتخرج من مصر والحاج عبد الله الذي تخرج كذلك من المملكة العربية السعودية، والشيخ أحمد التجاني نياس حبيب الشيخ أحمد التجاني صاحب الصدق والوفاء، والشيخ محمد الحبيب الخطيب المحنك البليغ، والشيخ عثمان نياس الذي يشرف على الكتاتيب، والشيخ جيرن نياس، والحاج بابكر تياس في الولايات المتحدة الأمريكية، والحاج أحمد نياس وغيرهم من السادة.

وإذا أدرت مزيدا من مناقب الحاج إبراهيم نياس وإنجازاته فاقرأ هذه القصيدة التي أنشأها العالم المرحوم الشيخ أحمد تجان غي اللوغاوي الموهوب حين قال:

خليل الله يا رمز المزايا ... خليفة شيخنا قطب البرايا
وسبط القرم عبد الله من في ... سماء القوم مشهود المزايا
أتاك اليوم في حب وصدق ... سمي الغوث يحدو من تحايا
لشخصكم الموقر في يقين ... بما قد نلت من كبرى العطايا
وأرجو من نوال الشيخ عطفا ... يجنبني المصائب والرزايا
وفيضا جابلا من كل خير ... وجذبا قائدا نحو السنايا
وتقبل لي زيارتنا وتسخو ... بأجود ما يكون من الخفايا
ولاتنظر إلى خبثي وضعفي ... فمثلك للضعف أخو السجايا
تبارك في الخلافة لاترى ما ... يعكر صفو عيشك من بلايا
وأمنك وافر والعمر نوح ... بلا عجز وتنسكب الورايا([1])
وأسرتك الكريمة في أمان ... تزف لها المكارم والمزايا
كتابي عن أبيكم ليس إلا ... عناوين المحبة في الحوايا
ولا أرجو سوى كوني مضافا ... إلى الأحباب في أعلى المطايا
به أرجو الرقى إلى المعالي ... وأرجو منه محوا للخطايا

([1]) - روايا جمع روية: سحابة عظيمة المطر، شديدة الوقع.

وأرجو أن يزايلني حجابي ... وأن أسقي أفاويق العطايا([1])
فألفي في الطريقة ذا فتوح ... بما ينساب من غوث البرايا
وقل للشيخ ذا ضيف المعاني ... فلا يرضى الأواني لي قرايا
رفيقي في الزيارة بحر علم ... تموج قاذفا غر القضايا
هو الهادي بن أحمد ذو اتزان ... حباه الله خيرا لايغايا
وطول عمرَه في كل أمْن ... وجنبه المكاره والخزايا
وبلغهُ مناه بكل يسر ... وبورك في الأهالي والرعايا
على كولخ تصب مزون يمن ... وخُصت "لون" من عظمى العطايا
وصلى الله مولانا على من ... به تجدي المواهب والهدايا
وعلى آله ما كان قومٌ ... بذكْر الله في إحدى الزوايا

وقفة على الولي الكامل والطود الشامخ صاحب المواهب الإلهية والخصوصيات الرحمانية والكرامات الباهرة مولانا الحاج أحمد نياس. ذلك العالم الفاضل المخلص والعابد المطيع الذي ظل يحيي مئات حلقات لذكرى مولد خير البشر في أماكن مختلفة داخل وخارج البلاد مشارقها ومغاربها. وهو ذلك القطب الذي بدعوته أولد عقيما وأغنى فقيرا وأفرج مكروبا وأنقذ ملهوفا. وقد حظي آلاف المؤلفة بدعوته المستجابة كما تحظى آلاف بتعليمه للسيرة النبوية وغيرها وكان مزارعا كبيرا يعيش بعمل يده وله أولاد صالحون وعلى رأسهم خليفته ووارث سره سمي والده الخليفة الحاج محمد نياس ذلك المجاهد الأكبر والعابد المخلص ومن تحته إخوته الكرام أمثال الحاج مام آس نياس الزاهد الورع، والشيخ عمر نياس العالم التقي النقي، والحاج مور نياس الفقيه المتبحر في الفنون المختلفة المستقر في الولايات المتحدة الأمريكية.

إن مواهب الحاج آمد نياس لاتحاط سواء في نشر العلم أو استجابة الدعاء أو إظهار الكرامات العجيبة وإرشاد العباد إلى سواء السبيل فكان يسهر ليله ويظمأ نهاره

([1])- أفاوريق: ما اجتمع من الماء في السحاب

لنشر الدين. فقد ساهم أيضا مساهمة في رفع شأن أسرة نياسين. وقد أدخل آلاف مؤلفة في الإسلام وعدل ذلك في الطريقة التجانية. كانت حياته عبادة وعلما، فقد كان من كبار مزارعي منطقة سالوم إلى أن انتقل إلى جوار ربه عام 1988م في عمر من كان يخدمه وهو الرسول صلى الله عليه وسلم أي 63 سنة حيث دفن في غتط بل في منطقة دكمان إيفاء بوصاياه، وضريحه موضع استجابة يفد إليه الجموع لطلب البركة والإجابة.

وسأختم ببعض فضائله العظيمة ومناقبه الباهرة بهذه القصيدة التي جادت بها قريحتي فقلت:

فمن مبلغ عني ألوكا مخبرا ... لحبر جلت فيه المقامات ظاهرا
لحبر زكي الأصل ذي الفخر والندى ... تقي نقي أمره كان نائرا
إمام همام زاهد خير مرشد ... إلى خير دين كان فخما وظافرا
كريم عديم المثل في اللين والحيا ... فكالبكر في استحياء من جاء زائرا
وحيد فريد عبقري زمانه ... مرب مرق حاز حقا مفاخرا
بلاغته تنسيك أسنى بلاغة ... تحير سحبان البلاغة حائرا
فبحر محيط بالمعارف كلها ... وفي بحره يروي نزيلا وصادرا
جواد ليزري حاتم الجود جوده ... سليل سراة أصفياء أكابرا
كريم إذا ما جئته قصد زورة ... يمدك أنوارا وتلقى الجواهرا
ولي جليل أريحي مهذب ... له فضل آباء كرام أخايرا
وأنزله المولى مقاما معظما ... ومن زاره يلق الفيوض الغوامرا
له منبر يدعو إلى الله وحده ... فلم يرض غير الدين بالحق ناصرا
أبو الدين يحمي في ربوع ذماره ... مطيع مطاع الأمر ما زال شاكرا
صلاة وتسليم على مرشد الورى ... وآل وأصحاب نجوم نوائرا

وقفة تأمل في ولده البار سيد الأمين نياس

ومن أولاد الحاج محمد الخليفة السيد محمد الأمين نياس العالم العلامة الأريحي الألمعي الخريت الأديب والعابد المخلص المشهور باستجابة الدعاء، ذلك الإعلامي الذي يشار إليه ببنان الغبطة والانبهار منشئ أكبر مؤسسة إعلامية في القطاع الخاص، وهي (***مجموعة والفجر***) الإعلامية التي تضم ثلاث صحف يومية وعدة إذاعات تغذي البلاد كلها في موجة : إف إم" وقناة تلفزيونية.

وتعتبر هذه المجموعة أنجح تجربة إعلامية في السنغال وهو بذلك قد أوجد للجيل الصاعد فرص عمل واسعة وللشعب بوقا للإدلاء بآرائهم.

وبجانب ذلك فإن السيد الأمين يتمتع بقلم قوي في مجال البحث الاجتماعي، فله كتابات عديدة في مختلف المجالات منها : مستعرب بين الصحافة والسلطة" وآخر حول حكم المصافحة، كما له كتاب حول قضية الطفل العجيب شيخو شريفو كما كان له إسهامات واسعة في لقاءات دولية حول القضايا الإسلامية والثقافية.

وقد قام على ساق الجد والعزيمة بتحقيق وطبع ونشر العديد من مؤلفات والده خليفة الحاج محمد نياس التي تم العثور عليها. ويعتبر هذا العمل الجبار تحقيقا لآخر أمنيات والده هذا الولي الكامل في أخريات حياته. ويعتبر سيد الأمين نياس أيضا وارث حدة قلم والده، فكان بذلك خير خلف لخير سلف. فجزاه الله عن الأسرة، بل عن الأمة الإسلامية خير جزاء.

وإن قلت هل من مزيد قلت نعم وإليك بعض القصائد التي أنشأها له صفوة من علماء عصره أمثال سرج صالح توري ممثل الخليفة العام للطريقة المريدية في إقليم تياس حيث قال:

خذ من صديقك باقة الأوزان تشدو بفضلك طيلة الملوان

قلمي يعبر دائما عن كونكم بطلا يقاوم كثرة الطغيان
لك في الدفاع عن التصوف خطوة يرضي بها الصوفي ذو العرفان
قاومت أهل الخوض في الأوهام وهزمتهم بصراحة البرهان
دافعت عن شيخي خديم المصطفى فجزاك ذو الاحسان بالإحسان
لاحظت فيك مكارم الأخلاق جلت عن الإحصاء في الديوان
لك مستوى لجميع آفاق العلوم عال كأنك منبر العرفان
لقنت أهل الغي والإفساد درسا من الإخجال والخذلان
صافحت أهل الرشد والإصلاح وغمرتهم بالبر والإحسان
خذ هذه مع باقة الإعجاب بصمودكم في جبهة الشيطان

ومن قبيل ذلك ما قاله الشاعر المفلق الشيخ بوبكر جوب:

يا ولف تفي وولف رج مع كتجيع رعاكم الله في سر وفي علن
إذ منكم نشرة الأخبار صادرة موضحة ما اختفى من كل ما وطن
من فضلكم جاءت الأنباء ساطعة منيرة أفق الأفهام للفطن
أوصيكم باهتمام بالغ أبدا في البحث والنقد دون الشك والظنن
تدرسون حياة العصر جملتها لكل مستمع يدور بالزمن
إلى الأمام فلا تخشوا معاديكم إن اعتدى فاعتدوا وذاك لم يشن
فمن عفا مصلحا فالله يأجره أجرا عظيما ويحميه من الفتن
ولا يضركم من ضل ذا حسد عن نهج رشد وذا غي وذا رعن
وهل تزعزع رضوى نملة ضعفت لالا ولا فليمت بالغيظ ذو الضغن
والفجر مدرسة بل هي جامعة تدرس الدين والدنيا على يقن
والفجر جاءت لتفجير العلوم وإر شاد العباد ومحو الجهل والمحن
والفجر قد فجرت عين المعارف في الـ بلدان حتى صفى من كان ذا درن
والفجر نور الزمان يستنير به من راح أو غدا حيران فى الدجن

والفجر قد جاهدت في الله تضحية أدام عزتها الرحمن ذو المنن
وحاربت ضد أهل الجور صامدة أمام كل غوي ظالم خشن
وساهمت في اتقاء الشعب منهضة إلى المعالي إلى وتنفى غفلة الوسن
والفجر جاءت بنور كاشف ظلما عن وجه حق وبأن الحق كالفنن
والفجر جاءت بفجر نوره انتشرا في الشرق والغرب والحساد في الفتن
كم من فتى قد حوى علما ومعرفة من ولف حتى غدا كالنجم فاستبن
والفجر شافية للشعب غلته والفجر مستوصف المرضى ذوي الشجن
فاتحة أبوابها لذوي الـ حاجيات أين انتموا لصالح الوطن
مهما جرى سبرهم ـ فالسبق ديدنها- بين الإذاعات هذا غاية المنن
والفجر قامت بإحياء وتنمية روح التطور في الإسلام مؤتمن
والفجر قامت بتعليم الشباب معا حياة أسلافنا الهادين للسنن
والفجر قامت بتفريج الهموم وتسـ هيل الصعوبات والتوجيه للحسن
ترضي القلوب بأخبار مفصلة جاءت مفتحة من دون ما وهن
تسعى دوما لإرصاء الشعوب على تسيير أمرهم في أحسن السنن
تسبى العقول معا بحسن منهجها عبر البرامج بالإتقان والزكن
إن المؤسس المرموق سيد لمين ذو همة وانفتاح غير ممتهن
مدير العام يسعى كل آونة لأجلها ويلاقي في الصعب في المزن
لازال في حفظ رب الناس خالقنا ومن يساعده مع صحة البدن
وطول عمر وتوفيق وعافية مع التمتع في الدارين بالمنن
هذي القصيدة من فتى يحبكم محبة وصفها قد فات ذا لسن
ثم الصلاة على خير الورى شرفا والآل والصحب والأتباع للسنن

ومن قبيل ذلك القصيدة الرائعة التي نظمها السيد أحمد عمر غي الكولخي:

أهلا وسهلا بديس نفا مارس يا سيد تقدمن نحو تغيير وتجديد
آن الأوان لدفع الظلم عن بلد قد قادها قبل أجدادي بتوحيد
لم لا ويبكي شعوبي كل آونة للفقر- صاح - وأمراض وتبليد
تظاهروا دفع مظلوم ومحتقر في دولة شعبها ذو الخير والجود
إنا تعبنا لحرمان الحقوق وتهـ ميش العدالة بين البيض والسود
فلترفعوا صوت تنديد بلا تعب قولوا نجومار بتنديد وترديد
نعم نجومار فكل الأمر في عسر فالعيش غال بأسعار وتشديد
وكان نهج شبابي الانتحار لدى قصر الرئيس للتمرد وتشريد
هذه الحكومة من كانت مواعدها بالحق موعد عرقوب وتفنيد
بل إنهم نهبوا أموال شعبهموا وجمودها لحيل أي تجميد
فالكهرباء نست صاح - لاحرج مازال منقطعا حينا بتخميد
فعمنا الحزن حتى فاط باكية لكن كريم ود مسرور بتمجيد
هذه أبوها فلاح حاله خشن وذاك نجل رئيس الشعب ذي الجود
أهل الحكومة ملوء جيوبهموا بالمال والمال فيهم كالتجاويد
أما الفاتحون ما حازوا سوى تعب معلموا الشعب بين الموز والعود
مستقبل الشعب في ليل سرت علنا نجومه وبكى أطفال محمود
فَقْدُ المعارض من عيب البلاد ومن أسباب جور ذوي الأحكام يا مود
أيقظت يا سيدي شعبا كان نومهموا كنوم أصحاب أهل الكهف عش سيد
هذه وظيفة ذاع مخلص ورع وحظ كل كريم ذون تبريد
إني أراك وأيم الله قائدنا تقدمن سيد لاتسمع بتهديد
هذا وإني سأدعو الله مبتهلا نجاحكم بعد توفيق وتأييد
حتى تساوى جميع الناس كلهموا في الحكم من دون تمييز وتفريد

كرامات الشيخ الخليفة محمد

تعريف الكرامة وبيان حقيقتها

جاء في بغية المستفيد، الكرامة أمر خارق للعادة غير مستند لأسباب ولا مقرون بالتحدي، يجريها الله بقدرته على يد بعض أوليائه وخاصته ترقية لهمته أو إظهارا لرتبته، أو تأنيسا له من وحشته، أو إعانة له على وقته، أو زيادة له في معرفته، أو امتحانا له في حالته. وشرطها، أن تظهر على يد موسوم بخير وصلاح، أي صاحب الاستقامة الدينية.

ثبوت الكرامة في الكتاب والسنة

قال العلامة ابن حجر: وقد ثبت وقوعها بنص الكتاب والسنة. يشير به إلى نحو ما في الكتاب الكريم من قصة أهل الكهف ولبثهم فيه (***ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا***)([1])

وإلى مثل قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، وما قضى الله تعالى في ذلك.

وإلى نحو ما قصه الله تبارك وتعالى في شأن مريم عليها السلام، من قوله سبحانه وتعالى(***كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا***)([2]) ونحوقوله تعالى(***وهزي إليك بجذع النخل تساقط عليك رطبا جنيا***)([3]) قالوا وكان جزعا يابسا تتحكك به المواشي، فلما هزته استحال غصنا يانعا وأثمر لحينه.

وإلى نحو ما قصه الحق تبارك وتعالى في شأن آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام في إحضاره عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف.

([1])سورة الكهف الآية 25.
([2]) سورة آل عمران الآية 37
([3])سورة مريم الآية 25.

ومن ذلك قوله تعالى(***يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا***)([1])

وأما السنة فمن ذلك ما في حديث جريج وكلام الطفل ببراءته في مهده. والحديث في الصحيحين.

وفي الصحيحين أيضا، حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار بصخرة، فتوسل كل منهم بأرجى ما عمل، ففرج الله عنهم.

ومن ذلك حديث «*لقد كانَ فيمن كان قبلكم من الأمم ناس مُحَدَّثون من غير أن يكونوا أنبياءَ، فإن يكن في أُمَّتي أحد فإنَّهُ عمرُ*»([2]).

ومن ذلك أيضا قصة سارية، إذ قال سيدنا عمر بن الخطاب وهو يخطب بالمدينة على المنبر: يا ساريةُ الجبل من ترك الحزم ذل. فسمعه سارية وهو بنهاوند.

ومن ذلك إخبار أبي بكر رضي الله عنه بما في بطن زوجه، وقوله أراها جارية. فكان الأمر كما قال. ومن ذلك استحياء الملائكة من عثمان رضي الله عنه.

وكذلك ما روي عن سيدنا عبد الله بن سلام رضي الله عنه، أنه دخل على سيدنا عثمان رضي الله عنه في اليوم الذي قُتل فيه، فقال له سيدنا عثمان: أترى هذه الطاقة؟ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تراءى لي منها فقال: أحصروك يا عثمان؟ فقلت نعم بأبي أنت وأمي. فقال عليه السلام: إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا. فقلت بل أفطر عندكم. فقتل قبل غروب الشمس من ذلك اليوم. ومن ذلك الفتح لمولانا علي بن أبي طالب في العلوم وغيرها.

أما المعجزة فهي للأنبياء.

والقسم المشترك بين الكرامة والمعجزة هو أن كلا منهما خرق للعادة فإذا صدر

([1]) سورة الأنفال الآية 29.
([2]) رواه البخاري ومسلم

ذلك من نبي سمي معجزة لإعجازه لسائر الأمة دون القدرة على القيام بمثله كمعجزة نبي الله موسى عليه والسلام في عصاه، ومعجزة نبي الله إبراهيم لما قذف في النار، ونبي الله عيسى في إحياء الموتى وشفاء الأمراض المزمنة. ومعجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي تعتبر سيدة المعجزات وهي القرآن الكريم. فقد أعجز جميع الخلق عن الإتيان بعشر سور منه فقال تعالى: (***قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات***)([1]) بل أعجزهم عن الإتيان بسورة واحدة فقط فقال تعالى (***فأتوا بسورة من مثله***)([2]) بل عجزوا عن الإتيان بجملة مفيدة من قبيل القرآن الكريم (***فليتأتوا بحديث مثله***)([3]).

والكرامة ضد الاستدراج فهو مخصوص للفسقة كما قال تعالى: (**سنستدرجهم من حيث لايعلمون**)([4]).

فكرامات هذا الولي الخليفة الحاج محمد نياس لاتحاط ولاتحصى بالقلم سواء الحسية منها أو المعنوية. وفيما يلي تمثيل لاحصر لهذه الكرامات.

([1]) سورة هود الآية 13.
([2]) سورة البقرة الآية 23.)
([3]) سورة الطور الآية 34.
([4])سورة الأعراف الآية 182

الكرامة الأولى :الاستقامة في زمن الإعوجاج

كان الشيخ يمتاز بالاستقامة في القول والفعل والسلوك مما كان يعجب أهل زمانه فقد أعجز الأولين وأفحم الآخرين فكانت حياته كلها تطبيقا لقوله تعالى :(**فاستقم كما أمرت**)([1]) وكانت تطبيقا لوصية النبي صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة لما قال له :**"قل آمنت بالله ثم استقم**".([2])

تلك الاستقامة التي وصفها الشيخ أحمد التجاني الشريف بأنها في زمانه بالنسبة لمن يطلبها كمن يريد أن يصعد إلى السماء بغير سلم.

وقد طبق الخليفة الحاج محمد نياس هذه الاستقامة الصعبة المنال في حياته فكانت الدنيا طيبة مبللة خاضها الحاج محمد الخليفة نياس بنعال بيضاء وبملابس بيضاء دون أن يتعرض للوسخ فقد كان في الحقيقة مضرب المثل في الاستقامة.

الكرامة الثانية: الزهد في زمن المغريات

لقد أحاط الحاج محمد الخليفة نياس بجميع أشكال الزهد. فقد زهد عن لممنوعات قولا وفعلا واعتقادا وأعرض عن جميع ما يكره الله جل وعلا وكذلك عن جميع الشبهات وزخارف الدنيا والشهوات والمغريات، ولاتكاد ترى له مثيلا في ذلك ولو حرصت فما كان يجلس على الفراش بل على الأرض تحت كوخ من الحشيش ويزاحم الجميع أمام مائدة الطعام وما كان يلبس الثياب المكوية فإذا كويت خربها قبل أن يلبسها تواضعا. وقد بلغ به الزهد إلى أن الواحد كان يأتي إلى حضرته ويسأله عن الحاج محمد الخليفة نياس والحال أنه هو المسؤول عنه.

([1]) سورة هود الآية 112

في صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك وفي رواية غيرك.

([2]) قال: قل آمنت بالله ثم استقم.

وبالجملة فإنه قد زهد عن كل ما سوى الله ويفعل ذلك دونما تكلف لأن التكلف في الزهد ليس بزهد بخلاف العديد من مشايخ عصره أحباب الفخفخة والبهترة والعمامات الكبيرة والملابس الفاخرة.

والزهد طريقة إلى حب الله كما ورد في الحديث النبوي الشريف **" إذا أردت أن يحبك الله فازهد عن الدنيا"**

الكرامة الثالثة. فناؤه في الله وفي محبة الرسول والشيخ التجاني

كان قلبه يحيى بحب الله ورسوله والشيخ أحمد التجاني بل كان ذلك ريحانته وثمرته المفضلة، وزهرته الجميلة فلا حاجة له إلى أحد أو إلى شيء غير ذلك فكان يسمع دوي قلبه أحيانا لشدة المحبة والخشوع لله وكان يعيش قوله تعالى :(**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**)([1]). وكانت عيناه تفيضان خشوعا لله وحبا له، وكان هذا الحب يظهر في وجهه. وقد وصف العالم العلامة الكاتب الماهر ، الشيخ أحمد بكار نيانغ هذه المحبة بقلمه الذهبي حين قال:

عاش الخليفة الحاج محمد عاشقا غارقا في بحار الحب الإلهي هائما في لجج ذلك الغرام مصبوغا بصبغة المحبة والهيام(***صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة***). وإنك حين تراه، ترى فيه رجلا يعيش في روحانية متجردة من كل شائبة من شوائب النفس والهوى. وكان صوفيا فاني لا يعيش في دنيا الناس إلا بجرمه، وأما روحه الطاهرة المتثوبة الطامحة، فقد كانت تحلق في أجواء إلهية بعيدة.

وقد كانت هذه المحبة الدافع الأساسي لدى الحاج محمد الخليفة نياس لفعل المأمورات وترك المنهيات. وقد تجسد حبه للنبي صلى الله عليه وسلم، وهذا التجسد

([1])سورة آل عمران الآية 31.

ينعكس على قصائده المدحية التي بلغت قرابة 12 ألف بيت وحسبنا في ذلك تمثيلا قوله:

كانـــت محبتـــه قـــوت الجســـوم لنـــا ونـــوره قـــوت الأرواح لأمثـــال

وقال أيضا في موضع آخر:

هنـــاك أفنـــى عـــن الأكـــوان قاطبـــة حتـــى عـــن الـــنفس والإدراك بالجســـد

ومن شواهد محبته وفنائه في رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما أتى المولد النبوي صلى الله عليه وسلم عام إحدى وستين وثلاث مائة وألف هجرية وهو مريض حتى ظن الناس أنه لا يقدر أن يعمر الليلة كما كان يعمرها أكثر من ثلاثين سنة نظم هذه القصيدة على سبيل الاستغاثة بالله لشفاء أمراضه الظاهرة والباطنة: وإنقاذ الناس من الفتن فاستجاب الله دعاءه وكل بيت منها انهمرت معه دموع غزيرة لقوة الوارد.

أدعوك يا رب في أمالي اللاء أعيين غيرك من دان ومن ناء
فأنت يا رب معبودي ومستندي ولم أزل منك مصحوبا بالاء
إني مريض وليس الطب ينفعني فأذهب الداء عني مذهب الداء
بمن به سادات الرسل الكرام ومن سادت به القوم من ماض ومن جآء
إني ضعيف فقير مسني ضرر لاتشمتن بي حسادي وأعداء
وقفت بالباب ذا ذل وذا أسف لما اعتراني من ذنبي وأهوائي
قد عيل صبري بما قاسيت من وجع وما رأيت سوى ربي لاسواء
إني تحملت ثقلا لو تحمله ثهلان لاندك أو أمسي كوعساء
أكاتم الحب مني ثم يظهره دمعي الجموم ونار بين أحشائي
فإن رددت سآلي أين موقفنا ووافق الاسم مني خير الأسماء

إلى أن قال:

فارحمهم رحمة تغني جميعهم وأبدلن لهم ضرا بسراء
واغفر ذنوبهم واكشف كروبهم واشمل جميعهم منها بنعماء

وارحم عبيدك ذا واغفر جنايته ولتكفنا شر نمام ووشاء
ووقفنا لدين المصطفى أبدا فلم نحد عنه لمح الطرف من راء
ثم الصلاة على المختار شافعنا ما نال عبد دعاه كل حوجآء

فهذه الأبيات تدل على شدة محبته للنبي صلى الله عليه وسلم. ولا غرو لأنه سميه في الظاهر والباطن وقد أشار إلى ذلك في تضمينه للبردة:

تواطؤ الاسم واسم الوالدين به فلي ذمة وهو أوفى الخلق بالذمم

وقد أثبت ذلك في حفلات المولد النبوي التي كان ينظمها حينا لآخر كما كان يأمر مقدميه أن يفعلوا مثل ذلك بحجة أن احتفالاته وحدها لا تستطيع أن تحقق مقصوده.

وكان يمرض حتى لا يقدر على القيام فّإذا حل هلال شهر المولد برئ. وكان يقول: لست أدري متى بدأت حبي للرسول صلى الله عليه وسلم، وكان في وقت الرضاع إذا سمع ذكر محمد توقف كما سيتبين ذلك في أول بيت أنشأه فكان دعوة لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم حين قال:

وهب لنا كرما زاد يبلغني ديار حبك قبل الشيب والهرم
حتى أنيخ بمن كانت محبته قبل انفطامي وقبل الدرك للحلم

وقد استجاب الله دعوته فحج إلى بيت الله الحرام في ثلاثينات عمره.

وأما محبته للشيخ أحمد التجاني فقد أكد ذلك بأشكال مختلفة فأحيانا بالاقتداء به أو التشبه به أو مدحه. فقد مدحه في ديوان كبير وهو الكبريت الأحمر الذي يحتوي على أكثر من 3 آلاف بيت في بحور مختلفة. وكان للشيخ التجاني مكانة بلا مراء ولا خلاف لدى السودان والبيضان وفي ذلك يقول:

جردت من قريحتي مهندا غضبا لاسقيه به كأس الردى

عرضـــت نفســـي إلـــى الطعـــان والضـــرب دون شـــيخنا التجـــاني

إلى أن قال:

ألقيـــت مـــن مقـــولي النظـــيم فـــي الســـحر منـــه بعصـــا الكلـــيم

فكتابه المسمى: "**الجيوش الطلع**" يكفي شاهدا على محبتة للشيخ أحمد التجاني وقد طار في الآفاق وانتشر في البلاد ويعتبر ثالث ثلاثة أولها جواهر المعاني للشيخ أحمد التجاني، فالجوهر ثمين وغال يحتاج إلى سلاح لحمايته هنالك أتى الشيخ عمر الفوتي بالرماح، والرماح تحتاج إلى رماة يحسنون الرمي. ومن ثم جاء الحاج محمد الخليفة نياس فألف كتابه الجيوش الطلع بالمرهفات القطع.

وما أعجب الحاج محمد الخليفة نياس حين يقول:

فقلبي ثم ذاتي ثم روحي وداد في وداد في وداد
سقيم لايموت ولا يفيق تحمل قلبه ما لايطيق
تحمل من هوى الختمي داء دواه ما يبين له الطريق
وفي الجفين منه والحوايا تنازعت الغمائم والحريق

واقرأ إن شئت قصيدة أخرى من هذا القبيل مطلعها:

محبة شيخي في فؤادي ترسخ فشيخي لأمداد كنز وبرزخ
وكل مقام للولاية شامخ فشيخي أعلى منه قدرا وأشمخ
فشيخي التجاني تاج أهل ولاية ممد جميع الكون بالفيض برضخ
فكم من مريد نال قربا بحبه له وهو قدما بالذنوب ملطخ
أشيخي هذا مستجير ببابكم يناديك للحاجات طرا ويصرخ
تسير به من حبك الدهر سيدي نجائب شوق في حماك تنوخ
ولا حب شيء غير حبك سيدي فحبك للأشياء يمحو وينسخ
فلو نلت وصلا منك فى سنة الكرى لكنت بذاك الوصل دهرا أورخ

فلو كان قرب الدار يدني مودة بها تذهب الأحزان والروع يفرخ
لأعملت نحو الوصل سفنا مواخرا ونص المهاري في الأزمة تنفخ
أؤمل عطفا منك يدني مكانتي وإن شط من فاس السنية كولخ
فذكرك أنسي كل حين فلم يكن يؤنسني دهرا حميم ولا أخ
سلام على المختار من قد غدى به منار الهدى فوق المنارات يشمخ

وقال أيضا واصفا محبته في شيخنا التجاني، تاج العارفين إمامهم وممدهم في هذه الأبيات التالية:

يا ساكن القلب إن القلب مضطرم فالعجب من ساكن في حال مضطرم
ما بين حرق وغرق في جوانحه فالعين في لجج والقلب في لهب

الكرامة الرابعة: إحياء السنة والحياة بها

كانت قدما الشيخ على السنة النبوية الشريفة قولا وفعلا ومشابهة فتجده في جميع تصرفاته يستأنس بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم في المنزل وفي المجتمع في الحضرة وفي السفر فتبارك الله أحسن الخالقين.

وكان كثيرا ما يردد قول الشاعر:

كان معي بجر الكمال حيث يميل قلبي يميل

فكانت حياته كلها سنة بل كان يعتبر نفسه حارسا للسنة نفسها كان سنيا في القول والعمل فكان يقتدي بكل ما يصح عن الرسول من مشية وشربة ولبس وجلسة. فالسنة له ملبس لم يفارقه أبدا وكان يعينه على ذلك صاحب السنة نفسه.

وإذا اعتبرنا ما سبق من كرامات ظاهرة فإن له كذلك كرامات باطنية نذكر منها ما يلي: يحكي أن رجلا أوعده حاكم منطقته وخاف من أذى الحاكم فأتى عرافا فكتب له ما شاء أن يكتب لكن ذلك لم ينفع الرجل، فجاء إلى الحاج محمد الخليفة نياس

وكتب له نفس الشيء فقال له الرجل إنه مثل ما كتب لي العراف فأجابه الحاج محمد الخليفة نياس : إن الكتابة واحدة ولكن اليدين مختلفتان، فأمره بإدخال الورقتين في النار فحرقت ورقة الرجل العراف ولم تحرق ورقة الحاج محمد الخليفة نياس. استعمل الرجل ما كتبه الحاج محمد الخليفة نياس فقضيت حاجته.

كرامته في مدينة فاس

يتعذر أن نحصى هذه الكرامات لكثرتها غير أننا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

لما زار الحاج محمد الخليفة نياس مدينة فاس نزل في المسجد فإذا برجل جميل المنظر حسن الوجه يأخذ أمتعته كمن يستضيفه فتبعه الحاج محمد الخليفة نياس وسأله عن هويته فقال الرجل تسمع بالمعدي خير من أن تراه ففهم الحاج محمد الخليفة نياس أنه الشيخ سكيرج، وهناك أخبره بأن الشيخ التجاني الشريف رضي الله عنه أمره بعينه يقظة لا مناما بضيافته. من ثم أنشأ له قصيدته الرائعة يقول:

على الأرجاء من فاسَ التحايا تُجدد بالغدو وبالعشايا
بلاد طالما تامت فؤادي وأرض حلها قطب البرايا
أبو العباس أحمد من تولت به عنا المصائب والرزايا
إذا ذكر المشائخ كان شيخي هو ابن جلا وطلاع الثنايا
منير الدين والدنيا بورد به عمر المساجد والزوايا
فكم فتح ينال على يديه بلا بعثَ الكتائب والسرايا
فكم غنموا من أنوار لديه وأسرار لدى جم العطايا
رجال في الحياة لهم مماة بما صبروا وعيشهم المنايا
فدونك ما به أهدى مقل يقصر في حقوقك والهدايا
صلاة ثم تسليم على من له تهدى الصلاة مع التحايا

من كراماته: تمييز المدخنين بين الناس

وكان من وصايا والده الشيخ عبد الله نياس أن لايحضر جنازته شارب الدخان فلما وقف الناس للصلاة على جنازته الكريمة، بدأ الحاج الخليفة نياس يطوف في الصفوف يخرج المدخنين واحدا بعد آخر من غير سابق معرفة. هذا عجيب جدا وكشف صحيح وموهبة إلهية ومن سياق :"(**وعلمناه من لدنا علما**")([1]) وعلاوة على ذلك قام بإذن من والده الحاج عبد الله نياس وبطلب من بعض تلاميذ والده وهو الفاضل العاقل عبد الله بن معاذ جوب لتوضيح الناس حكم شرب الدخان الذي طار اختلافه شرقا وغربا قائلا:

الحمد لله من للخمر قد حسما ... على العباد وفي قرآنه حكما
وما يضاهيه من مثل الخبيثة من ... كريهة النتن مما نصه العلما
أهل الشريعة والتحقيق رتبتهم ... لا من يقول بما يهواه متهما
مثل التجان إمام الأولياء معا ... قد كان حرمه يا من به اعتصما
بسوء خاتمة يجزى لشاربه ... راجع إفادته والشم قد حرما
وكان يأمر إخراجا لشاربه ... على الوظيفة تعنيفا ومنصرما
وبالدخان سماه البعض منه كفى ... منعا وردعا لمن بالحق متسما
من كان مستعملا بذا الخبيث ... يتب يموت على كفر له حتما
ولم وروح البيان أتى في المزن حرمته ... من قبل لا بارد يكفيك مرتسما
أما طريقتنا ليست لشاربه ... ملقنا كان أو بالكسر قد وسما
أكلا وشربا وشما كلهم منعا ... من موجب الموت بالكفران محترما
وسيد القطب نجل ناصر علما ... أفتى بتحريمه كالخمر محتكما
تلك الخبيثة بالتنباك قد عرفت ... من نتنه يتأذى المسلمون كما

([1]) سورة الكهف الآية 65.

يـوذي ملائكة الله العظيم فـلا ... يدنوه بالشرب من بالدين قد علـما
هي المفـتر والإفـتار عندهم ... رخاوة تورث الإضرار ملتزما
قـال إلاه شـواظ للإشارة من ... منع الدخـان بالشر قد صمـما
محمود سيـدنا الكردي حرمـه ... مثل التلمسان بحر العلم ملتطما
أما الدلائـل لا يعطي لشـاربه ... لما نهاه النبي المصطفى كـرما
أفتى بتحريمه جمع بـلا شطط ... والكل من أوليا الله قد شتـما
عن التجارة في ذات الدخان نهى ... أهل العلوم لأن الأصل قد حـرما
ومن يمت وهو بالدخان ذو شغل ... يستدبر البيت فيما قد حكى القـدما
لقد نصحت ومن لم يستمع نصحى ... فسوف يقلى غدا إن لم يتب ندما
صلى إلاه على المختار من مضر ... وآله والصحاب الكمل الكـرما

ومن كراماته: المستعمرون يعتقون مواطنا في طيبة بيين

أن رجلا يقال له علي مرم غي من مواليد طيبة بيين كان يتعلم في (جامل) فاعتقله المستعمرون، وذهبوا به إلى معسكرهم في (مبركلان). فشكا والده أمره إلى الشيخ الخليفة الحاج محمد. فأكد له الشيخ أن الفرنسيين لا يستطيعون الذهاب به، بل قال له: إن ابنك سيقضي الخريف عندك بإذن الله. فرجع الوالد إلى مسقط رأسه متأكدا مما قال الشيخ، حتى قضى الولد المذكور معظم صيفه على يد المستعمرين الفرنسيين، وفي نهاية الصيف عرا لوالد الشاب شيء من التشكك والتردد في قول الشيخ، ولكن لم يخبر أحدا بذلك.

ثم أطلق النصارى سراح الولد فعاد إلى مسقط رأسه طيبة بيين، فوجد والده نائما، فبات هو في إحدى غرف المنزل. وقد نزل في تلك الليلة ماء غزير، متجاوز الحد

حتى سقطت الجدران والأعمدة، فأصبح يرأبها والوالد لم يشعربمجيئه، وكان يائسا منه.

ولما قام الأب من نومه صادف الابن المذكور يصلح جدران المنزل، فصاح حتى اجتمع عليه أهل القرية، فأخبرهم بالقصة. ولله الحمد.

بدعائه أصبح الفقير غنيا

كان الحاج محمد الخليفة نياس إذا اجتمع الناس للاحتفال بالمولد النبوي الشريف حتى إذا سكن الليل أمر بإطفاء المصابيح وأن يذكر كل واحد حاجته. وذات مرة قال رجل يقال له آدم سين فقال له مرادي المال فدعا له فرزق مالا كثيرا.

الطيور تخرج من فوتا

في إحدى مناسبات المولد النبوي الشريف في كولخ طلب منه سكان منطقة فوتا الدعاء وشكوا إليه الطيور التي تفسد زرعهم فأشار بيده آمرا الطيور بالرحيل فاتبعت إشارته وخرجت من أرض فوتا وقال لهم لن تعود الطيور إلى خمسين عاما فكان الأمر كما قال: ولما انتهى الأجل عادت الطيور فذهب أهل فوتا إلى ولده الشيخ أبي بكر نياس فدعا لهم مثل دعوة والده، فقبل دعاؤه في الحين.

بقصيدته يفرج عن المسجون

طلب منه أحد المسجونين يقال له بران حات أن يدعو له بالإفراج فأرسل إليه الحاج محمد الخليفة نياس قصيدة مطلعها:

واشـــدد يـــديك علـــى الـــرحمن خالقنـــا فـــي كـــل هـــول مـــن الاهـــوال انتظـــر

فلما وصلت القصيدة إلى المسجون وقرأها أفرج عنه.

الرضيع يظهر حبه للنبي

لما كان الحاج محمد الخليفة نياس في سن الرضاعة إذا سمع ذكر محمد صلى الله عليه وسلم أنصت ورفع رأسه كمن يشير إلى حبيب له.

الخليفة يصعد الجبل ويدعو

يحكى أن جماعة من النصارى أتوا يبحثون عن مكان وجود والده الشيخ عبد الله فصعد الحاج محمد الخليفة الجبل فبدأ يقرأ ما حلا له أن يقرا فكان كلما نطق بلفظ سقط أحد النصارى إلى أن بقي منهم عدد قليل فهربوا من المكان تاركين خلفهم غنيمة فجمعها الناس وأتوا الحاج محمد الخليفة واستأذنوه ببناء داره فمنعهم بذلك.

رحلات الحاج محمد الخليفة نياس خارج وداخل البلاد

كان الحاج محمد الخليفة نياس قليل الترحال داخل وخارج البلاد فكان يقول:**"إنما أمرت بالرعي لا بالترحال"** بجانب أن مسؤوليته الكبيرة في التعليم والتربية والتوجيه والترقية والتقديم والإفتاء وحل الخلافات ومكافحة العادات والتقاليد الضارة والمنافية للدين كان هذا يحول بينه وبين كثرة السفر وطول الغياب غير انه سافر مرتين إلى فاس مرة مع والده وأخرى مع زوجته **مام فاط نيانغ** وبعض أصحاب والده.

رحلاته خارج البلاد

وفي سفره مع والده واصل إلى بيت الله الحرام عام 1328 هـ/1910م وهو سفر مشهور ومليء بالعجائب.

سفره الأول إلى فاس ثم إلى الحج

تتبوأ مدينة فاس المغربية مكانة مرموقة لدى المنتسبين إلى الطريقة التجانية ذلك لوجود ضريح الشيخ أحمد التجاني الشريف بها وقد فتح ذلك بوابة دبلوماسية شعبية بين المملكة المغربية والسنغال وبالتالي منافع معرفية وتجارية بين البلدين.

وقد سافر شيخنا الحاج محمد الخليفة نياس إلى مدينة فاس لأول مرة ورفقة والده عام 1328 هـ /1910م غير أن قصدهما في هذا السفر يختلف. فالوالد الحاج عبد الله نياس كان يريد الالتقاء بالقطب المكتوم والاستلام منه أمورا يوزعها على الرجال العظام منها إجازة الإطلاق التي لم يقدمها الشيخ أحمد التجاني إلا لستة أشخاص فقط في حياته وهم كما ذكرهم ابن بابا العلوي:

1. الشيخ علي الحرازم البرادة
2. السيد محمد الواحد البناني
3. السيد علي التماسيني
4. محمد الحافظ الشنقيطي
5. السيد الصالح أبو سالم
6. السيد عبد الله ابن حمزة

وكان الشيخ الحاج عبد الله نياس قد جاء ليكون سابع سبعة يشار إليهم بالبنان.

فبعد أن قطع الفيافي والبحار إلى أن وصل إلى ضريح الشيخ أحمد التجاني أنشد فقال:

الحمد له على وصولي لفاس دار شيخنا المأمول
إذ زرته نلت به العلوما بفضله العظيم والفهوما

ونلت أنوارا وأسرارا كما نلت الفرائد بختم العلما

ومن مقاصده في هذا السفر الفوز بمقام القطبانية العظمى التي حاز عليها تسعة من أهل الطريقة في قيد حياة شيخنا التجاني، فتمنى أن يكون عاشرهم. وقد ذكر الحاج محمد الخليفة نياس هؤلاء في قصيدة حين قال:

ولكم نال صحبة مددا منه زلالا يشفي غليل الهيام
كعلي حرازم ذي المعالي من حبانا جواهرا في النظام
صار فيهم شهيد غرام ليت أني شهيد ذاك الغرام
وعلى التماسني ذي المعالي من سما قدره على كل سام
وأمد الصفى حافظنا من قد شفى فيضه صدى كل ظام
ثم نجل المشري كاتب شيخي وإمام أكرم به من إمام
وأنارا الشرق بالعيد ونجدا سيدي الغالي الألمعي المقام
شيخ ذي الفتح والجهاد حسام من لا يهاب جد الحسام
عمر الفوتي المزيل لكفر برماح على نحور اللئام
فأنار البلاد شرقا وغربا وهو في الطريق بدر التمام
وأبي النصر نصر فاس وغرب والهمام الشريف شافي السقام
والشريف المنيف واسطة الشيخ ونجل الشريف شافي السقام
وكمحمود التونسي صفيا لملاذي من سره ذا ضرام
والشيخ الإسلام في تونسي العليا نظام العلى مجيد النظام
هؤلاء السادات أصحاب شيخي بلغوا في العليا أقصى المرام

والمذكورون في هذه الأبيات عشرة أقطاب كلهم عاشروا شيخنا التجاني، إلا الحاج عمر الفوتي. وهم:

1- **سيدي علي حرازم براده**. خليفة الشيخ حيا وميتا، ومؤلف جواهر المعاني.

2- **سيدي علي التماسيني**. بهلول شيخنا، ووصيه في أسرته.

3- **سيدي محمد الحافظ التجاني الشنقيطي**. ناشر الطريقة في شنقيط وغرب إقريقيا.

4- **سيدي محمد بن المشري**. كاتب الشيخ وإمامه ومؤلف الجامع.

5- **سيدي محمد الغالي بو طالب**. مربي الحاج عمر الفوتي.

6- **سيدي محمد ابن أبي النصر**. صاحب الاسم الأعظم.

7- **سيدي محمود التونسي**. صاحب الخوارق والأسرار.

8- **سيدي محمد العربي الدمراوي**. الواسطة الأعظم بين الشيخ وجده صلى الله عليه وسلم.

9- **سيدي إبراهيم الرياحي**. ذو المناقب العظيمة، وصاحب السينية الإنقاذية.

10- **سيدي عمر الفوتي**. المجاهد الكبير الجامع بين القلم والسيف والسبحة.

وقد مكث في سفره هذا مدة طويلة ونال مقصده، وتحققت أمنيته كما قاله خليفته الأكبر ووارث سره حيث قال:

فوردت هذا الورد عذبا ماؤه ... من والدين شيخي الهمام وجاء
قطب الزمان خليفة عن شيخه ... بعلومه وبزهده وصفاء
محي الطريقة والحقيقة علمه ... بعد اندراس معالم الكرماء
عبد الاله مؤملا لرضائه ... معطي الرجاء وكاشف الضراء
سعدت به الأجداد والآباء والأ ... بناء والأحباب كالغرباء
ما من ولي في الزمان ولو علا ... إلا علاه برتبه وسناء
بيمينه بحر الندى وشماله بحر ... بحر الردى للحب والأعداء

كان يصلي على حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم بصيغة صلاة الفاتح كل يوم اثنتي عشرة ألف مرة وكان يقول بأن له حاجة لا يبوح بها لأن الذي يقضيها على علم بها ويقدر على قضائها وفي حالة تفكيره في هذه القضية إذ برز أمامه رجل يسأله عن السيد العربي المحب فأجابه الحاج عبد الله بأنه رجل غريب في المنطقة. فقال له الرجل هيا بنا إليه فتبع الرجل وقال له الرجل اذكر عنده حاجتك ومطلبك فلما وصل الى السيد العربي المحب سأله: أتعرف من جاء بك هاهنا؟ قال: لا، فالتفت ولم ير أحدا، قال إنه الشيخ أحمد التجاني الشريف. فقال له السيد العربي إنه قال بأنه أعطاك هذه الإجازة المطلقة وشعرة جده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعكاظته وأمورا أخرى، وما أدراك ما تلك الأمور.

ســـتكفيك مـــن ذاك الجمـــال إشـــارة ودعـــه مصـــونا بالجمـــال محجبـــا

وقد أشار الحاج محمد الخليفة نياس قصد والده من هذا السفر في قصيدة فقال:

وزار شـــيخي فـــي فـــاس علـــى كبـــر لكـــن يحركـــه حـــب الملاقـــاة
فنـــال ذاك يقظانـــا ومصـــافحه بحـــر المعـــارف ينبـــوع الكرامـــات

أما قصد الحاج محمد الخليفة نياس من هذا السفر كان من أجل الاستمداد من نور صاحب الحضرة ولذلك أنشد فقال:

يا حضرة الأسرار والأنوار حزت الفخار بسائر الأقطاري
فلك الهناء بما حويت من العلى يا حضرة الأسرار والأنواري
قمر الحقيقة حل فيك ولم تكن دار سواك محلة الأقماري
طوبى لمن يكسو بتربك خده مستنشقا من عرفك المعطاري
منك استمد العارفون بأسرهم من فيضة الختم المدد الساري
ثمرة الحقيقة من رياضك سيان أهل البدو والأمصاري

يجتنى عجبا لحيطان تحيط بتربة فيها المحيط أخو الفيوض الجاري
تأوى لها خلق نمسك حبها بأزمة الألباب والأفكاري
نغماتها تسبى النفوس غلبة بتردد الصلواة والأذكارى
يسقون من خمر الوصول مدامة تنسيك طعم مدامة الخمارى
فلكم بها من عارف متستر حاز المدى عن حلبة المضمارى
فبقهوة من ماء بيرك لا قهوة من قر قف وعقارى
غلتي بير تفجر بالروى ينبوعها من منبع العرفان والأسرارى
في حرمه الدر داس عند بليدة شمس المعارف أصل كل فخارى
يا سيدي إني خديم جنابكم متنول من فيضك المدرارى
من بعد ما جبت الفيافي نحوكم وقطعت زاخر لجنة التيارى
أرجو أمورا لست أذكر كلها يا ميدن الحاجات والأوطارى
كم لي إليك قصائد منظومة كالدر فوق ترائب الأبكارى
هذا ورشوتي الوصول لقربكم بالكشف الحجبات والأستارى
صلى الإله على النبي وصحبه أهل الوفاء السادة الأبرارى

وكان من مطالب الحاج محمد الخليفة نياس في هذه الزيارة أداء فريضة الحج وملاقاة سيد الأنبياء سميه محمد صلى الله عليه وسلم والاستمداد منه وقد أصاب بسفره هذا عصفورين بحجر واحد وبعد فراغه من الحج وزار المصطفى صلى الله عليه وسلم حبيبه المتيم أنشد فقال:

منـــي إليـــك وداع نحـــو مكـــة يـــا خيـر الخلائـق مـن عـرب ومـن عجـم
والقلـــب مختـــزن مـــا زال ملتفتـــا نحـــو الحـــدائق والحيطـــان والحـــرم
إن فـــارق الجســـم منـــي طيـــب روضـــته فالقلـــب ثـــم رهـــين الشـــوق والضـــرم

وبعد هذه المهمة جاء مولانا الخليفة الحاج محمد الخليفة نياس فوجد والده الحاج عبد الله نياس الكبير ينتظره في دكار ثم ذهبا إلى مدينة تواون المحروسة وكان

مع والده أحرف قدمها له الشيخ سكريج ليعطيها للولي الكامل والعلم الشامخ الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه. وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن علاقاته مع علماء عصره.

سفره الثاني إلى فاس

بعد مرافقة والده إلى فاس لأول مرة عاد الحاج محمد الخليفة نياس مرة أخرى إلى مدينة فاس عام 1342 هـ من أجل زيارة الشيخ أحمد التجاني الشريف وسائر مشايخ الطريقة في المنطقة وكان والده آنذاك قد انتقل إلى الرفيق الأعلى.

وفي هذا السفر حاز على إجازتين مطلقتين من حفيدين للشيخ أحمد التجاني الشريف هما السيد محمود بن الشيخ محمد البشير بن محمد الحبيب بن الشيخ أحمد التجاني والشيخ محمد الكبير بن الشيخ محمد البشير بن الشيخ محمد الحبيب بن الشيخ أحمد التجاني.

وفي هذه الزيارة الأخيرة أخبره الشيخ سكيرج أنه رأى والده الحاج عبد الله نياس المجاهد الأكبر في المنام وأمره بأن يعطي ولده البار وخليفته الأعظم ووارث سره الساري في الخلائق كل ما طلبه منه لكونه مستحقا به وقال له سيدي سكيرج " ***ولسوف يعطيك ربك فترضى***" فتبسم الحاج محمد الخليفة نياس ضاحكا وفرحا من قوله وأخبره أيضا أن الشيخ أحمد التجاني اتخذه محاميا عاما لدفاعه عن أعدائه. وقال له ستؤلف كتابا قيما يطوف مشارق الأرض ومغاربها.

فوقع ذلك بعد ثمانية أعوام وهو كتاب "**الجيوش الطلع بالمراهفات القطع**" إلى ابن مايابى أخي التنطع مطلعه:.

قـــال العبيـــد الكـــولخي محمـــد سـلـيل عبـــد اللـــه وهـــو يحمـــد

ولما خرج إلى فاس يطلب زيارة شيخنا رضي الله عنه عام 1342 هـ لقي حفيد الشيخ وهو سيدي محمود بن سيدنا محمد البشير بن سيدنا محمد الحبيب أي القطب المكتوم شيخنا ابن العباس أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه وكان لقاؤه لسيدي محمود في الدار البيضاء آتاه ووجد عنده بوابه وهو رباح فتفاءل باسمه رباحه في الدنيا والآخرة وأجازه إجازة تامة مطلقة وأوصاه في نص الإجازة وصية حسنة ودعا له فيها

دعاء حسنا وطالب في آخره مؤرخا الإجازة بتاريخ الثالث ذي الحجة عام 1342هـ، وأنشد يقول:

إن السعادة والولاية والتقى مقرونة بإجازة المحمودي
نور الزمان ووارث لإمامنا قطب الوجود وختمه المشهودي
نجل البشير ابن الحبيب بن التـ تجاني الممد جميع أهل ورودي
نسب يباهي البدر في أفق السما أو مثل در في العقود نضيدي
فلك الفخار بما حويت وراثة من باهر الأسرار والتمجيدي
بحر المعارف والحقائق غصته فلك العلى من طارف وتليدي
ولك السمو على الوجود برفعة ولي الفخار إذا قبلت قصيدي
إني وقفت ببابكم يا سيدي جدلي بنيل معارف وشهودي
ومكانة في العز طالع فضلها بوجه قد لاح سعد سعودي
وأفض علينا وابلا من سركم يمحو رسوم طبيعة الجلمودي
ثم الصلاة على النبي وصحبه أهل المكارم والعلا والجودي

وفي هذه الزيارة قال الحاج محمد الخليفة نياس هذه القصيدة الرائعة وهو أمام الضريح الشريفة ضريح سيدنا الشيخ أحمد التجاني الشريف رضي الله تعالى عنه وأرضاه يذكر منها بعض حوائجه الدنيوية والأخروية فقال وهو مواجه لقبره المنيف:

سلام على القبر المنيف المبارك سلام حليف للدموع الشوابك
أشيخي هذا خادم جاب نحوكم غوارب أموج وفيح الدكاك
تجوب به برا وبحر سفائن تبارى هبوب الريح شم الحوارك
أشيخي إني حائر متردد ولولاك لم أعرف وجوه المسالك
فكن لي دليلا لا أضل بمهمه من الجهل ممتدا الجوانب حالك
قراي كؤس بالمحبة أترعت على كل مجذوب تدار وسالك
وغيث من العرفان بنهل وبله بأرباح مزن بالبروق ضواحك
وأن أكتسي تاج الكرمة راقيا إلى المنزل العالي العزيز المدارك
أشيخي إني مستجير ببابكم فكن لي مجيرا من جميع المهالك

وجد باجتماع يورث القلب صفوة ونورا ويدنني إلى خير المالك
فإني بدرع من دحماك تحصى مضاعفة تثنى شباة النيازك
ومن كيد كل العالي وشرهم ومن كل قرن في الحروب معارك
صلاة على المختار من ءال هاشم ومن للذبيحين انتمى العواتك

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما

وفي هذه الزيارة حظي إجازة أخرى بمراسلة من يد السيد محمد الكبير ابن سيدي محمد البشير ابن سيدي محمد الحبيب ابن القطب المكتوم فقال مادحا تلك الإجازة القيمة:"

بدت كالشمس في الأفق المنيري معطرة النواحي بالعبيري
إجازة شيخنا ابن الشيخ حقا خليفتنا محمدنا الكبيري
أتتنا بالبشارة والتناهي وبالتبجيل والخير الكثيري
فبشري ثم بشري ثم بشري بها من وافد أو من بشيري
فلو كتبت بماء التبر يلقي لرتبتها من الشيء النزيري
فيا عجبا لتاج عز قدرا به يهدي إلى العبد الحقيري
ولكن ربنا جم العطايا له كرم يجل عن النظيري
تمسكنا بعروتها وكانت لها سند صحيح للبشيري
إذا عدت أسانيد البرايا فحزناهم بالسند الكبيري
فما البحر المحيط إذ تبدى يقاس بمائه ما الغديري
ولا عجب بذلك فهو فيض تلقاه من البدر المنيري
إمام من إمام من إمام ثلاثتهم كمالات البدوري
سلاسل مثل نظم الدر تعزى إلى الختم الممد بلا نكير
أبي العباس أحمد من سقانا رحيق السر في أعلى السروري
يدير على الصحاب كؤس وصل قدته النفس من ساق مديري
أشيخي فاسقني منها بكأس من العرفان ثم وكن مجيري
صلاة الله يتبعها سلام على الهادي المشفع والنذيري

رحلاته داخل البلاد

كانت سفريات الخليفة الحاج محمد الخليفة نياس داخل منطقة سالم وفوتا لأغراض مختلفة مثل زياة الإخوان والتقديم والتعزية منها:

1. سفره إلى طيبة بيين

كان هذا السفر بسبب وفاة عالم هذه المنطقة ومرشدها التفسير مود بي حيث وصل الحاج محمد الخليفة نياس إلى المقر في وقت كان الشيخ قد صلي عليه. فصلى عليه مرة ثانية. وبعد فراغه من صلاته قال: من شك فيما فعلته فليأتني غدا صباحا في كولخ. لا أحد يجترئ أن يأتيه لتبحره وتمكنه في العلم، وتربعه على كرسي الولاية وعالم لا يخالف النصوص الشرعية. وهذا يدل على مكانة الشيخ تفسير مود بي لديه.

2. سفره إلى جمباط

ومن أشهر ما يحكى في هذا السفر أنه دعا لسيد مام آل يس وكان أهل المنطقة يعانون من قلة الماء وببركة دعائه فاضت الآبار إلى حد أنه يمكن تناول الماء باليد.

3. سفره إلى قرية سكب

كان ذلك من أجل زيارة الشيخ الحاج إبراهيم سغب لتوكيد الصلات وتقوية العلاقات الودية.

4. سفره إلى قرية كر عالي جوب

وكان ذلك من أجل زيارة الشيخ مام فافا انجاي أحد أصدقائه الذين لهم مكانة لديه.

5. سفره إلى قرية كُجِيْ

كان من أجل الوقوف على حال الأتباع ومعرفة حاجاتهم لتذليلها وقضائها وحثهم على التعاون والوحدة وحب طريقة الشيخ أحمد التجاني. وأنزل هذه القرية كجي منزلة بني همدان لدى علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي كان يقول:

ولـــو كنـــت بوابـــا لبـــاب الجنـــة لقلـــت لهمـــدان ادخلـــوا بســـلام

وفي بعض زيارته لتلك القرية المحروسة أنشأ قصيدة يحثهم على التحابب والتعاون على البر والتقوى والمؤاخاة في الله لله بالله فقال:

صحابة الشيخ كونوا في الموادات وفي التواصل كونوا والمؤاخات
واتركوا كل شحنا واتركوا حسدا لكي تفوزوا بأسرار المقامات
فإن للفتح شأنا ليس يدركه إلا الذي نال صدقا في الإرادات
أما المريد قد كانت إرادته مع الإله دوما كل لحظات
معظما شيخه يخشى عقوبته مبادرا أمره في كل حلات
فإن للشيخ سرا ليس يدركه إلا الذي نال أسرار الولايات
وغيرة الشيخ سم قاتل أبدا وشؤمها كان من أدهى البليات
أعاننا الله والإخوان قاطبة على الجماعة في أسنى المقامات
يا أهل كجي أن الحمد مغنمة فلتحمدوا الله في أسنى العطايات
دعوا التخالف والبغضاء وامتثلوا تأمر الإله وأمر الشيخ في الات

وخصهم الشيخ بقصيدة رائعة يمدحهم ويشكرهم شكرا جزيلا لبذلهم غاية جهودهم في جلب المنافع له ليلا نهارا وفي تشريفهم وتكريمهم لقرينته الصالحة سخن مام فام والدة الحاج إبراهيم نياس الخليفة فهاك قصيدته:

ياالله يا حي يا قيوم خالقنا فالْتُعط أهلَ كجي أوفر النعم
وارزقهم بركات في بساتينهم وحطها في أهالهم وفي الحشم
ونجهم مكر من قد يمكرون بهم من العداوة أو من ظلم ذي الظلم
سلبُ الإرادة غُنْمٌ للمريد فلا يبغي المريدَ سوى مرضات ربهم
متي أراد فتوحا أو منال مُنى فبالرضى نيلُ ما يرجوه من نعم
مودة بينهم نبغي تدوم لهم كالبسط في الخير والتقوى بربهم
ونصرة قد تُرى دأبا تُرافقهم كالحب في الشيخ طبعا دون ما سأم
إنا حِماه فلا يترك فضيلته يُبيحه أهل عدوان من النسم
أبغي من الشيخ أمدادا يفاض لكم حتى يرى كل منهم أوفر النعم
لنا الخصوصية العظمي التي قصُرت من دونها همة من أرفع الهمم

دخلتم كنفا للشيخ داخلُه ينال منه أمانا للمخوفهم
أم الحبيب أتت تدعو وتشكركم جزاكم الله بالأرزاق كالديَم
وما به رضيت إني رضيت به مرضاتُنا برضاء الشيخ ذي العظم
واغفر لنا رب والأحباب كلهم في الحب والجود والإنفاق للكرم
وابسُط لنا جم رزق بالحلال أصحابنا حيثما كانوا بأرضهم
مع أزكى صلاة وتسليم وأدومُها على الذي هو روح الخلق من قدم

6. **سفره إلى منطقة كافرين**

وذلك لتفقد أولياء الله في المنطقة ولإمدادهم وتثبيتهم على الدين أمثال الحاج مود جان في بن جما والحاج مود سَنك في الدار البيضاء والحاج مدن جوب والحاج باب فاط ندو و والحاج عمر تيام والحاج بابو نيانغ والحاج مود زينب جو.

7. سفره إلى بول

من المناطق التي زارها الحاج محمد الخليفة نياس منطقة بول وذلك للوقوف على حال الإسلام والطريقة في المنطقة.

8. سفره إلى سج

وذلك لزيارة الحاج عمر كي ذلك المزارع الكبير الذي كان يزرع ما يقتات به الحاج محمد الخليفة نياس.

9. سفره إلى فوتا

للحاج محمد الخليفة نياس سفر مشهور في فوتا تواتر الحديث عنه لدى العامة والخاصة وكان ذلك من أجل تقديم التعزية لأهل المنطقة على وفاة هبة الله وفخر طريقة الشيخ العالم تفسير بالا.

ومن كرماته في هذا السفر أنه أرى أهل المنطقة موضع قبر حفيدة الشيخ عمر الفوتي ولم يكن المكان معروفا لدى الأهالي وهو في أرفوندي. وكان المزارعون قد طلبوا منه الدعاء ليبارك الله في زراعتهم وكانوا يستخدمون ماء النهر فقال لهم الحاج محمد الخليفة نياس سوف يصل ماء النهر هنا في الموسم القادم، وكان المكان بعيدا عن الشاطئ فتعجب الناس ووضعوا في المكان علامة ولما كان الموسم وصل الماء إلى

المكان المذكور ولأول مرة، فزرع المزارعون وبارك الله في زراعتهم ببركة دعاء الحاج محمد الخليفة نياس.

وقد تبوأ مام الحاج محمد الخليفة نياس في قلوب أهل فوتا مكانة مقدرة وله حتى اليوم أتباع كثيرون في هذه المنطقة. وقد جذب جمعا غفيرا من علماء فوتا إلى حضرة رب العالمين وأمد حشودا من القوم بفيوضات الشيخ أحمد التجاني الشريف وأراهم ذات النبي صلى عليه وسلم يقظة لا مناما أمثال ولي الله الكبير تفسير مصطفى تيام في طيبة غيين وأمثاله الذين لا يحصى عددهم ولا يعد مددهم وبذلك انساق أهل فوتا إلى الحاج محمد الخليفة نياس.

وقد حدث في هذا السفر ما لايكتب بالقلم ولا يذكر باللسان.

10. سفره إلى تيامين والو

وذلك لزيارة ضريح العالم الكبير الشيخ إبراهيم كلل خال والده الصالح الشيخ عبد الله الذي جاهد بالسيف والقلم من أجل رفع الدين ونصرة الطريقة. وإبراهيم كلل هذا هو أول من أبرز الحاج محمد الخليفة نياس قبل ولادته وذلك لما جاء إليه الحاج عبد الله نياس يخبره بأنه يريد الزواج من امرأة ذات نسب ودين فقال له إبراهيم كلل حسنا فعلت ولكن نجلك البكر وخليفتك يأتي من بنتي هذه آمنة. وبعد مدة من الزمن جاء الحاج عبد الله فقال به بأنه يريد زوجة ثانية فعرف مراده وزوجه ببنته آمنة فولدت له الحاج محمد الخليفة نياس، خليفته ووارث سره، وفق ما قاله له الشيخ إبراهيم كلل. وهذا مما يدل على كرامة وكشف وعظمة مكانته.

نفعنا الله ببركاته.

علاقات الحاج محمد الخليفة نياس بعلماء عصره

كان للشيخ الحاج محمد الخليفة نياس علاقة حميمة وعميقة الجذور بعلماء عصره وقد استمرت هذا العلاقات متينة قوية بعد وفاته لأنها كانت علاقة الوجدان والمعرفة والروح، ولم تكن قاصرة على بلاد السنغال بل تجاوزتها إلى الآفاق النائية كما سيتبين معنا.

1. علاقاته بالبيت الطوبوي:

إن علاقات الحاج محمد الخليفة نياس بأسرة الشيخ الخديم الكريمة موروثة كابرا عن كابر، فوالد الشيخ الخديم مام مور أنت سل بك كان في خلوة قرآنية واحدة مع الشيخ الحاج عبد الله نياس وكانت تربط بينهما علاقة ودية وصلت إلى حد أنهما كانا قد اتفقا على أن يقرأ آخر من يتوفى منهما على قبر صاحبه سورة يس إحدى وأربعين مرة أي عدد (أم) وشاء الله أن توفي مام مور أنت سل بك قبله غير أن الشيخ الحاج عبد الله نياس كان في سن متقدمة جدا فأرسل ابنه الحاج محمد الخليفة نياس فأوفى بالعهد.

ولما توفي الشيخ الحاج عبد الله نياس أرسل الشيخ أحمد بامبا امباكي وفدا من عشرة أشخاص للتعزية كان من بينهم الشيخ أنت غاوان امباكي والشيخ امباكي بصو. ومن هناك توجه أولئك العشرة إلى مدينة تواون لتقديم التعزية إلى أسرة الحاج مالك سي على وفاته رضي الله عنه. ومن ثم أنشد الشيخ امباكي بصو قصيدة رائعة جمع فيه بين الحاج عبد الله نياس وأخيه الروحي الحاج مالك سي في مرثية فقال:

واثلمة في ديننا الإسلامي من قلع قرني هامة الأعلام
السيدين العالمين الناسكين المسلكين لحضرة العلام
شمس وشمس عام شمس غابتا فبكى الورى لتكاسف الأظلام
من للشريعة والمدارس والمنا بر والمعارف بعد والأقلام
أو من لحل المشكلات إذا ونت أفكار كل مدقق مفهام
وا مالكا لسنة الغراء والغر باء والضعفاء والأيتام

ما ليث غيل مثل عبد الله في يوم الحروب الباسل المقدام
لو أن نفسا من حمام تفتدا لفداكما ألفا من الأنام
لكنه حتم وقد أبقيتها ذخرا جميلا والثناء السامي
فجزيتما عنا وعن نفسكما في الروح والريحان والإكرام

وقد أعجب الشيخ أحمد بامبا امباكي بهذه القصيدة وفرح بها غاية الفرح فقال بأنه ضمن أولئك العشرة المبشرة بالجنة كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بالعشرة المبشرين بالجنة بإذن الله وقوته.

وقال الشيخ العلامة القاضي محمد عبد الله المصطفى العلوي في رثائهما أيضا:

في عام شمس كسف الشمسان شمسا التقى والعلم والعرفان
مؤسسا طريقة التجاني وسنة المختار من عدنان
عبد الإله والإمام مالك والأمر للإله وهو مالك

وذات يوم عطر الحاج محمد الخليفة نياس هذه العلاقة الطيبة بين الأسرتين بقصيدة أنشأها بطلب من والده الشيخ الحاج عبد الله نياس وذلك لما أرسل إليه الشيخ أحمد بامبا امباكي كتاب تفسير الجلالين عن طريق مصمب سين في دانق سين فقال:

أزكى سلام كطعم الشهد بالراح ينوب عنا وصال الراح بالراح
أزكى سلام كري المسك نفحته معطرا بنواحي الشيخ فواح
شيخ تقي نقي عيلم علم فما ثنائي بمطريه وأمداح
أتحفتنا بكتاب لا نظير له أروى غليل صدانا بعد لواح
لا زلت ترأب ما أثارت وما فتقت أيدي الوشاة بإرئاب وإصلاح
أزكى وأفرح ما يهديه محتسب دبت حمياه إذ وافى بأفراح
هو الجلالان تفسير لمنصبكم مصباح علم كضوء الصبح لماح
به تترست عن كيد الغرور وقد أعد ماضي أسياف وأرماح
جزاك عنا إله العالمين كما أحييت من منهج في العرف وضاح
خذها مخدرة من وصفكم حليت ترنوا بطرف إلى لقياك طماح

أزكى الصلاة على المختار من مضر الهاشمي النبي المصطفى الماح
والآل والصحب ما ناحت مطوقة على نضير من الأغصان مياح

ولما طالع الشيخ أحمد بامبا امباكي قصيدة الحاج محمد الخليفة نياس الرائعة تعجب وكاد أن يطير فرحا.

وقد ظهرت آثار هذه العلاقات القديمة بين الحاج عبد الله نياس ابن الحاج محمد الخليفة نياس وبين الشيخ مود مصطفى امباكي وكذلك الشيخ محمد الفاضل امباكي والشيخ عبدالأحد امباكي ومثل ذلك يقال عن فترة خلافة الشيخ الحاج أبي بكر نياس الخليفة الثاني مع معاصريه من أهل البيت الطوبوي من بينهم الشيخ صالح امباكي. وتحدث بلا حرج عن تلك العلاقات المثالية بين الخليفة الحاج إبراهيم نياس والخليفة الشيخ محمد بارا امباكي والأمر أوسع من أن يكون علاقة شخص بشخص أو خليفة بخليفة أو سلالة بسلالة بل إنه علاقة جيل بجيل وعلاقة مبدإ أصيل بمبدإ أصيل يتلخص في قوله تعالى (**إنما المؤمنون إخوة**)([1]) هي إخوة دين قبل الطين ومبدأ قبل المعاصرة.

وقد توارثت الأسرتان ه العلاقة إلى يومنا هذا.

2. علاقاته بأسرة الشيخ الحاج مالك سي

كلما قيل عن العلاقة بين الأسرة الطوبوية وأسرة الحاج عبد الله نياس يصح قوله عن العلاقة بين الأسرة التواونية وأسرة الحاج عبد الله نياس وبعبارة أخرى فإنها كانت علاقة تستند إلى ثلاثة أركان متينة: الدين، والعلم، والندية من لدن الأجداد إلى الأحفاد.

فالبيت العبدلاوي يجمعه بالبيت المالكي تاريخ عجيب حياة ومماتا جهادا واستشهادا علما وعملا. ومن شواهد ذلك قول الشيخ أحمد تيجان سي في كتابه مجهول الأمة السنغالية في الصفحة 10 عن حياة جدنا سيدي الحاج مالك سي وعن سيرته الطاهرة، حيث يشرح: واعتمدت على كلمة أرسلها العلامة الحاج عبد الله نياس

([1]) سورة الحجرات: الآية 10.

إلى الإمام الحاج مالك سي يذكره فيها مقتل والده الشهير السيد عثمان بن معاذ وكيفية إغارة الجبابرة على ديارهم([1]).

فالشيخ الحاج عبد الله نياس كان صديقا للشيخ مام عثمان سي، والد الشيخ الحاج مالك سي. ومن المعلوم ان الشيخ الحاج مالك سي لم يرَ والده لانه توفي قبل ميلاده ولكنه ينادي الشيخ الحاج عبد الله نياس بوالد. فسئل ذات يوم عن ذلك فقال إن من لم يرَ والده كان صديق والده والدا له.

ولاغرو في ذلك لأن كلا من الشيخ الحاج عبد الله نياس و الشيخ الحاج مالك سي كانا عمدتين للطريقة التجانية في إفريقيا الغربية وفي السنغال على وجه الخصوص، وقد ورثا من الشيخ عمر الفوتي تال ظاهر رسالته وباطنها.

ففي عام 1910م لما سافر الشيخ الحاج عبد الله نياس برفقة ابنه الكريم الشيخ الحاج محمد الخليفة نياس لزيارة القطب الأكبر الشيخ أحمد التجاني الشريف عنده ألف قصيدة بمناسبة هذه الرحلة الروحية وواصل الحاج محمد الخليفة طريقه لزيارة الحرمين الشريفين وكان عمره بضعا وثلاثين عاما وبقي والده في مدينة فاس يهدي للشيخ التجاني اثنتي عشرة ألف صلاة الفاتح في كل يوم وقال بأن في قلبه حاجة ولكنه لايشكوها إلى أحد لأن الذي يقضي حاجته سميع وبصير.

وفي زيارته لضريح الشيخ أحمد التجاني ظهر أمامه شخص مجهول يرتدي لباس أهل الزاوية فقال له: هل أنت الحاج عبد الله نياس؟ قال: نعم، قال: من بلاد غامبيا؟ قال: نعم، قال جئت لطلب شعرة النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم. قال: أنت طالب إجازة الاطلاق لتكون سابع الذين أطلق لهم الشيخ؟ قال: نعم. وهؤلاء هم : السيد علي حرازم، والسيد علي التماسيني، والسيد محمد الواحد البناني، والشيخ محمد الحافظ الشنقطي، والشيخ الولي الصالح أبو سالم، والشيخ عبد الله ابن حمزة، والسيد المفضل السقاط قال له أنت طالب (...) هناك قال له الشخص المجهول لنذهب إلى الدار فلما وصلا دخل الشيخ الحاج عبد الله نياس فوجد في البيت العالم العلامة السيد العربي محيي الدين وقال له: انت عبد الله طالب هذا؟ قال" نعم، وكان كل ما طلبه وجده موضوعا أمامه فأعطاه جميع مطالبه ومن ذلك مالا يكتب على ورق أو يفشي ثم

([1]) بحث لسيد الأمين نياس ألقاه بمناسبة الاحتفال بمؤلفات الخليفة الحاج محمد نياس

سأله الشيخ محيي الدين أتعرف الذي جاء بك هنا في المنزل؟ قال: لا، قال: إنه صاحب الحضرة الشيخ أحمد التجاني الشريف فالتفت ولم ير أحدا.

قال له ما كنت إلا مبلغا وفي ذلك ألف الشيخ الحاج محمد الخليفة نياس قصيدة سينية رائعة نائبا عن والده مطلعها:

قضى لي الله حقا دون وسواس ... حب التجاني قطب الكون انياس
من قام يوقد أنوارا ويوصل أمـ ... ـدادا إلى أولياء الله في الناس
والقلب جمرة شوق في جوانيه ... فأقيس إذ شئت من قلبي بمقاس
نفسي إلى دار فاس ذات وسواس ... ثوت فاس كمثوى الشيخ في فاس
تلك المعاهد لاينسك ساكنها ... عين الخواذل بين الخرد ولاس
فعندها تربة الختم الذي خضعت ... له الرقاب ويحذى قصة الراس
فهو المد الأقطاب الورى وبه ... تهدي الهدى كطود شامخ راس
يا نعمها تربة تعطي لساكنها ... فوز وغنم وغفران لارجاس
ديار شيخي أبي العباس أحمد من ... يسقي الأكابر عرفانا على الياس
شخي الذي قد أنشأ منه فيضته ... والناس في غاية من شدة الباس
وذلكم رجل الدنيا بأجمعها ... أبو المعالي أبو العباس نبراس
شراب صفى مخ من معتقة ... أشهى إلى النفس من شمولة الكاس
يا إله خصني بصافية ... من الكوس شفاء الأسق الآس
بله المدامة بالسماء الزلال فقد ... جاءت بها التجر من بستان أوراس
تسقى بها كمل من أهل حضرته ... ضاءت بها الأرض لأمن ضوء مقباس

وبعد هذا اللقاء اتجه الشيخ الحاج عبد الله نياس إلى الشيخ سيدي سكيرج لزيارته وسأله سيدي سكيرج أتعرف الشيخ الحاج مالك سي؟ قال: نعم أعرفه عالما صديقا وليا ومرشدا. قال إنه كتب إلي رسالة يطلب فيها أحرفا فهل ترى أنه يستحق ذلك؟ قال: نعم، بل أكبر من ذلك. هنالك أعطاه السكيرج الأحرف ليوصلها إلى الشيخ الحاج مالك سي.

وقد ذكر ذلك الشيخ الحاج مالك سي في كتابه إفحام المنكر الجاني حيث قال:" وأرسل السيد سكيرج إلي حروفا مع الحاج عبد الله نياس، جزاه الله عنا خيرا"، ص. 13.

ولك أن تتعجب معي في متانة هذه العلاقة الأخوية والروحية الأمر الذي يندر أن تجد مثله ولو حرصت وتجولت. وحذار مما يتداوله العوام من قصص لا أسس لها من أن الحاج عبد الله نياس أخذ الورد التجاني من الشيخ الحاج مالك سي أو العكس فكلاهما نهلا من الطريقة بغير واسطة أخيه فأفادا واستفادا من غير إفراط ولاتفريط. فالشيخ الحاج مالك أخذ من ألفاهم ميرو خاله عن طريق عمر الفوتي تال وكان وصيه قبل ميلاد الشيخ الحاج مالك نفسه وأما الشيخ الحاج عبد الله نياس فقد أخذ الورد التجاني كذلك من الحاج إبراهيم تيام كلل خاله عن طريق الشيخ الحاج عمر الفوتي.

وعند عودة الشيخ الحاج عبد الله نياس من هذا السفر المبارك نزل في مدينة دكار ليلاقى ابنه الحاج محمد الخليفة نياس القادم من الحج ومنها إلى تواون لإبلاغ الأمانة إلى الشيخ الحاج مالك سي.

وقد بلغ الشيخ الحاج مالك سي بهذا التصرف غاية من الفرح وأكرم الضيفين الكريمين حيث أذن الشيخ الحاج مالك سي الحاج عبد الله نياس صديقه بالإمامة في المسجد وإعطاء الورد التجاني لأتباعه. وقد دامت الضيافة 40 يوما نظم الشيخ الحاج مالك سي في ذلك قصيدة رائعة فقال:

أتى حبيبي لربي الحمد من فاس ... وجاءنا إذ أتانا طيب أنفاس
أتى وينشرنا مسكا بموطننا ... مبشرا كل أنواع وأجناس
أتى يبشرنا فالله بشره ... قنا إلهي رب كيد خناس
قد فقت إذ زرت ختم سلك ... سيدنا ممد كلهم من نور ذي الباس
طريقه أصل كل الطرق قال بذا ... عن النبي بلا شك ولا باس
ونجنا رب من شك ومن فلق ... فيما أتانا به التجاني إنياس
أحييت أحييت ما في الأمر مندرس ... خلفت خلفت في دين وتدراس
وزدت زادك مولانا الكريم مقا ... ما رائقا عاليا كالشامخ الراس
الحمد لله إذ زرتم محلته ... قبل الممات بعون خالق الناس
وأعطنا ربنا صدق اليقين به ... من غير ضعف وترداد ووسواس

رجاءنا فيك حقق رب خالقنا بجاه أنوار مصباح ومقباس
ثم الصلاة وتسليم يفوق على خير الورى دوم ملك غافر الناس
والآل والصحب ثم التابعين لهم ربي تمم أرتجي تطهير أرجاس

ومن هناك طلب الحاج عبد الله نياس من ابنه الحاج محمد الخليفة نياس ليرد على الحاج مالك سي بنفس القافية والبحر والمفردات. هنالك جادت قريحة الحاج محمد الخليفة بقصيدة بلغت أبياتها 14 بيتا وكانت أبيات الحاج مالك 13 فكان على منوال قوله تعالى :"***وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها***"([1]) فقال:

يعطي ويمدح من قد جاء من فاس الحاج مالك منجي الناس من باس
من وعظه قد أزال الرين عن خلدي من علمه قد أزال الجهل من ناس
ومن مواهبه نيل الغناء فلا غيث بأجود من حبي وإيناس
المقتفي سنة المختار شافعنا ليلا نهارا بلا ميل لوسواس
عمرت عمرت ما قد كان مندرسا طريقة الختم ذا صوب بلا باس
نقلت في أثر الخاتام من قدم قولا وفعلا كما أوصاك مقباس
لك الخلافة عن شيخي بلا فند في ذي البلاد بأمداد وحراس
قراك للشيخ قد جاوزت غايته جزاك ربك عنا سندسي آس
تأتي الموائد تترى لك آونة مملوة بلذيذ الطعم والكاس
وكنت منتهجا نهج الرسول كما تحييه بعد دروس الرسم في الناس
ما زلت أنشد بيتي مفلق أدب سليل حسان ورد القطب نبراس
داركتها بعد ما مالت دعائمها فاستحكمت واطمأنت فوق ءاساس
واسمح لنا بدعاء منك صالحة بيمينه يسهل المستصعف القاسي
ثم الصلاة على خير الخلائق من خاتم رسل الله نجل إلياس

([1]) سورة النساء الآية 86.

وعندما ودع الحاج عبد الله نياس حبيبه الحاج مالك سي سأله أين يتجه فقال له إلى غامبيا، قال له الأفضل أن تستقر في مدينة كولخ على مسمع ومرأى إدارة الاستعمار، فقال له: "اسكن حيث تصدر الرسائل، لاحيث تتجه" فوافق على ذلك وعمل بالنصيحة فوجه الشيخ الحاج مالك سي خطابا إلى القائد الفرنسي في كولخ السيد بلكار حيث زكى فيه أخاه الحاج عبد الله نياس ووصفه بحسن الضمير وطلب من أتباعه في كولخ إيصال الخطاب إلى القائد الفرنسي واستقبال الحاج عبد الله نياس في محطة القطار في غنغنيو. وكان ما بين هؤلاء الأتباع القاضي عمر كن وعثمان امبوطو صو.

ولما قرأ القائد الخطاب قال بأنه لم يكن على علم بهذه الصفات الحميدة في شخص الحاج عبد الله نياس فقال له اختر أي موضع للسكن ومن ثم اختار الحاج عبد الله نياس موضع السوق مقرا له. وبعد ليلة واحدة رأى أن هناك ضجة لاتناسبه فاتجه إلى الفلاة فقالوا له بأن الموضع بعيد فأجاب بالولوفية بعيد ولكن "**لِوْنَ**" أي طيب وحلال ومن هنا نشأت كلمة "**لِون**".

وهذا يتناسب مع معنى قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)[1]

وبذلك ارتحل الشيخ الحاج عبد الله نياس مع أسرته من غامبيا إلى كولخ وكان ذلك عام 1911م ومكث هناك عشر سنوات كالنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة وكان عمره عند دخوله في كولخ 67 سنة.

وكان قد خطط كلا من مقر زاويته والمقابر، وقال هذه دار المثوى والقرار وهذا موضع التزود للمقابر. وكان يقول بأن المسكن ما هو إلا موضع الانتظار لموعد الارتحال كما قال جل من قائل :(**واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله**)[2].

وفي عام 1922م ارتحل الحاج عبد الله نياس إلى جوار ربه وكان ذلك يوم الأربعاء 18 من شوال وتشابه في ذلك مع شيخه الشيخ أحمد التجاني الذي توفي في

([1]) سورة البقرة الآية 172

([2]) سورة البقرة الآية 281.

يوم الخميس 17 من شهر شوال كما كانت وفاة الشيخ أحمد التجاني يوم الخميس، وفي ذلك ألف صاحب القلم والقرطاس الحاج محمد الخليفة نياس قصيدة قال فيها:

فـي عـام يشـكر فـي شـوال جـاد هـدى يـوم الخمـيس أتـاه المـوت والشـرف

وبعد اثنتي عشر يوما من وفاته توفي حبيبه الحاج مالك سي وكان ذلك يوم الثلاثاء الفاتح من ذي القعدة لذلك اشتهر على لسان العامة قولهم :" **ثلاثاء تواون وأربعاء نياسين**" وخادم الرسول الشيخ أحمد بامبا توفي في عام (**شموس**).

وفي عام 1914م سافر الحاج محمد الخليفة نياس إلى مدينة اندار، شمال السنغال، وذلك للبحث عن أحد تلاميذ والده الذي شرد من محضره وعند ذهابه أوصاه والده أن يمر بالشيخ الحاج مالك سي ليزروه ويجدد العهد ويخبره بمراده فوجده في لود فأخبره بحال والده الحاج عبد الله نياس. وقال له الحاج مالك سي أنت أخي فأبوك والدي لأني لم أر والدي وهو صديق لوالدي.

وفي سفر الحاج محمد الخليفة هذا ما يدل على أن هؤلاء المشايخ كان ضياع أولادهم أوهن عندهم من ضياع تلاميذهم.

وقد بين الحاج محمد الخليفة مواصفات التلميذ المفقود للحاج مالك سي فبحثوا عنه ووجدوه ففرح الحاج محمد الخليفة بذلك فأنشد يقول:

نلنا المرام ونلنا قاصي الحاج من يمن نيل لقاء السيد الحاج
الشيخ مالك البحر الخضم ومن به اهتدى الناس فوجا بعد أفواج
إمـامنا وحبيب الشيخ والـدنا وخير من لم يخب إن يرجه راج
يلقي من العلم بين الناس نافعه كما رمى البحر عبريه بأمواج
واصى بكورا بتدريس العلـوم وإدلاجا بطول قيام بعد إدلاج
كـم طامس الذكر قد أمسى به علما وكم أزالت يـداه فقـر محتاج
لاعيب فيه سوى ما حاز من كرم يُنسي القريب ويهدي خير منهاج
يُرى لديه دوي الذكر يوقظ من قد نام في لُوضُ أو سندُون للباج
من دان بالقطب قطب الأولياء ممـ دهم فـإنا نـراه غـير فحفاج
يُبد الخوارق وهو المستقيم على مُثلي الطريق بلا حزن وإذ عاج

صلى الإله على خير الورى وعلى صحابه مقتفي آثارهم ناج

ففرح الشيخ الحاج مالك سي غاية الفرح فودع الخليفة ولم يمكث طويلا نسبة لانشغاله بالتعليم وخدمة محضر والده فرافقه الحاج مالك سي إلى محطة القطار ففعل معه كما فعل امرؤ القيس مع الحارث في مطاردة شعرية حين قال امرؤ القيس :

أحار ترى بريقا هب وهنا

فأجابه حارث:

كنار مجوس تستعراستعارا

وقال امرؤ القيس:

أرقت له ونام أبو شريح

وقال الحارث:

إذا ما قلت قد هدأ استطارا

وقال امرؤ القيس:

فلم يترك بذات السر ظبيا

وقال الحارث:

ولم يترك بجلعتها حمارا

وقد سلك الحاج محمد الخليفة نياس مع الشيخ الحاج مالك سي نفص المسلك حيث قال سيدي الحاج مالك سي:

قد ضرب الحديد للأوراق،

فأجاب الحاج محمد الخليفة نياس:

بكم وما بكم من الفراق.

وهذا يدل على مدى قوة الصداقة والأخوة والندية بينهما والتي تستند إلى العلم والتقوى والدين.

وعلى هذه الوتيرة استمرت هذه العلاقة الأخوية متينة وقوية بين الأسرتين وبين الشخصين بل وحتى بين الأولاد والأحفاد.

ومن شواهد ذلك أن حفيد سيدي الحاج مالك سي الشيخ أحمد التجاني سي جاء إلى مدينة كولخ سنة 1945م لإلقاء محاضرة فلما سمع الحاج محمد الخليفة

بذلك طلب من ابنه الحاج عبد الله أن ينشئ قصيدة إكراما له واستقبالا، فطلب منه الحاج محمد الخليفة أن يأتي بصدر البيت الأول فجاء الحاج محمد الخليفة نياس بعجزه وإليك هذه القصيدة الرائعة:

فرح البلاد بمقدم التجان والكل حلف مسرة والتهان
والغم ولى مدبرا بجيوشه وشدى حمام الأيك في الأفنان
فتفتقت أزهارها وتجاوبت أطيارها بروائق الألحان
فتزايدت أشواقنا وتضاعفت لترنم الأطيار في الأغصان
فالقلب يصفوا والجفون سواجم مثل الأتي يدوم بالفيضان
وتأنست لمجيئكم أرواحُنا يا أطرب الأتراب في الأزمان
بشربني عبد الحميد بزورة ولسائر الأحباب والإخوان
بقدوم حب صاعد فتى العلى بالعلم والتقى والإحسان
يابن الذي ورث الخلافة والهدى لازلت تقفو أثره بأمان
سر الخلافة في جيبك لامع يا وارث الأسرار والعرفان
لك في القلوب مودة ومكانة لازلت في عز وفي الإحسان
ورث المعارف كابرا عن كابر هو نخبة الأقران في البلدان
فالله ينصره وينصر حزبه ووقاه مما يختشي ووقان

فأجابه الشيخ أحمد التجاني بقصيدة رائعة جميلة. وهذا يدل على متانة أواصر المحبة التي كانت ولم تزل تربط بين هتين الأسرتين الكريمتين.

والقصيدة مطلعها:

سلبتك عن حور هناك حساني فحورأتيناك من بني حسان

فالشيخ الحاج عبد الله نياس توفي كما ذكرته آنفا في يوم الأربعاء بعد الظهر وقبل العصر. ومن طرائف ما يحكى في ذلك أنه لما سلم من صلاة الظهر يومئذ أقام العصر فقيل له إن وقت العصر لم يأت فأجاب أن للمسافر أن يجمع وأنه مسافر إلى ربه سفرا لارجعة بعده. وكان قد أعد لنفسه كل متطلبات تجهيز الميت وكان آخر ما نطق به بعد الشهادة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان الشيخ الحاج عبد الله نياس قد أوصى ابنه الحاج محمد الخليفة نياس بأربعة:

أولها: أن يصلي هو عليه،

والثاني: أن يختم له القرآن مع إخوته،

والثالث: أن يقرأ عليه دعوة أبي هريرة الواردة في البخاري ومسلم.

والرابع: أن يدفن داخل زاويته المباركة اقتداء بالسيد علي التماسيني ذلك القرم العظيم الذي مكث في مرتبة القطبانية قرابة ثلاثين عاما والسيد محيي الدين العربي الذي قضى في القطبانية كذلك ثلاثة عشر عاما.

وكان القائد الفرنسي قد امتنع من أن يدفن في الزاوية ثم أذن بذلك اضطرارا.

وعلى الصعيد الوطني، كذلك كان للشيخ الحاج محمد الخليفة نياس علاقة ممتازة مع العالم المفسر ذي المعرفة الواسعة الحاج أحمد ديم في مدينة سوكون. وحسبك أن تعرف أن الحاج محمد الخليفة نياس قد قرظ تفسيره المشهور(***ضياء النيرين***) تقريظا يعتبر قلادة في عنق الرجل الوسيم.

وفي ذلك يقول الحاج محمد الخليفة نياس:

ضياء النيرين هو الضياء فحق به على النادي النداء
وكان يحق أن يهدى إلى من بناه من ألسن اللسن الثناء
فقام بواجب عنا فأمسى إليه سائر أمنا الهناء
فأبدى فيه روح بيان علم يمين على مداركه الذكاء
فجاء كما يؤمله فيسمو على كل التفاسير اللواء
جزاه الله أوفى ما يجازى به من وجه مقصده الجزاء

كما كانت له علاقة مع الشيخ الحكيم صاحب الروح الصافية الحاج عمر انداو في دار السلام الذي أوفد عند وفاة الحاج محمد الخليفة نياس جمعا من أتباعه للتعزية عرفانا بالجميل.

وللخليفة كذلك علاقات مع الشيخ عيان سي ذلك البحر الرحب الحبر، وكانت تربط بينه وبين الشيخ المجاهد بسيفه وقلمه أمر غون داك في مدينة جنب علاقة متينة.

ومن جانب آخر كانت له علاقة طيبة مع السلطات المحلية ورجالها مثل السيد لمين غي الذي يعتبر أول نائب أسود في البلاد وكذلك مع السيد ليوبولد سدار سنغور الرئيس السنغالي الأسبق.

1. علاقاته مع الشرفاء

يمكن تسمية الحاج محمد الخليفة نياس بخادم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يكنّ لهم من حب وتوقير واحترام و كان يخدمهم قولا وعملا ولله دره حين قال:

إن عـــد أهـــل الحـــب فـــيكم إننـــي فـــي حـــبكم أولـــى بعـــد الحصـــر

وقد جاءت ثمار هذه المحبة يانعة وغزيرة حيث أجاز له أربعة من هؤلاء الشرفاء إجازة إطلاق هم سيدنا سكيرج وسيدنا محمد العربي وسيدي محمود بن محمد البشير الذي ما أجاز إلا لشخصين فقط في السنغال، وكان في حلقة ذكر الجمعة يترنح فيترنح معه الجدار.و سيدي محمد الكبير بن السيد البشير ابن محمد الحبيب بن الشيخ أحمد التجاني وتجدر الإشارة إلى أن سيدي محمود قد أجاز الحاج محمد الخليفة نياس إجازة إطلاق ومشافهة. وفي ذلك يقول الحاج محمد الخليفة نياس.

إن السعادة والـولاية والتقى مقـرونة بإجـازة المحمـودي
نور الزمـان ووارث لإمـامنا قطب الوجـود وختمه المشهودي
نجل البشير ابن الحبيب بن التـ تجاني الممد جمـيع أهـل ورودي
نسب يباهي البدر في أفق السما أو مثـل در في العقـود نضيدي
فلك الفخار بما حويت وراثـة من باهـر الأسـرار والتمجيدي
بحر المعارف والحقائق غصتـه فلك العلى من طارف وتليدي
ولك السمو على الوجود برفعة ولي الفخار إذا قبلت قصيدي
إني وقفت ببابكـم يـا سيـدي جدلي بنـيل معـارف وشهـودي
ومكانـة في العـز طالـع فضلها بوجـه قـد لاح سعـد سعـودي
وأفض علـينا وابـلا من سركـم يمحـو رسـوم طبيعة الجلـمودي
ثـم الصلاة عـلى النبي وصحبه أهل المكـارم والعـلا والجودي

أضف إلى ذلك الإجازةَ التي نالها من السيد محمد الكبير عن طريق المراسلة في الدار البيضاء. وفي ذلك يقول الحاج محمد الخليفة نياس:

بدت كالشمس في الأفق المنيري معطرة النواحي بالعبيري
إجازة شيخنا ابن الشيخ حقا خليفتنا محمدنا الكبيري
أتتنا بالبشارة والتناهي وبالتبجيل والخير الكثيري
فبشري ثم بشري ثم بشري بها من وافد أو من بشيري
فلو كتبت بماء التبر يلفي لرتبتها من الشيء النزيري
فيا عجبا لتاج عزّ قدرا به يهدي إلى العبد الحقيري

وقد سبق ذكر هاتين القصيدتين عند الحديث عن رحلاته.

وقال أيضا الخليفة الحاج محمد بن الشيخ الحاج عبد الله تولى أمره مولاه تهنية في قدوم حفيد شيخنا سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه سيدي بنعمر بن سيدي محمد الكبير بن السيد البشير التجاني رضوان الله عليهم سنة 1398 هـ.

وصلته بالشيخ سكيرج كانت قوية جدا حيث كانا يتراسلان ويعبر كل منهما حلم الأخر وقد قام الحاج محمد الخليفة نياس بشرح أحد كتبه وهو كتاب "**الأدلة المقنعة إلى طريق المنفعة**".

ويحكى أن الشيخ سكيرج في آخر حياته رأى رؤيا في المنام لم يجد من الناس من يعبرها له وذلك أنه رأى فيما يرى النائم أنه ذهب لزيارة الشيخ قاضي عياض فأمسكه الشيخ وقال له تبقى معي هنا ولما سأل الحاج محمد الخليفة نياس تأويل هذه الرؤيا قال له ذلك سوف تتوفى عند الشيخ قاضي عياض بجواره وتدفن ثم بعد حين سافر الشيخ سكيرج إلى مراكش لمزاولة مهنته كالقضاء فتوفي ودفن هناك.

والشيخ سكيرج هذا، كان عظيم الشأن وكبير الشأن وكان كعب الطريقة التجانية في زمانه وحسانها وكان يقول الحاج محمد الخليفة نياس لقد رأيت والدك الحاج عبد الله في المنام وهو راض عنك وفرح بك أيما فرح، وكذلك أنا فرحت فيك فرحا شديدا. ولطالما أنشأ قصائد مدحية يمدح بها الخليفة الحاج محمد الكولخي، منها:

أكرم به من كولخي عالم متبحر في العلم في السودان
نعم الخليفة في طريقة شيخنا عنا وعن من قبل من أعيان
قد فاق في علم الشريعة والحقيـ قة غيره بالحق لا البهتان
وأنا أبجله وأشكره وأشـ كر كل إخوته ذوي العرفان

إلى أن قال:

وهنا يقول محبنا المولى محمـ مد الرضي انياس ذو العرفان
نال الخلافة في الطريقة عن أبيـ ـه عن الإمام العارف التجاني
فسقى أحبته بتحقيق من السـ سر المصون بأكبر الكيزان
وبه غدا السنغال كعبة قاصدي الـ خير الكثير وطالب الإحسان
أنواره قد أشرقت في أفقه وبه استضاءت ظلمة الأذهان
لله من شيخ تكامل فضله قد حل من قلبي رفيع مكان
فاعرف به فهو المعظم والـ مقدم بين أهل الفضل والإحسان
فلنأت في هذا المحل بما به يسبي العقول لحسنه الفتان

وكانت له علاقة مثمرة مع الشيخ بنعمر الذي زار بلاد السنغال عام 1398 هـ فقال عنه الحاج محمد الخليفة قصيدة حين قدومه:

اليمن أقبل في أثوابه الجددي والدهر نافس بعد الغي في الرشدي
وأدبرت ترهات المبطلين وقد زيدت قلوب مريد الشيخ بالمدد
وأصبح الدين في الأمصار مبتهجا مراد من للهدى بالدين لم يردي
فقد رمت عين ماض وهي صائبة بخير أفلاذ أكباد على بعدي
وافى سليل الكبير الشيخ بنعمر نجل البشير منير الدين معتمدي
نجل الحبيب الذي شاعت كرامته ومن به الدين في أمن من الأودي
نجل التجاني قطب الكون من خضعت له رقاب من الأقطاب والعمدي
قد جاء يقدمه البسط العميم لنا والأمن من كل ما نخشاه في الأبد
أهلا بطائر جو جاء يحمل من يوم العروبة في لقياه كالأحدي
ما سار في بلد إلا أقام به ما كان من أود في ذلك البلدي
من الرذائل أمست وهي طائرة به القلوب كغيث سح في الجردي

من الالي لم يرد في رفع مجدهم إلا حديث صحيح المتن والسندي
إني مددت لهم من دون غيرهم يدي لعلهم أن يأخذوا بيدي
أباء معتقدي أمسى ودادهم للقلب عن طرف الأشياخ كالصفدي
عسى أسود بهم إني رأيتهم من لم يسد بهم في الناس لم يسد

هذه القصيدة التالية قد قالها الخليفة الحاج محمد نياس تقريظا لكتاب العالم العلامة والبحر الفهامة الشيخ سكيرج في كتابه "**رفع النقاب**". ومن أعجب الأشياء أن الشيخ سكيرج اختارها مع قصيدة أخرى قالها أحد البيضان وهو عميد الطريقة التجانية العلامة الرئيس سيدي عبد الكريم بنيس، اختارها من بين التقاريظ، وهذا يدل ويؤكد مكانته لدى الشيخ سكيرج، كما يدل على سعة علمه ودرايته.

وقصيدة الشيخ الخليفة محمد قال فيها:

أسألك عن نغمات الشادن الشادي وعن عيون مهى الجرعاء والوادي
وعن ذكر عيش الشباب مضى ترعى بكل نضير القدميادي
رفع النقاب عن الحسن الذي ولعت يحبه الناس من مصر ومن بادي
كم أبرز من خبايا الحسن طلعته ما يخجل الشمس ذرت فوق أطوادي
ومن مآثر ورد الشيخ ما قصرت عنه الرجال من أقطاب وأوتادي
ومن زلال معين فيه مكتتم من فيضه صار يشفي غلة الصادي
ومن مفاوز للعرفان غامضة قد حلها الشيخ ما حلت لمرتادى
حللت منها رموزا طال ما التبست حتى تجلت بأسرار وأمدادي
أبديت ما استشكلوا منها وما غفلوا عنه وكنت إليها السائق الحادي
ومن إشارات تلويح له غمضت على الصحاب بأسرار وأورادي
أزال عنها نقاب الجهل فاستهرت رفع النقاب وأدناها إلى النادي
صارت لياليه بيض الشهور لنا منه حبيب أتى من غير ميعادي

تأليف قرم ولى كامل ندس حاز المعالي من آباء وأجدادي
أبو المعالي إمام العصر من نشرت منه الطريق بإصدار وإيرادي
أعني سكريج لازالت قريحته تجلى بنور من العرفان وقادي
ألقى تراجيم صحب الشيخ قد تركت غفلا بلاقع لم تضرب بأوتادي
مازال يخبرعن أسنى مآثرهم حتى غدا فضلهم بين الورى بأدي
ففض كل ختام من مآثر حتى تدرع بالهند والجادي
كأنه في زمان الشيخ عاصرهم وأنه عنه يروى دون إسنادي
فليت كفي بكف الشيخ قد ظفرت ولو برسم له ومن بعد إيعادي
ثم صلاة على المختار من مضر وءاله بين إخوان أولادي

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أما قصيدة السيد بنيس فقد قال فيها:

يواقيت ضمت في سطور كتاب لكشف حجاب بالرفع نقلت
أم البحر ألفى من نفائس دره فضاءت بها الأرجاء دون حجاب
أم ألاقوا هدى من نجوم زواهر أم الرضى وافانا بأثر سحاب
بلى ذاك تأليف جليل ملقب برفع نقاب بعد كشف الحجاب
كتاب حوى ذكر الأحبة من رأى سنا الغوث واستملى بحسن خطاب
فجاء بحمد الله في غاية المنى وكنز لأصحاب وعيبة طلاب
ولم لا ومنشأه السميدع أحمد سكيرج بحر العلم في غير ما باب
تآليفه في ذي الطريق وغيرها شفانا بنظم للشفاء بإطناب
وكم مدح المختار طه نبينا وكم رد أهل الزيغ من كل عياب
وجاد لهم بالحق جهرا ولم يخف شقاشق لوام ولا كشر ذي ناب
أأحمد يا ابن الطيبين لك الهنا لقد فزت من حب النبي بأثواب
فبلازم حماه فهو حصن ممنع وغوث لمحتاج وطب لمرتاب

ودم رافلا في المجد والعز والعلى معا في آل طيبين وأجاب

وقال الخليفة الحاج محمد نياس في مدح سيدي محمود ابن سيدي محمد البشرى أيضا:

مني سلام إلى المحمود سيرته نجل التجاني قطب الكون ذي المددي
فرع النبوءة من طابت أرومته فليس يشبهه في الفضل من أحدي
ومن أقام عمود الدين محتسبا من بعد ما صار بين الخلف ذا أودي
صارت به دار بيضا من سعادتها عروس حسن بدت في طالع السعدي
إن تستبق حلبات المجد في أمد كنت المجلي لأهل الفضل في الأمدى
فالعلم والحلم والفضل الصميم لكم وأنت للسر بحر قاذف الزبدى
تروي الهدى عن حب مهذب ندس عن جده أحمد ناهيك من سندي
يا حسنه نسبا في العليا كما شهدت بذا جموع الورى في كل ما بلدي
حذوت جدك في العليا كما شهدت بذا جموع الورى في كل ما بلدي
هذا عبيد لدى أعتاب حضرتكم من بعد ما صار يطوي البيد من بعدي
يقتاده الشوق لايلوي على أحد ولم يعرج على الإخوان والولدي
قراه عندك أسرار ومعرفة مما يصان من الأسرار في الخلدي
من كل علق من الأسرار مكتتم مورث عندكم في السر معتمدي
ثم الصلاة على من طاب محتده وفرعه خاتم الارسال ذي المددي
ففي طريقهم أصبحت مجتهدا إلى يرجع فيه كل مجتهدي
أدخلت نفسي حماهم ثم من لهم تعلق بي من صحب ومن ولدي
أبناء ختمين ذا لأنبيا وذا للأولياء فهم سادات كل ندي
فهمتي عقد في نظم مدحكم رجوت أن لاترى منحلة العقدي
يا سيدي إنني عبد لاعبدكم وعبدكم في البرايا سيد العبدي

أصلح لنا كل خرق في طريقتنا كم سائر سار فيها دون مستندي
وبلبل الشيخ في أفنان دوحته مغرد فأثار الشوق في الخلدي
مني هدي لكم أهديتها فأبت سواكم لن تراها عين منتقدي
صلى الإله على من لم يحط أبدا بكنه ما نال الأخالف الأبدي

وللخليفة علاقات متينة مع جل القبائل الموريتانيا مثل الدوالية والشنقيطية والتحكية والعلوية.

وعلماء الشنقيط كانوا يفدون إليه ويستمدون منه، ومنهم من شرحوا بعض كتبه كخاتمة الدرر والكبريت الأحمر ومرآة الصفا، وذخيرة العطايا بالوفود والسرايا.

الخليفة الحاج محمد في عيون المشايخ

كان الحاج محمد الخليفة نياس يحتل مركز الصدارة في العلم والولاية والإجابة والرفعة لدى العلماء ورجال الدين وأهل التصوف سواء في ذلك الذين عاصروه والذين جاؤوا من بعده. وقد أكد كثير منهم هذه الحقيقة بأقوالهم وأقلامهم ابتداء من إخوته من أبيه وأبنائهم وانتهاء إلى البيوتات الدينية داخل وخارج البلاد كموريتانيا والمغرب.

وهذه قصيدة تهنئة قالها الشيخ عمر بن الحاج عبد الله نياس رضي الله عنه في قدوم أخيه الكبير الخليفة الشيخ الحاج محمد نياس من سفره لفاس صانه الله من كل بأس قائلا:

بشرى لنا بإمام عصره الحاج ... محمد شيخ هذا الوقت ذي التاج
تاج الخلافة في معنى وفي علن ... برغم أنف أخي الإنكار لجاج
جاب البرار كما جاب البحار على ... فلك الأمانة من تغريق أمواج
إلى زيارة قطب العارفين معا ... في روضة عندنا جميع محتاج
روضة حاكها في حسن نضرتها ... سمط اللئالي ومرجان وديباج
في روضة شعشعت أنوار ساكنها ... فوق الثرايا وعمت كل منهاج
وجاءنا طالعا سعد السعود لما ... أن جاء من فاس مثل البدر في داج
فأصبح الضوء من ظلمات غيبته ... وجاد بالوصل دهرا فاز بالحاج
وطاب نفسا لما وافى ورفقته ... بكل خير سرور فتح إرتاج
وجآ يرى من متاع الشيخ أحمدنا ... عزيز نيل لنفع كل أفواج
وجاء ينشر مسكا بين محفله ... تشفي النفوس به من سقم تمزاج
وجاء يفرحنا في الله يأمرنا ... وفي الطريق يحض جمعنا الناج
لا زال في الله مفروحا ببغيته ... ولا حوى ما نوى ذي الضغن من جاج
يهدي المسامع مما جآ يحدثه ... حليا يفوق الدراري عند الإخراج
في حسن طلعته عنوان باطنه ... كلؤلؤ خالص في الجاه ولاج
وهو الخليفة فينا وهو قدوتنا ... ثقوا تفوزوا به من سائر الحاج

حوى فرائد علم من زيادته كما حوى كل سرصين عن راج
بحر الشريعة بل بحر الحقيقة بل بحر الفنون جميعا دون فجفاج
أبو المواعيظ يكني من مواعظه كم فاجر صار من أنقى القلب كالعاج
وفي جناب النبي والتجان معا حسان مدح يباهي فوق نساج
وفيهما لا يباري من محبته محبة محضة من غير إخداج
ساس المعالي طرا قبل شيبته فصار في الفضل يعلو أهل إدلاج
فلا وربك لا يشقى مجالسه ولا المؤانس يحظى غير إفلاج
راءوه لا يدخلون النار إن رمقوا بل يدخلون جنات دون إخراج
فوجهه وقت إنفاق على سعة تلقى الصحاف تدور بين الأفواج
فرت إلى داره الفيران آوية له رماد كثير دون سمهاج
لا يشتكي جاره جور الزمان ولا بؤسا ولا سغبا أو نازلا فاج
تواضع طبعه من دون رتبته وهكذا طبع أهل الله أوداج
هذا محاسن من شاعت محاسنه طابت شمائله من بين الأزواج
بجاهكم عند ربي أبتغي وطرى يا سيدي قبل موت جا بإزعاج
صلاة ربي على المختار من مضر وآله وصحبه نجوم أبراج

أضف إلى ذلك ما قاله عنه أخوه الحاج إبراهيم نياس ابن الحاج عبد الله نياس الذي انتشرت فضائله في الآفاق مشارقها ومغاربها وشاعت صيته حين قال:

من كالخليفة الذي تعلما منه ومنه قد حوى التقدما
له تواليف له أشعار رائعة ولنا بها افتخار
أي نجله البكر بحر العلم وفاق في الصغر كل القوم
ورد عن الشيخ على الفحول وصير العالم كالجهول

وقال في قصيدة أخرى مرثيا لأخيه الكبير الخليفة الحاج محمد الخليفة نياس:

فوا أسفا بأن الإمام محمد خليفتنا من ذكره الدهر مخلد
بسير لقوم بعد ميل قد انقضت حياة فتى قد عاش وهو ممجدد

مضى المجد والعليا ومدح محمد بنظم عقود الدر وهو منضّد
مضى جامع الخيرات والفجر كله مضى الزهد والتقى والعلى وسؤدد
مضى العلم والعزم القوى وخشية وحب رسول الله مات محمد
مضى بهجة الأقران صنوي وملجأي خليفة عبد الله وهو مسود
بكته بقاع الأرض والكتب والسما وزمزم والبيت الحرام المخلد
بكته اليتامى والأرامل بعدما بكى طالب العرفان إذ مات مرشد
بكته أيامى كن في خفض عيشة بظل رؤوف ساتر وهو ممجد
مساجده تبكى ويبكي مريده فما لدى فقد وعظ عنده رق جلمد
لحريم الأولياء فمن لنا بسيف لأهل النكر وهو مهند
فجازاه رب الناس فوق مراده لدى جنة الفردوس لأزال يصعد
وبارك في أولاده وأنالهم وراثته الكبرى وعاشوا و سودوا
ولازال عبداله فيهم خليفة كوالده الأرضى وذلك محمد
سمى إمام الرسل وهو خديمه عليه صلاة الله والكل يسعد
وآل وأصحاب مدى قول نادب خليفتنا من ذكره الدهر مخلد

وقال في تقريظ كتابه الفريد في السيرة النبوية مرآة الصفا

أزل الطخا بصفاء وصف المصطفى تجليه عن عينك مرآة الصفا
لما تبدى حسن مرآة الصفا نلنا اكتفاء عن سوى ذاك الصفا
تأليف قرم سير الرسو ل المصطفى والمقتفى كل اقتفا
أكرم به من جامع أكرم به من مصطف أو صاف ذاك المصطفا
أوصافه وفصوله وأصوله جلاه في شوق فيه أصفى وصفا
فيها ابتكار عذائر لم يطمث نها قبله إنس ولا جن جفا
فيها المدائن والقرى مشحونة من كل صنف عبقري مصطفا
حور المعاني في الخيام وزوجهـ ن المصطفى بالمصفى نلنا اكتفا

فتعانقا وتأنسا وتصاحبا أمد الدهور لقد كفى ولقد كفى
وهو الإمام وذا على سحبان جر را الذيل ذاك محمد من قد وفا
إنشد وتحضر شمس ذات المصطفى فتريك شمس الذات مرآة الصفا
يا قوته في قالب الإبداع قد سبكت وأبرز للوجود على صفا
لما تبدت عام شمس شمسها بانت بشمس الشمس شمس المصطفى
نظم به جمع المآثر والمدا ئح والتوارخ والمزايا واقتفا
نظم به نظم به نظم به نظم به رشحات الشوق المقتفا
نظم به حار الوجود لحسنه لا عيب فيه غير وجدان الكفا
فقد الكفاء وجاب كل مهامه من رومه إذ نال من طه الكفا
أزكى صلاة الله ثم سلامه عليه والأصحاب والأهل الوفا
ثم رضاه متى حكي أزل الطخا أزل الطخا بصفاء وصف المصطفى

وإليك قصيدة أخرى قالها الشيخ إبراهيم نياس عن الحاج محمد الخليفة انياس بعد أن رأى في منامه رؤيا عجبته وهي أولى قصيدة قالها عنه وكان الخليفة آنذاك حيا :

تفدي فلانة لو أمست على الإحن كواعب القرن عمر حين تفتنني
إذا نظرت إلى سرب الكواعب قل فيها برهرهة رقراقة الحضن
تفتر عن شنب رتل لها دعج في أنفها شمم والصوت ذو جدن
للبطن هفهفة كذا أصابعها مثل البلور بكف غير ذي شتن
فتلك بكر عروب طَفلة خود ومعصر من كعاب رخصة الفنن
لكن ذرها وعاشر جيلم الزمن ولاتلابسك طيفات من الوسن
ذاك الذي قد حوى سبق القرون معا وراثة عن هُمام ماجد شفن
أعني محمد حاج نجل سيدنا فذالك الندب غيداق أخو منن
مثعنجز حجحج ليث الطريقة سم خليفة القطب في سر وفي علن
يكفيه فخرا بأن القطب خلفه على مقام عزيز ليس في المدن
قد حج كعبة مولانا وزار إما مي المصطفى ذاك عمر أعظم الغدن
شيخ تقي نقي ماجد سند سهل السجية عمري مزكأ القطن
كعب النبي وحسان لمنهجنا خطيب أهل زماني دافع الشجن

لحمل عبء تراث شد كاهله أهلا وسهلا فهذا فائق العسن
تراه يدعو لدين حوله ملأ تزري البدور وينفي ضغن ذي إحن
دهقان حضرته لكل معضلة صدر الصدور صدور الصدر ذا زحن
يغضي حياء ويغضى من مهابته كأنه مثل نور الشمس في السكن
شيخي التجاني مجل ثم تاليه أصلي وأنت لعمري ثالث الطبن
فذالك القرم لازالت مراتبه تعلو علاء بلا نقص مدى الزمن
لازال ربي إلاه الخلق يمخض فوق المنى دونما رضم ولا وهن
ثم الصلاة وتسليم يفوق سما على نبي عظيم الخلق والمنن
والآل والصحب سحب الخير انجمنا من دون فتر وبتر من ولي السكن

وعلى هذا المنوال سار الشيخ الكبير الحاج محمد زينب ذلك العلامة المعطاء الفهام حين أنشد فقال مادحا أخاه الكبير الحاج محمد الخليفة نياس:

قد لاح بشر زمان بعد ما قطبا وافتر حتى رأى الراءون ما عجبا
إذ الأديب بليغ الوقت شاعره وشي بأحسن مما قد وشى الأدبا
بمدح قطب عجيب ضافر أبدا البرزخ الختم جاب الغم والحجبا
مدحته وكفى أحسنته ووفي جزاك ربك شكبا دون ما نصبا
ليتي أحسن نظما رائقا حسنا لكنت أنسج تفصيلا فواتعبا

تقاريظ العلماء عن الحاج محمد الخليفة نياس

ومنهم السيد الحاج مالك سي، والسيد تيرنو سعيد نور تال الفوتي، والسيد الحاج احمد دم السوكوني، والسيد عباس صاله، والسيد هادي طوري.

وممن قالوا عنه ما أعجب السامعين الشيخ أحمد عيان سي صاحب الهبات الظاهرية والباطنية وهو يرثي صديقه المرحوم الخليفة محمد نياس بكولخ عام 1959 حين قال:

مات الإمام وكل الناس في حزن ... فلتبكيه مقلة الإسلام والوطن
مازال مذ هو في فجر الشباب فتى ... يبني المكارم في سر وفي علن
حتى بنى لبني دنياه مكرمة ... لاتنقضي بانقضاء الدهر والزمن
له عوارف أسرار لو اجتمعت ... في قنة الطود خر الطود ذا قنن
إن جئته جئت شيخا عالما فطنا ... يغنيك عن كل شيخ عالم فطن
فلتبكه كتب التاريخ يكتبها ... وليبكه مجمل القرآن والسنن
لذا مدارسنا تبكيه حق أسف ... كذا المساجد والأوراق من حزن
وليبكه النحو والتوحيد معتقدا ... وليبكيه الفقه من فرض ومن سنن
لا لوعة تترك لاكباد سالمة ... وفيضة الدمع فوق الخد في متن
نار الأسى أحرقت قلبي فواشجني ... لو كان يطفئها في القلب الشجن
لو كان يقبل هذا الدهر فديته ... لكنت أول فاد منه بالبدن
لكن أبى الدهر أن يكون ذا سمح ... بفدية الشيخ ذي فخر وذي منن
إن المنازل في وحش لما ازدهرت ... بك البرازخ إذ لففت في الكفن
كأن نعشك شمس إذ تسير به ... ضيفا إلى الروضة الفيحاء في الحزن
يخال نعش حسين في بكا وأسى ... بكربلا بين مكبود وممتهن
أعواد نعشك من مستك لو علمت ... لأورقن فوق هام الناس كالفنن
دقائق لك في الأخرى زجرت بها ... قلوب من عظموا الدنيا بلا ثمن
لامازال يخوف الناس ربهم ... بالوعظ والزجر والآثار في فنن
باتت تسائلنا في كل مشكلة ... عنك المسائل إذ غادرت وأحزني

لو يبتغي الكون شيخا مفردا علما ... لكنت للكون شيخا مفرد الزمن
أو ينبغي الموت في الأعضاء مقبرة ... دفنت في القلب والعين لأذن
أو لم يخل عدد الرسل الكرام لنا ... لكنت ذا عزم منهم وذا رسن
رثيت في الذكر ولأسفار لو سبقت ... حياتك الخير أحيت نسمة الوسن
يا راحلا تحت ظل الله مستترا ... ومكرم الضيف أمسى ضيف مؤتمن
هذا مقامك عند الله معتليا ... فارقد إلى الله ممتازا بكل هنى
تساؤلوا عن جنان قد نزلت بها ... مأوى نزلت أم الفردوس في الفنن
في عليين مكان الرسل منزلكم ... ترى هناك جمال الله أنت فنى
قالوا رأوك طليق الوجه مضطربا ... كالطير ينقل من غصن إلى غصن
وإن علا زاد في الأبرار عافية ... وإن هوى فرج لأشرار عن فتن
فليعمل العامل الراجي لطائفة ... لمثل ذا كنت في الدنيا عن السنن
أبكي عليك ولم أبرح ببحر أسى ... إلى اللقاء إذ في جنة عدن
وإنني لك راث بالغريض فما ... يقضي الغريض لعمري حفكم زمني
لولا مغالبة لاتجان في خلدى ... وجئت قومك في الفردوس بالقرن
روحي فداءك يا من روحه طلعت ... لقن فيك رثا في الدهر لم يكن
في روضة ذات أنهار وأبنية ... من رحمة الله ما سكن غير ممتهن
يهاب سؤلك لولا حكمة سبقت ... لحضرة الله حيث النور في علن
في ذمة الله نم للحشر معتبطا ... ملائك الله كم قدمت من حسن
جاورت ربك في الفردوس مبتسما ... فرحمة الله تغشى الروح بالمنن

وقال عنه في قصيدة أخرى، وكان بعض الحاشية قد احتجزه فبعث إليه قصيدته هذه فقام الحاج محمد الخليفة نياس بإحضاره إليه:

قل للخليفة أبقى الله حرمته ... بأن شاعره في الباب قد وقف
يبغي زيارته ثم الدعاء له ... وأن يجدد عهدا بينهم سلف

وفي مقام آخر قال له :

الناس تحسدني في فيكم لمنزلة وكل ذي نعمة في الناس محسود
لاتشمتني بي الحساد فيك أما محمد اسمكم والفعل محمود

وهذا يدل على أن صداقتهما كانت أرضيتها العلم والوفاء وقد عامله الحاج محمد الخليفة نياس بكيفية لا تذكر باللسان ولاتدون في القرطاس، علمها من علمها وجهلها من جهلها. وقد بلغ الأمر إلى حد أن أحمد عيان كان تمنى أن يتزوج على كبر سنه ليجد ولدا فيسميه الحاج محمد الخليفة نياس.

وممن سار على هذا المنوال، خليفته الأول الحاج عبد الله الخليفة وارث سره.

ما إن ترى في مشرق أو مغرب يا صاحبي من حاضر أو باد
مثل الخليفة واسمها قد حازه لا بالرياسة لا ولا الإفساد
سر الخلافة حازه بكماله لا بالدعاوى ولا إلا لحاد
ورث الخلافة كابرا عن كابر من شيخنا التجاني ذي الأمداد
هو مفرد في دهره ومكانه وخليفة الخلفاء في الإرشاد
متصرف في القوم لبيت شبابه قد رد من أعلى ذرى الانجاد
إن شئت سيرته فسيرة مالك والشافعي في الفقه والأوتاد
زر لخليفة وقت زور صحابه فلسوف تصبح سابق العباد
من حبه آل النبي وصحبه صارت محبته لأفضل هاد
هاج الغرام بقلبه فكأنه متفطر الأحشاء والأكباد
قد قال قبل من يحق قصائدا عد الحصى والرمل والأعواد
من شعره ملئت دفاتر جمة يمليه مبتكرا عليه وغاد
فجيوشه عن منصب الشيخ الذي قد سار فوق جهابذ الأفراد
تحمى وتفتنل إن يرام جنابه بالرمح والصماصم والإرصاد
فلنا مرآت الصفاء كفاية تنبئك عن خير النبي الهاد
هذا بينكم الذي سميتموا بالوالد السامي على الأطواد
متمسكا بجابكم يرجو بكم سرا تقاصر عنه كنه فؤاد
ثم الصلاة على النبي وآله قدر ابحار وقدر ضال الواد

وقال عنه العالم المغربي الموهوب الشيخ سكيرج حسان الطريقة وحارس ثغورها:

لله درك يا انياس إنك لم تدع جولة في حومة السبق
فعاد وهو المعادي لولاية في هداه يلطم خديه على الطريق
ولو درى الحق حقا وهو يجهل ما يقوله لدعا للحق بالرفق
لكنه ما درى حقا فكفر من هم ذوو الحق وهو ناجح الشدق
ففيض الله انياسا فبصره بالحق في أهله في الغرب والشرق
لله درك يا انياس نلت هدى فقد أتيت بحق في الذي تلقى
دم في عناية الله تهدى للهدى وعلى بغيض أهل الهدى ترى شجا الحلق

ومنهم العارف بالله سيدي عبد الحفيظ الذي قال :" *فقد أطلعني صفي القاضي العلامة سيدي أحمد سكيرج على هذا التأليف البديع في كتابه المسمى بالمرهفات القطع وشرحه للإمام الهمام خليفة شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم سيدي أحمد التجاني سيدي الحاج محمد بن عبد الله نياس، زاد الله في معناه واقترح على تقريظه بعد مطالعته فّهو موف بالمراد في ردع أهل العناد سالكا نهج التحقيق كاسرة الأجنحة من رمى الشيخ بالزور والفجور دامغ الأباطيل بواضح الأدلة والإصابة لم يبق لقائل ما يقول فجزاه الله بأحسن الجزاء فلقد قام بالواجب عن جميع الأصحاب*".

وليس يصح في الأذهان شيء إذ احتاج النهار إلى دليل

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتبه بمنه عبد ربه وأسير كسبه بن العرب الفاسي بنيسي التجاني طريقة كان الله له في الدارين وقلت:

أعقد جمان أن طراز موشح وغضب يمان مرهف موشح
بلى ذلك بتأليف أتانا برشحه يرد على من للأباطيل يجنح

ألا يـــا ابـــن عبـــد اللـــه جئـــت بواضـــح مـــــن الحـــــق والتأييـــــد للحـــــق واضـــــح
ونلـــت رضـــا الشـــيخ التجـــاني بـــلا خفـــا ونجحـــا ونصـــر الحـــق بـــالحق أنجـــح[1]

وقال الإمام تاج العارفين الشيخ محمد فال ابن باب العلوي رضي الله عنهما مقرظا لكتاب الحاج محمد الخليفة نياس:

أســـاء العـــدي أم نظـــم الإمـــام محمـــد وأبطـــــل تلبـــــيس الجهـــــول المعربـــــد
فيبـــــرم تكفيـــــرا الإمـــــام وحزبـــــه وينكـــث ذالـــك الغـــزل بالنقـــد باليـــد [2]

وقال عنه الشاعر الغامبي والقاضي الشرعي في محكمة بانجول الحاج علي ساخو ابن عمر ساخو لمدح الشيخ الكامل ذي المجد الشامل الخليفة الكولخي الحاج محمد ابن القطب الكبير الحاج عبد الله نياس رضي الله عنه وعن الجميع تبركا منه وتقديرا لحفلة زيارته عام ألف وأربعامائة وثلاثة عشر هجرية 1993م:

حلف الزمان ليعطين ذي الهدى شيخا حنيفا كالخليفة مرشدا
لـما تـبين حـنـثه قـلنا له كفر يمينك لن تنجز موعدا
هل مثله من عالم متبحر سبق الرجال وحاز دونهم المدا
هل مثله من عارف متصوف جمع الشريعة والحقيقة فاهتدا
هل مثله من سالك من واصل من قائـد أو من إمام مقـتـدا
بل مثله بيض الأنوف فمن رمى عـن قوسه لمثيله لـن يقصدا
هو جوهر فرد أغر وأروع تمت بطولـته وفـاق تمجـدا
هو فاعل الخيرات مفعـول به كـل المحامد وهـو فيها مبتـدا
وهو الهدى ومحل رحمة ربنا وهـو الشفاعة والشفا من كل دا
بـر حلـيم ذو تـقى ومروءة بمكارم الأخلاق سـاد وسـودا
طـاف المعالـم والمسالك جابها نحـو العلى وبنـاء مجـد شيدا

(1) الجيوش الطلع باب التقاريظ الصفحة 93- 94.
(2) الجيوش الطلع الصفحة 93- 94.

أما الشريعة فهو شمس نهارها ورفيق سنتها على نهج الهدا
أما الطريقة فهو عين منارها ودليل سالكها المبيد لها العدا
هو خادم للحضرتين وإنه أعلى مثال في محبة أحمدا
ولسيرة المختار منه تجدد وبه تحلى جيدها وتقلدا
جادت قريحته ونال بلاغة رفعت نتائجها مكانة أسود
هذا أصيل المجد عنصره الصفا من أصله ورث السيادة سيدا
فرع كبير في السماء أفله دوح الولاية مثمرا كل الندا
فالأم آمنة سماه محمد سليل عبد الله والد أحمد
من زاره متعلقا متيقنا يلقى المنى وينل شفاعته غدا
صلى على محبوبه وصفيه رب تعالى جده وتوحدا

وقال أيضا حين أجازه الحاج محمد الخليفة نياس فتقبلها قبولا حسنا ولم يتمالك عرفانا وفرحا إلا أن قال:

فإن كنت عبدا لابسا بجناح فارجوا من الرحمن نيل الفلاح
وإن كنت ممن عاج عن سن العلى انحوا نحو أهل الصلاح
الهدى بحرمة تقديم الخليفة أكتفى لدى سطوة الأهواء دون سلاح
وأعلم أن لو كان بايع مسرفا غدت نفسه للغي ذات جماح
لحوله شيخي التجاني تصرفا فأمسي رشيدا بعد غي الصباح
فلم لا وشيخي حبه وصفيه ومن حبه فان وليس بصاح
له هزة السكران حالة ذكره ونشوته إذ ذاك بنشوة راح
ويخدمه في شخصه وطريقه من المهد حتى اللحد يا للرباح
فمخضرة حقا رياض طريقنا بخدمته والسرح جم اللقاح
لقد صانها عن كل لاه ومفسد وكافح ذا الإنكار أي كفاح
فكم ذب عن شيخي عدوا ومعاندا له مرهفات قطع كالرماح

جمعت معالم الطريقة كاتبا كما أنت عنها للحنادس
وعيت فنون كل علم يفيدنا ماح وظل العلوم في بلادك ضاح
بعلمك تزدان الشريعة دائما وزفت زفاف البكر وقت النكاح
وكلم مشكلات قد حللت لنا بها وحكمك مقبول بدون تلاح
ورثت مقامات الشيوخ حقيقة ومن بعدهم أصلحت كل صلاح
فتحت بلاد الله فاستسلم الملا بعلم وتقوى لا بحمل السلاح
وكم قدت جبارا عنيدا إلى الهدى بنيتك الحسنى وخفض الجناح
وكم صالح ربيبته مترقيا فصار ولى الله يا للنجاح
خدمت رسول الله حافظ وده وخدمته تعطي أتم الرباح
وفي مدحه فازت يمينك فافتخر بقدح المعلى وهو اعلى القداح
فيا رب متّعنى بحب الخليفة وصحبته أنحو لأهدى المناح
وصل على المختار مع كل صحبه وسلم عليه في المسا والصباح

وقال خادم الحضرة النبوية محمد سعيد علي المالكي التجاني مقرظا كتاب الشيخ الخليفة نياس الجيوش :

يا من أتى بالمرهفات القطع لله درك من همام لوذعي
قد قام منتصرا لأكبر عارف بالله ربي ذي الجلال الأرفع
هو قطب أقطاب الوجود المرتضى ختم الولاية ذو الجناب الأوسع
ذاك المسمى بالتجاني أحمد من في الورى بمثيله لم نسمع
شيخ الطريقة والحقيقة من له ممد على طول المدى لم يقطع
أعم به المنتمين له ومن ولاه من أهل القلوب الخشع
لاسيما انياس ذو الفضل الذي بمحمد بين الفطاحل قد دعى
إذ قد أتى بأدلة كمرهفا ت القاطعات لأصل إفك المدعى
لازال مرضيا مرعيا بعين اللطيف في حرز منيع أمنع

بالمصطفى وبآله وبصحبه والتابعين وتابع للتبع
صلى عليه الله ثم عليهمو مع كل عبد عابد متورع
ما قلت مختتما ألا دم طيبا يا من أتى بالمرهفات القطع([1])

وممن جادت قريحته برثاء الحاج محمد الخليفة نياس وذكر مناقبه الشيخ الفاضل الجامع بين الشريعة والحقيقة المقدم تفسير مصطفى تيام الفوتوي:

قد غاب شمس شريعة وحقيقة بدر المعارف ومثله هل يوجد
قطب لدائرة الفضائل كلها علم لأوصاف الكمال فيحمد
مداح قطب الأولياء ببحوره وكجده المختار طاب محمد
اسم ووسم للمحبة نالها فاقت مراتبه أمام سيد
لولا تسلى بالنبي وصحبه لبكيت دهرا نار وجدي يوقد
بكت الكتاب وسنة وعلومها والجو أظم حاله لا ينفد
لكماله شهدت له كل الورى شرقا وغربا فضله لا يجحد
لا زال يرقى بالمعارف صادقا مرقات عز المكارم يصعد
أيامه وشهوره قل سنه شهدت مفاخر عصره فيحدد
شاهدته شاهدته شاهدته بمنازل ربي بذلك يشهد
أسد المعارك شمس أهل حقيقة ولا الفصاحة في الفنون المسود
حسان في مدح النبي محمد تيجان أهل طريقنا إذ ينشد
ورث الخلافة سيدا عن سيد لتحامل بالواردات مسدد
إني لأرجوا للخليفة نائبا يعلوا به أمر الإمام فيقصد
يا رب يا وهاب مدبر أمره ثبت لنا الأقدام حين تفقد
روح الوجود وسره لمحبه فيض الإله به المحافل ترشد
أسكنهم يا رب البرية بجوار طه المصطفى هو أحمد
صلى الاله على النبي وءاله ما بات مرثي شيخه يتهجد

وهذه القصيدة لتفسير مصطفى تيام في قرية طيب غيين في منطقة فوتا:

([1])الجيوش الطلع باب التقاريظ الصفحة 97- 98.

قادني قائد الإله إمام بيميني فنلت أقضى المرام
عجبا بالمبين هاد البرايا خص أهل الكمال حال الفخام
إذ صفى للفحول درك المقام دونه للرجال نيل مقام
قادني مذ صفى المحبة فينا فترقى روحي المنازل السام
إن للقلب عند ذاك ولوعا صار جسمي غيبا وكل نظام
حسن ظني في أهل وقت جميعا نيل فوز القبول نيل المرام
صاحبي سيد خليفة شيخي وجنود عاينت دون ملام
ليميني ظهوره كل وقت ومعيني في الحال عند الهيام
حضرات القدس المجد شهدنا بإلهي الكريم محكي العظام
ربي صل ثم سلم على من أصل عين الوجود ذي الفضل عام
وعلى صحبه الكرام وأهلي ثم من يفتقي بخير هيام

وقال عنه ابنه الحاج إبراهيم وخليفته الذي يشار إليه بالبنان في العلم والدراية وارث سره وخادم حضرته في الحضرة والغيبة:

فهل ترى كولخ مثل الخليفة لا ما مثله رىء يال الناس بالهمم
فوا خليفة عبد الله والدنا لنجل سر عظيم القدر ذي الفخم
فلم يغب منه إلى جثة عظمت وسره دائما يسري إلى أمم
ما إن أتى بلدا إلا وجنبه رب العباد من الأكدار والوخم
بالله بالله لا ينفك في خلد تذكار والدنا ذي العلم والكرم
حاز العلى والمنى والعلم أجمعه بشرى لمن زاره بالفوز والعظم
خديمه خير رسول إلاله كذا قطب الرجال أخي العرفان والحكم
حام لدين الهدي دين النبي كذا طريقة الشيخ من قد لج بالزعم
واحفظ خليفته من شر ذي حسد كذا المريد مريد الشيخ بالنعم
يارب بالمصطفى مع صحبه الخلفا فلتسفه من حيا العرفان والكرم
أزكى صلاة وتسليم وأدومها على الذي هو سر السر بالقدم

وقد قال عنه الشيخ البار ابن البار الحاج أحمد نياس الولي الكامل المجاهد الأكبر والعالم المختار الذي ذاع صيته وطار ذكره في الآفاق بين القاصي والداني:

قد قالها أحمد يرثي بوالده ... شيخ الشيوخ جميل الصيت والشيم
لم لا وقد كان للإسلام حامية ... وللطريقة راع حافظ الحرم
وفي الثمانين صار البدر قد أفلا ... كما تقدم للتجان محترم
يرتل الآي والأذكار في سحر ... والدمع ينصب في خديه وكم
دأبا يجافي الوطا والليل مظلمة ... إذ المغفل ليلا نام لم ينم
ما زال ينشئ أشعارا معددة ... في مدح سيدنا المختار في القدم
كذا في مدح قطب الكون ممدنا ... أبي العباس عديم المثل في الأمم
لذا وراثته قد كان حائزها ... بما يصرح ذو علم وذو فهم
هذا الشمائل كان الشيخ متصفا ... بها ويشهد كل العرب والعجم
سل أهل مكة سل أهل المدينة هل ... مثل الخليفة موجود لذي النسم
خليفة الحاج عبد الله شيخي من ... خلا التواضع والأمداح لم يرم
تبكي مهارقه كذا مساجده ... والسبع من موته يبكين من سدم
يبكي المساكين والصبيان إذ فقدوا ... معطي مواهب تحكي وابل الديم
والجن والإنس والأملاك قاطبة ... بكوا عليه بكاء غير منكتم
لكن خليفته فينا الأمين فلا ... نخشى ضياعا ولا خذلان في الأزم
أعني به عبد الله الحاج من جمعت ... فيه المكارم مثل الدر في الغيم
ثم صلاة وتسليم على قمر ... من نوره انفساع الذنب والأمم
والآل والصحب والأزواج قاطبة ... وكل ذي اقتداء تابع لهم

وهذه القصيدة قالها الأخ أحمد غي في حق الشيخ العالم العلامة والعارف الرباني الشيخ محمد الخليفة نياس:

إلى عارف المرحوم أهدي تحيتي عميد الورى في الحزن شمس الفضائل
فهل تنفع الأشعار في مدح عليم طبيب القوافي في جميع المنازل
فهذا الذي بالحق سر مطلسم وقطب الرحى دوما لحل المشاكل
فإني بنور الشيخ في كل فدفد أنير لعل الله يربي نوائلي
لنا الفوز بل لأهل فوز ومغنم لكون أبي حمد زعيم الأوائل
فأعجوبة في الشعر والنثر والحجا فأهلا به فالشيخ بحر السواحل
غدا مشرب الأعلام في كل موطن وحامل سر القوم بدر المحافل
هو المجد من رأي النواحي أتيته فهمته في الدين أعلى الشواغل
لقد صح أن الشيخ قطب ومرجع لمن همه الإصلاح بين القبائل
فلي البشر والتسير لما عرفني أبو حامد المرحوم رمز الدلائل
فريد بتوحيد الإله وحب من غدى أنه في الناس أرقى الشمائل
فأهلا به إذ أنه دام مفردا بمدح التجاني القرم مأوى القوافل
فكبريتنا هذا دليل بأنه فريد بحب الشيخ رغم المشاكل
خدمت لدين الله خدمة مصلح ودوافع نهج الشيخ عن كل جاهل
فسل ابن مايابى أخي الجهل والطغى ومن يقتدي بالفعل نهج القلائل
لقد نال منه الناس مجدا أو رفعة من العلم والأسرار حتى النوافل
فمنهم أبي الموقور سج مود سيدي حوى منه أفضالا بدون وسائل
جسين فإن الشيخ فخر لأهلكم أجل ولمن في سالم من بواسل
فأهلا بكم جس مام خليفة فإننا مجانينكم في الحب أهلا بقائل
أشيخي هذا خادم جانب نحوكم غوارب أمواج وسيل السواحل

قصيدة لمحمد عبد الرحمن ابن السالك يقرظ ديوان الخليفة الحاج محمد بن الحاج عبد الله في مدح شيخنا وسيدنا ومولانا أبي العباس أحمد التجاني رضي الله عنه.

أسموط در فصلت بجمان ... أم ذي عقود منقب المرجان
أم ذي هدى أسفرت تختال في ... خفر كعصن البانه الفينان
أم ذي حلى تاج المعارف شيخنا ... ذي الشأن بله تقولات الشان
بل ذي نتيجة فكرا وحد دهره ... العالم العلامة الربان
الحاج سيدنا خليفه شيخه ... وأبيه عبد الله ذي العرفان
درر من الأشعار لم ينسج بها ... فكر بأمداح ولابهتان
تعلو بسوف الشعر إن غليت فكم ... عزت على غال من الأثمان
لم يهد شعر في ملابس حسنها ... من قبلها بإمامنا التجان
تنزه الأسماع مهما أنشدت ... كمزامر مضروبة ببنان
وتلذ للأبصار إن أبصرنها ... فكأنها روض المحب الفان
لله در أبي الإمام محمد ... شيخ الطريقة موقظ الوسان
اللوذعى الألمعي المرتقى ... من كل مجد شامخ بقنان
فأبان من فن البلاغة ما به ... قد راح سابق حلبة الميدان
فله علينا بالذي أهدى إلى ... آباء سوداء القلوب يدان
أهدي إلى شيخ المشايخ حلة ... حسناء لاتبلى على الأزمان
شعر نود الغانيات لو أنها ... عن حليها بالحلى منه غوان
ديوان شعر قبله الأقوام ما ... شعروا بنسبة سيد الديوان
فاقطف جناه مااستطعت فإنه ... لم يجن قط كما جنيت الجان
يدني بألفاظ عذاب نائيا ... من كل معنى ليس طوع معان
عنوان نسبته إلى أشياخه ... وتميز الأشياء بالعنوان
فالله يجزيه جزاء وافيا ... ويمد في أيامه بأمان
صلى الإله على الذي زيدت به ... شرفاء على شرف بنو عدنان

وممن سار في هذا الدرب في ذكر محاسن الحاج محمد الخليفة نياس ومناقبه أحد أحفاد شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس الأستاذ أحمد بكار نيانغ في قصيدة نونية رائعة جامعة شكلا ورائعة مضمونا حيث قام وقال:

يا ما أحيلا أن تزور خليفة ... عن شيخنا قطب الورى التجاني
جئنا نزور معلم الأجيال من ... قد عاش يرفع راية العرفان
إنا نزورك يا امير الشعر والشـ ... شعراء في السودان والبيضان
جئنا نبايع في القريض أميره ... من حاز قصب السبق في المديان
وجثا له الشوقي الأمير مبايعا ... مع حافظ ونزارنا القباني
وجثا له ذو النون بعد وحامد التـ ... تلري أسطورة الأوزان
يا سائر في الله يا متصرفا ... في الكائنات بكشفه النواراني
ذكرتنا حسان وابن رواحة ... والمادحين لأحمد العدناني
زواركم في الله فازوا بالهدى ... والفتح والتمكين والرضوان
حازوا بفضل مزورهم فتحا أتى ... بعناية جلت عن الحسبان
وبهمة لمزورهم تعلو على ... صرح الوجود إلى على الصمداني
كم ذللت صعبا وقدات معرضا ... عن ربه الجذب للرحمان
يا رب هذي الهمة العليا يا ... أنس الوجود وبهجة الملوان
يا نجل آمنة وعبد إلهنا ... حب الرسول خديمه المتفاني
في حبه في مدحه في قفوه ... في نظم سيرته بالكالمرجان
يا أيها الصوفي يا من قلبه ... متعلق بمكون الأكوان
يا مفرد الأعلام والأغواث يا ... أعجوبة الأحقاب والأزمان
يا سائر مازال يأدب سيره ... حتى غدا من سادة الديوان

يا وارثا قطب الوجود ووارثا — للحاج ذلك العارف الرباني
يا شيخ أنت الحاج أنت محمد — وخليفة في الكون عالي الشأن
قد حزت سر خلاقة أخبارها — شاعت بطول تحادث الركبان
من بعد ما قد حزت لقيا أحمد — قوت القلوب ومتعة الأجفان
قد جاءه بعد الولادة زائرا — ليضمه للصدر بالأحضان
ولذا تفرد في التصوف فائقا — غيرا بضمة أحمد العدناني
هو شاعر المختار كم أهدى له — شعرا بديعا يزدري بجمان
هو صارم للحق عاش مدافعا — ببراعه عن شيخنا التجاني
إني أزف له تحية شاعر — ومق له ولشعره الرنان
صلى الإله على النبي وآله — والوارثين ومن إليه بياني
والمقتفين له وآل وداده — والزائرين وسائر الإخوان

وقال أيضا:

عج بي إلى قصر دعاني — حب عميق وانتساب دان
وقفا به متلهفا متشوقا — متفاعل الأحشاء والوجدان
وقفا به وانشد طويلا عنده — أنشودة المتغرد الولهان
سرح خيالك في المعاني جامحا — في عالم الشعر العريض الهاني
وتأملا تلك المعاني الرقصا — ت السابحات بفيضها الطوفاني
واسمع نشيد العندليب وشدوه — فوق الغصون بأطرب الألحان
ياما أحيلا صوت آل محمد — في محفل الأشعار والأوان

ولأحمد المنصور لوح قصيدة يقول فيها مادحا لشيخ المشايخ وقبلة العلماء، الحاج محمد الخليفة:

لمن الديار عفت معالم تربها لارسمها يعطيك بالعرفان
دار لمية ورباب أختها غيرها صرف على الزمان
أسائلها أربابها وكلها صمت عن الجواب والإعلان
حالت أمور محبتي عن غيرها قرة عين منبع العرفان
شيخ كريم لايقاس بنده محمود نجل عبد الله الداني
وفضله على الورى معظم يساعد الإسلام بالقرآن
وقد رئى سيدنا العدنان في مهده ففاض بالفيضان
قد حاز من ضم النبي عرفانا في طفله ففاز بالإحسان
نال الوصول لربه جهارا نال القبول بربه الرحمان
منهجه في الدين لايباري لأنه خليفة التجان
يقود قوما دون ما انكار لربهم كم قاد من عبدان
يؤم قوما في هدى القرآن مقامه يشهد بالبرهان
في يده جماعة التجان وكلهم في منهج القرآن
كم سالم في أمره مخلص لولاه نال حسرة الهيمان
ندعوك يا شيخ الشيوخ أنت ذو كرامة من ربكم منان
بأن تكون قاطعا ورثا شيـ طان الذي رجوعه النيران
وكف عنا بشيخنا التجاني كل الهوى ومهلك الخسران
ودافع نفوسنا عن كبر بجاه من في يده إيمان
وحُل عن الدنيا بيد الطولى بيني وبينها على الإمكان
لأنكم في قولكم لسان كن نرجو به الدخول في الجنان
ماذا أقول في أمركم وإنني عي عن التعداد بالإتيان
ثم الصلاة على النبي محمد وءاله وصحبه الفرسان
ما قال في مدحكم منصور متفعلن متفعلن بالأسان

وقد جادت قريحة مؤلف هذا الكتاب في حياة الأريحي الألمعي أصمعي الفصاحة والبيان، ومالكي الفقه والأصول، وأشعري الشريعة والعقيدة، مولانا الخليفة الحاج محمد نياس فريد عصره ووحيددهره وعبقري زمانه قائلا:

بكائي على النبراس والقلب حائر وسحب دموعي من جفوني ماطر
بكاء شديد في حضوري وغيبتي بقلبي وأجفاني فحالي ظاهر
لقد هاجت الأمواج همي ورفرتي وليس لما بي من فقيديّ ساتر
يساجلني الأطيار والجو مظلم فبت أراعيه وقلبي مخامر
رآني أقوامي كئيبا مفزعا أكابد بالأحزان والجفن فاتر
وأبكي كما تبكي طيور هديلها تسيل إلى نحري دموع بوادر
فقلبي تلظى والفؤاد مروع وإني طوال الليل يقظان ساهر
وتبكى على فقدانك الأرض والسما وكل البرايا غب رحلك ذاكر
فباتت دموع الناس مهما تذكروا تفيض كما فاضت فيوضا مواطر
تعجبت من شيخ مرق ومرشد ينال به كل العلى والمفاخر
وكم خاض في بحر الولاية سابقا له منزل فوق المقامات خاطر
وكم نال حسن المدح من كل إخوة ويمدحه أيضا شيوخ أكابر
فريد وحيد فائق في دراية له منصب فوق المناصب قاهر
فما عالم يدنوه في الفضل والعلى له منبر لا تستويه المنابر
فما عارف إلا ومن البحر غارق ويشهده بالفضل بر وفاجر
له صولة في نصرة الحق دائما فأسلمت الأعداء كل زواجر
لقد عاش كي تحيى الطريقة دائما مذبا عن الأعداء كل بواتر
قضى عمره في الله أفنى حياته بحب النبي المصطفى وهو ماهر
فما المنبع الفياض يحكي نوالكم ففضلك مشهود وجودك هامر
هو البحر لا ينفك يرمي دراهما وفي لجه الياقوت ثم الجواهر
حليم صبور النفس في كل شدة مطيع مطاع الأمر والقلب شاكر
فشأن عظيم من شؤون إلهنا وفخر عميم لا تضاهى المفاخر

فوالله ما جاد الزمان بمثله وما إن رأت عين به قل وخاطر
صلاة على المختار ما قلت بغتة بكائي على النبراس والقلب حائر

وهاته قصيدة نظمها الشيخ بنب محمد انجاي في ليلة من ليالي رمضان 2004 بعدما أراه الله في النوم بعض فضائل الخليفة الحاج محمد ومزاياه.

دع عنك نوما وهم العيش والكسلا والفرس والروم دعها اليوم والمللا
دع عنك أهل دعى وسمعة وريا وكن على الحب والإيمان مرتحلا
إلى الخليفة من ناجاك ترقية فأيقظ القلب للرحمان متصلا
لبيك يا علم الإسلام موصل من لحضرة الله يبغي الوصل مبتهلا
لبيك وارث سر القطب أحمدنا أبي العباس الذي (بقا) قد تجلى
هلا معينا بأمداح أرتلها شعرا رصينا جميلا كاملا جزلا
ومن يناولني درا فأنظمه؟ تاجا يناسب من أوصافه خصلا
محمد هو عبد الله والده والأم آمنة ما غيره حصلا
حبا وقربا لطه في أصالته يا حبذا الشيخ مبروك له نزلا
إني أبأيعه حبا وأفرده شيخا فما غيره أري له عدلا
هو الإمام الذي فاقت مقامته أهل المقامات عاليها ومكتملا
كن من تحب رفيع القدر محترما غفير جمع عظيم الأمر مرتجلا
في خدمة الله قد أبدى تفرده سبقا فما شأوه من خادم وصلا
هذي مدارسه هذي مساجده أبنائه سفراء الدين يا للعلا
عبد الإله على أمد عمر أبو حميراء إبراهيم قد فضلا
شيخ الأميمة لاتنسوا هديته خطيبهم من بارض النهر قد نزلا
حيوا الأمين الذي رمز الفخار لهم كبيره ذو العطايا قد دعى جفلى
واذكر بشيرا مع السادات مختتما سلام ربي عليهم إنهم كملا
يا أهل (سالم) إني فر قطاركم فلا يأخرني عن ركبه كسلا
تحابوا واجمعوا فكرا يقدمكم يا إن التحابب سر الله في العقلا
أهل (فوتا) فلا تنسوا خليفتكم لقد تلقى به أسلافكم نحلا

قد أثبتت الخير في رجالكم سلفا (تفسير بلى) أتى والمصطفى مثلا
يحي حقيقتهم منكم ومريدكم ومن تلكا يقلي الضير والسفلا
صلوا على المصطفى وسلموا أبدا رضوان ربي على شيخي وقد فعلا

وقد قرظ سيدنا سكيرج كتاب خليفة الحاج محمد (**الجيوش الطلع بالمرهفات القطع إلى ابن مايأبى أخي التنطع**) قائلا:

لله قوم حباهم منه مكرمة أقامهم لآنتصار الحق في الخلق
منهم أمد يعرفان محمدهم أنياس في رد ترهات في الخلق
فانظر إلى الحارف الجاني فقد كتبت يداه ما رده أنياس بالحق
لئن أطال ابن ما يابى بباطله يدا فقد قدها أنياس بالصدق
لله درك يا أنياس إنك لم تدع له جولة في حومة السبق
فعاد وهو المعاد للولاية في هداه يلطم خديه على الطريق
ولو دروى الحق حقا وهو يجهل يقوله لدعا للحق بالرفق
لكنه ما درى حقا فكفر من هم ذوو الحق وهو ناجح الشدق
ففيض الله نياس فبصره بالحق في أهله في الغرب والشرق
لله درك يا انياس نلت هدى فقد أتيت بحق في الذي تلقى
دم في عناية الله تهدي للهدى وعلى بغيض أهل الهدى ترمي سجا الحلق

وقال الشيخ الأديب والشاعر أحمد سالم بن المصطفى بن سيدي أحمد بن محمد في تقريظ كتاب الشيخ الخليفة محمد نياس مرآة الصفا :

هذا الكتاب على نهج الرسول جرى وذكره بالثنا حتم على الشعرا
أبدى لنا غرة الأمداح مشرقة كأنها اللؤلؤ المكنون قد ظهرا
هي الصفاء ومرآة الصفا ولها حسن به عزة الأقطاب والأمرا

وحاز ناظمها فخرا وشارحها أهدى لها الدر منظوما ومنتثرا
حتى بدا نورها في الجو صاعده يزاحم الضوء منه الشمس والقمرا
ويكتفي ناظر في حسن طلعتها بالاكتفاء لها إن أمعن النظرا
حمدا لمانح ما أعطى لناظمها من همة في العلى قد عزت النظرا
فالمال أنفقه والنفس أتبعها في الله واقتحم الأهوال والغررا
وكان من إرثه للشيخ في غرف من الهدى بعد ما قد حج واعتمرا
ومن أتى بابه بالشيخ منتصرا فذاك عن خصمه قد عز وانتصرا
تقتاده للعلي من مجده همم إلى مكارم وراءهن ورا
حفظ الكتاب وعلم بالحديث على ما يعلم الله من سر له استترا
والسر كاتمه تبدو مآثره نحو الذي يبتغي من سره الظفرا
ومدح خير الورى قد جد ينشئه حتى تردى بسر منه وائتزرا
وفي الصحابة أمداح له حسنت ولم يدع منهم زيدا ولا عمرا
ثم الصلاة على المختار سيدنا من شرف الله من أنواره مضرا([1])

وقال الشيخ حامد بن المختار بن حامد الديماني في تقريظ الكتاب نفسه مظهرا إعجابه به و شاكرا ناظمه على عمله الفريد:

أردت بصبر الصب مرآة الصفا إذ أودعت مدح النبي المصطفى
فخفيت ما أخفيت قدما من هوى لما بدت للعين مرآة الصفا
صينت عن الأكفاء حتى زارها ندب يبين من اللآلي المصطفى
وسقت من أمداح النبي محمد ما قد كفى وسقت عقارا قرقفا
أبدى الهمام بها فوائد جمة ما إن رأينا مثلهن مصنفا
لله ناظمها فكم أبدى بها من رائق لفظا ومعنى منصفا

([1]) الاكتفا شرح مرآة الصفا باب التقاريظ

جمعت على حسن الصناعة ما ونت عنه الدفاتر إذ أتتنا بالشفا
وبالانسجام إلهنا قد خصها بعد الفصاحة والبلاغة فاكتفا
وللاكتفاء كفاءة إذ رامها وكفالة بالفيد لما ألفا
صلى الإله على النبي وآله وصحابة ما زار إلف مألفا([1])

أما الشيخ محمد بن عبد الله بن ففا فقال في تقريظ **مرآة الصفا:**

حتم على فكر المجيد إذا صفا يوما زفاف بناته لمن اصطفى
وإذا اصطفى فمن الأحق بالاصطفا ما يقتضي تقريظ مرآة الصفا
نظم ونثر مخرجان ذخائرا من سيرة الهادي النبي المصطفى
فالنظم في سلك الجواهر نظمه والشرح من نثر الجمان تألفا
تلك الذخائر دونها متقاصر من كان في ذاك المجال قد ألفا
وإذا نظرت إلى المسمى واسمه ناسبت بينهما وكنت المنصفا
فكلاهما ولو التأخر شابه كنا نعوضه عياض من الشفا
صلى الإله على الرسول وآله أهل السماحة والشجاعة والوفا
ما غردت قمر بأيكتها وما خط الأنامل في الصحائف أحرفا([2])

([1]) المرجع السابق الصفحة
([2]) المرجع السابق الصفحة

التقديم عند الشيخ الخليفة

كان الشيخ محمد الخليفة نياس يقدم الأتباع بشروط أساسية منها: العلم والدين والسلوك. لاعلى أساس النسب أو الجاه أو كثرة الجماعة أو مكانة اجتماعية مرموقة فكان الشيخ غيورا على الطريقة ومبادئها.

ويتخلص جميع ما قلناه في أبياته التالية:

وقل لمجيز مطلق كل جاهل بأحكام ورد الشيخ أو بالشريعة
أتلقى ببيع في المذابل درة كجوهرة بيعت بأبخس قيمة
فما أطلق الشيخ التجاني ورده لشيء سوى الأفراد أهل الحقيقة
سوى ستة أخيار لاغير فاقتدوا بذاك الشيخ في الأوراد دون خديعة

ويدل هذا على أن الحاج محمد الخليفة نياس كان يتصف بالأمانة العلمية والتقوى والصدق في إجازته للأتباع.

فلا يوجد في مقدميه من قدمه لأنه:

1- رئيس دائرة في مدينة كذا، أو قرية كذا، أو لأنه يعمل في شركة كذا.

2- أو لأنه صاحب أراض وحقول في منطقة كذا.

3- ولم يقدم أحدا لأن زميله في العمل أو رفيقه في القرية مجاز من قبل شيخ آخر، ويخاف إن لم يجزه أن ينصرف عنه المريدون.

4- وليس بين مقدميه من قدمه لبراعته ولنشاطه في تنظيم الحفلات الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.

5- ولا بينهم من قدم لأنه رفيق قديم للمجيز أو لوالده أو لابنه، أو لأحد أصدقائه.

6- أو لأنه يتقلد منصبا هاما في وزارة أو مؤسسة حكومية أو خاصة.

7- أو لأنه يبعث إليه بالهدايا والعطايا من بلاد الغربة.

وهذا يدل على رفعة مكانة أولائك الذين أجازهم لأنه لا يفعل ذلك مجاملة أو من أجل مصلحة مادية كيفما كانت.

رجال حول الشيخ

إن من طلب المحال أن نحاول ذكر أولئك الذين كونهم الشيخ ورباهم وقدمهم أو الذين كانوا يقدمون إليه من كل فج عميق لينهلوا من فيضه النوراني ولكن ما لاتدرك كله لايترك جله.

وعلى هذا نورد فيما يلي أسماء بعض مقدمي الشيخ الحاج محم الخليفة نياس الذين كانوا أنورا وذوي فضل في المناطق التي كانوا فيها فكانوا بذلك كعبة طلاب العلم والنور والمعرفة وفي مقدمتهم :

1. الخليفة الحاج عبد الله نياس خليفته الأول، وإخزته الكرام. أمثال الحاج بابكر نياس، والحاج عمر نياي، والحاج إبراهيم نياس.
2. الحاج مود سيك في الدار البيضاء
3. تفسير عثمان ساخو في فاس جاخو في غامبيا
4. تفسير عثمان انجاي في كجي
5. تفسير الحاج عمر جمه انجاي في كجي
6. تفسير محمود بند في تيامين والو
7. تفسير موسى تيام في تيامين والو
8. سرج دار محمد آمنة في تيامين والو
9. الحاج باب جك جعين في دوكمان
10. الحاج علي تيام في تيامين تاتكين
11. سرج أحمد سن في كر أحمد سن
12. الحاج باب غاي في جختي
13. تفسير مود انجاي في سامَ انجايين
14. سرج مود سيك في كولخ
15. الحاج محمد زينب جو في كردر
16. الحاج عمر ساخو في فاس ساخو غامبيا

17. أحمد كمب جوب في جوبين شنج
18. محمود بر تيام في جوبين شنج
19. أحمد فاطم جوب في جو ألبك
20. أجرة بُر انداو في كفرين
21. الحاج محمد الأمين لوم في جايين بكن
22. الحاج مدن جوب في تيامين كجت
23. الحاج فافا انجاي في كر عالي جوب
24. الحاج علي ياسن سيسي في كر آل ياسن
25. الحاج عثمان كه في جيين جومباتُو
26. سرج محمد سيك في كولخ
27. الحاج مصمب صل في طوبى والو
28. الحاج باب حليمة في جوبين شنج
29. الحاج محمد مي في مدينة جوبين
30. الحاج بار جك في جغين والو
31. الحاج محمد فاط جوب في جوبين والو
32. الحاج أحمد طبر تيام في تيامين والو
33. تفسير أحمد جوف في طيب جوفين
34. الحاج عبد جان في طوبى جان
35. تفسير محمد امباي في طيب امبيين
36. سرج دار شيخ مود امباي في طيب امبيين
37. الحاج باب انداو في مدينة اندوين
38. الحاج محمد جانبي بن جما
39. الحاج عمر تايم في كفرين
40. تفسير بل سيك : مغ تفسير بل
41. الحاج سرج امباي في جما غاج
42. الحاج باب فاط انداو في كيه
43. الحاج مور خد صل في عافيه

44. تفسير عثمان نجاي في قرية كجي
45. الحاج باب توب في ساجُ
46. الحاج عمر غي في كراف
47. الحاج سرج جك في جغُ
48. الحاج بران جفت في جغُ
49. الحاج محمد مريم في تيامين تاتكين
50. الحاج بران جك في كرسيت غي
51. تفسير بل سيك مق تفسير فوت
52. تفسير مصطفى تيام في طيب فوت
53. تفسير محمد ألفا تيام في فوت
54. تفسير عبد الله كي في دكار
55. تفسير عبد كي في فوت
56. تفسير أحمد علمان تال في دا نجال
57. تفسير عبد الله امبو في جكل دلف
58. تفسير حماد زلك في فوت
59. تفسير مصطفى بيد في ماتم
60. تفسير مصطفى دب تيام في سيد فوت
61. تفسير إبر ألفا دوم في سيد فوت
62. الحاج كاتم جوب في كرلايين خرج
63. الحاج شيخ أحمد تيام في كر مسار به
64. الحاج مود جي سالوبه
65. الحاج حمد خد جوب في مصر والو
66. الحاج سه في دكار
67. المرشد أحمد عيان تيام في دكار
68. الحاج عبد الله كي في كسامانس
69. الحاج علي ساخو في فاس جاخو غامبيا
70. شيخ محمود بني في كر كمبا غامبيا

71. الشيخ عبد الله فام تيام في لور فوت
72. الحاج أحمد توب في شنج ساجو
73. سرج مام علي كونتي في جلقار
74. مام جبريل كونتي
75. مام صمب كونتي
76. تفسير عبد الله نجاي في قرية كجي

وكل واحد من هؤلاء العلماء يعتبر فخرا للدين وللطريقة التجانية وما زالت آثارهم باقية وعطاؤهم متواصلا.

توصيات البحث

بناء على ما توصل إليه هذا البحث من معلومات ذات أهمية بالغة في حياة ومناقب الشيخ الجليل الحاج محمد الخليفة نياس وحرصا مني على تخليد شخصيته العلمية أوصي بالآتي:

1. إنشاء مؤسسة تعاونية تحمل اسم الحاج محمد الخليفة نياس وتعنى بمساعدة الضعفاء وفتح فرص عمل أمام الجميع كل حسب كفاءاته.
2. إنشاء جامعة إسلامية تحمل اسمه الكريم.
3. عقد مؤتمر دولي لإبراز شخصيته كل خمس سنوات على الأقل.
4. فتح مواقع إنترنت للتعريف به وبمخلفاته.
5. طباعة جميع الكتب التي ألفها والاعتناء بها.
6. إدراج كتبه في مناهج التعليم الديني في المدارس والمعاهد في القطاع العام والخاص.
7. إقامة دور تعليم القرآن الكريم في الزوايا التي أنشأها.
8. تقوية العلاقات الخارجية التي أقامها مع مختلف الدول.
9. ترجمة مؤلفاته إلى لغات أخرى.

الختام

وسأختتم هذه المحاولة (**الحاج محمد الخليفة نياس صاحب البصمات الراسخة والكرامات الخالدة**) بختام مسكي، وهوختامه بهذه القصيدة الذهبية التالية داعيا الله مولانا تبارك وتعالى بمنه ومحض فضله أن يعطيني جميع ما سأله مولانا الخليفة الحاج محمد بهذه القصيدة، عسى الله أن ييسر بها العسير ويشفي بها المريض ويغني بها الفقير، إنه الولي على ذلك والقادر عليه.

لطف المهيمن يحميني ويحفظني ... من الأعادي ذوي الأضغان واللحن
ويبسط الخير لي فضلا بلا تعب ... مسخر الخلق لي في كل ما زمن
يبادرون جميعا ما أمرت به ... لدى الصدور بلا بطء ولا وهن
يحول بيني وبين كل ذي ضرر ... بما يفوت عن الأفكار من محن
يسير الحال بعد الضيق متسعا ... بما يكل عقول الخلق بالمنن
ولتسقنا من بحور الشيخ من مدد ... يرقي المريد إلى أعلى من القنن
ختم الولاية سر الكون مرشدنا ... إلى اتباع كتاب الله والسنن
يغري بترك سوى هذين تابعه ... لمن أتاه مريدا ملقي الرسن
فالختم قد حاز قصواه وذروته ... الفوز بالكتم والأسرار في قرن
فصار يمسك أمدادا ويرسلها ... نيابة عن شفيع الخلق في علن
عليه أزكى صلاة الله ما هيجت ... ورق الحمام على أغصان ذي سجن

أبناء الشيخ وصورهم

1- الشيخ الخليفة الحاج عبد الله نياس

أول خليفة لوالده وكان وارثه خلقا وخلقا ومكانا. كان مجاهدا في سبيل نصرة الإسلام حيث تنازل عن منزله فبني فيه مسجدا جامعا. وهو أكبر أحفاد الحاج عبد الله نياس سميه رضي الله عنهما.

ولد عام 1908م وتوفي عام 1991.

2- الشيخ الحاج بابكر نياس

الذي كان علما عليه نور منير ومضرب المثل في محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشيخ أحمد التجاني. وكان للدين وللطريقة محاميا ومدافعا وثاني خلفاء والده رضي الله عنه.

ولد عام 1914م وتوفي عام 1996 .

3الشيخ الحاج عمر نياس

من لا يرى له مثيل في الزهد عن زخارف الدنيا ورغد الحياة. أقبل إلى ربه وأدبر عن غيره بلا حسرة ولا تردد. وقد نال ذكاء والده البار.

ولد عام 1916م. وتوفي عام 2009.

4- الشيخ الحاج آمد نياس

الولي الكامل والشيخ الموهوب فريد عصره وفخر أسرته مأوى الفقراء واليتامى شجاع كرس حياته لنصرة الإسلام.

ولد عام 1925م وتوفي عام 1988.

5- الشيخ الحاج علي نياس

كان لربه عابدا وعن الدنيا زاهدا وكان تقيا نقيا ومخلصا لربه فقد طلق الدنيا وما فيها بلا رجعة.

ولد عام 1928م وتوفي عام 2000.

6 الشيخ الحاج إبراهيم نياس

وارث سر والده وأمين سره ورابع خلفائه في الإسلام ولأسرة نياسين. وبيده اكتمل بناء المسجد الجامع في لون بعد أن بدأه الحاج عمر نياس أخوه الكبير. ولد عام 1932م .

7- الشيخ الحاج أحمد تجان أمينة نياس

حبيب سميه وخديمه في السر والعلن. ويتسم بتميز المحبة وصفاء القلب وراحة الضمير. ولد عام 1940م.

8- الشيخ محمد العربي الدمراوي نياس

صاحب اللسان المطلق والحكم البالغة الذي جعل من نفسه همزة وصل بين البيوتات الدينية.

ولد عام 1945م.

9- الحاج أحمد خليفة نياس

صاحب اليد السخية والسياسي المحنك. وقد زار بيت الله مئات من الناس بمساعدته. حفظه الله ورعاه.

ولد عام 1946م.

10- الشيخ محمد الأمين نياس

صاحب مجموعة والفجر الإعلامية أكبر مؤسسة إعلامية حرة في السنغال. ويعتبر من أكبر شخصيات المجتمع المدني الذين ساهموا في صناعة الرأي العام ونشر الديموقراطية في البلاد.

ولد عام 1950م.

11- الشيخ بشير نياس

الذي كانت حياته بشارة وهو آخر أولاد والده وله شهادات علمية عليا في الانجليزية والفرنسية.

ولد عام 1955 م

ضريح الحاج عبد الله نياس رضي الله عنه تعالى وخليفته الحاج محمد الخليفة نياس وبعض إخوته وأبنائه رضي الله عنهم جميعا ونفعنا ببركاتهم.

تقاريظ العلماء على كتاب

(الحاج محمد الخليفة نياس صاحب البصمات الراسخة والكرامات الخالدة)

إن أول من قرظ هذا الكتاب النفيس من العلماء الأجلاء العالم العلامة البحر الفياض القاضي الشرعي في محكمة غامبيا الحاج علي ساخو أبقاه الله ذخرا وكنزا للأمة، حيث قال:

إني أقرظ تاليفا من الهادي مصدقا كل ما فيه من أقوال
في جده عالم النحرير قطب زما نه وقدوتهم في حسن أفعال
خليفة الحاج عبد الله والده من كان منفردا في المنصب العالي
أبقاه مولاه منصورا بجاههما خليفة لهما في كل أحوال
ثم الرضى عنهما ثم الصلاة على خير البرية والأصحاب والآل

تقريظ العالم النحرير ذي التوفيق والتحرير المعلم الكبير الأستاذ عمر سامب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد اطلعت على كتاب (***الحاج محمد الخليفة نياس صاحب البسمات الراسخة والكرامات الخالدة***) فألفيته بحثا قيما ومرجعا مهما ونيل المرام لمن أراد الإلمام بسيرة الفائق في مدح خير الأنام، ومرآة صافية تجسد صاحب الشخصية السامية، وقلائد المرجان في تعريف الشاعر المفلق المشار إليه بالبنان، الذي جر على سحبان ذيل النسيان في ساحة الفصاحة والبيان، وزاحم حسان في وصف سيد بني عدنان، ألا وهو الشيخ الحاج محمد الخليفة نياس الكولخي ذو المواهب الإلهية والعطايا الربانية. وفي هذا الكتاب، أظهر المؤلف كمال براعته وجمال عباراته بأساليبه الرائعة وتراكيبه البديعة، وفيه ما يدل أيضا على حسن بصيرته وسعة معرفته واطلاعه على منظومات ومنثورات الشيوخ الفضلاء والعلماء الأجلاء، مما جعل الكتاب يعتبر بلوغ السول ومفتاح الوصول إلى معرفة مناقب جد المؤلف الحميدة وآثاره البهية الكريمة الخالدة.

فالـــدر يـــزداد حســـنا وهـــو منـــتظم ولـــيس يـــنقص قـــدرا غيـــر منـــتظم

وصلى الله على نبينا وحبيبنا وسيدنا محمد وسلم.

تقريظ الأستاذ الكبير والداعية الشهيرالأستاذ حسن سيك.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في كتابه العزيز(ن. ***والقلم وما يسطرون***). ثم الصلاة والسلام على النبي الأمي الذي أنزل عليه كتاب هو مصدر إلهام للموفقين من الكتاب فيما يكتبون ويسطرون.

وبعد:

فإن الوارث الكامل من الأحفاد هو من يضرب بسهم وافر في كل تركة مؤثلة للأمجاد ومؤصلة إلى الأنجاد، خلفها المحاطون بعناية الله وتأييده من الأسلاف والأجداد. ثم يجتهد بالجديد وبالتلاد حتى يفوز بالمعنى الأسود في كل حلبة نحو المعالي، تعقد بين الأقران والأنداد. بيد أن سنة التناوب والتداول باستبدال الأدوار بين الأمم والشعوب والأسر العريقة في المآثر والأمجاد، تقتضي عدم وجود ذلك الوارث بالاستمرار والاطراد. لأجل ذلك فمن المعهود أن الطنطنة والدندنة بالمثل القائل: إنه شبل من ذلك الأسد. للاستئناس والاستشهاد أكثر حدوثا من تمثله التمثل الفعلي الجاد، وتجسيده التجسيد الحي على مستوى الأفراد.

ولعل مؤلف هذا الكتاب البكير، والذي هو بكل اهتمام جدير، المعنون(***الحاج محمد الخليفة نياس صاحب البسمات الراسخة والكرامات الخالدة***)، من القلة الذين ينسجون على منوال الوراث الكاملين.

ويفرى فريهم لكونه يجسد فعلا ذلك التجسيد الحي لمآثر سلسلة طويلة من الأجداد النابغين في العلم والتعليم والمشهورين في مجال نشر الحق وإصلاح الخلق.

ويمكن إرجاع هذه السلسلة الطويلة إلى العالم الجليل والمدرس الأصيل، الشيخ مصمب تيام في فوتا تور، الذي هو الجد السابع لهذا الحفيد البارع.

والذي يمكن أن يشكل أعلى جد مشتهر بالعلم والتعليم، يعرف لأية أسرة من الأسر الدينية المشهورة في السنغال.

ثم واصلت هذه السلسلة الذهبية مسيرتها عطاء وإسهاما وخيرات وبركات إلى أن وصلت شعلتها إلى الجد المباشر للمؤلف. وهذا الجد هو الشيخ الحاج محمد الخليفة الذي كتب عنه الحفيد الموفق هذا الكتاب الدقيق والعميق والموثق.

إننا عهدنا الاستماع إلى مواعظ الشيخ الشاب محمد الهادي نياس، مؤلف هذا الكتاب، وحيدا في طرازه وصادقا في أدائه ومؤثرا في أهل عصره حتى إنه ليذكرنا بقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله: إذا صلح قلب العبد للحق عز وجل وتمكن من قربه، أعطى المملكة والسلطنة وفي أقطار الأرض وسلم إليه نشر الدعوة في الخلق، والصبر على أذاهم، يسلم إليه تغير الباطل وإظهار الحق.

ولكن على الرغم من الأهمية العظمى لهذه المواعظ والمحاضرات، إلا أن البرهان الأكبر والرهان الأظفر يكمنان في هذه الباكورة المتمثلة في مأثرة الكتابة شعرا ونثرا عن الجد من الحفيد. إذ أن هذه المأثرة هي الشهادة العظمى للأجيال الحاضرة والقادمة. ألم يأت في المثل السائر: ما قيل فر وما كتب قر؟

وفي النهاية أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب مباركا يوضع له القبول وينتشر في كافة أقطار الأرض، وأن يكون خطوة أولى في سبيل مسيرة علمية طويلة ومديدة ومليئة بالتأليف والعطاء والإنتاج، وأن يكون المؤلف وارثا كاملا لأمجاد كل هذه السلسلة من الأسلاف والأجداد.

كتبه الأستاذ حسن سيك الكاتب والمترجم، النائب الأول للأمين العام لرابطة الأئمة والدعاة في السنغال.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.
2- صحيح البخاري.
3- صحيح مسلم.
4- معجم الأوسط للطبراني.
5- مسند الإمام أحمد.
6- ديوان خاتمة الدرر على عقود الجوهر للشيخ محمد الخليفة نياس وعليه شرح العلامة محمد بن المختار بن أحمد فال العلوي مطبعة دار التأليف .
7- ديوان الجيوش الطلع بالمرهفات القطع إلى ابن مايابى أخي التنطع. نظم وشرح الشيخ الخليفة محمد نياس .
8- كتاب تنبيه الناس على شقاوة ناقضي بيعة أبي العباس لمولانا الشيخ الحاج عبد الله نياس.
9- رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم لسيدي عمر الفوتي.
10- الإكتفا في شرح مرآة الصفا للعالم العلامة أحمد بن محمد مختار المعروف بدهاع بن محمد الحنفي الشنقيطي. الطبعة 2 شركة الأمل القاهرة.
11- ديوان الكبريت الاحمر في مدائح القطب الأكبر للخليفة الحاج محمد نياس الكولخي. وعليه شرح الشيخ محمد بن محمد المختار الشريف الحسني العلوي.
12- الإيناس في حياة وأعمال الشيخ الخليفة محمد نياس الطبعة 2009/1 دكار سنغال .
13- الأدب السنغالي العربي للدكتور عامر صامبالشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر الطبعة 2/ 1978 .
14- بحث لنيل شهادة ماستر 2 بعنوان المدح النبوي في شعر الخليفة الحاج محمد نياس لمحمد جماكاه .
15- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمي. شركة القدس للنشر والتوزيع القاهرة. 2009م

16- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب للسيد أحمد الهاشمي مكتبة الآداب القاهرة طبع سنة 1997م.
17- ورقات كتبها الشيخ الحاج إبراهيم نياس الكولخي عن والده الحاج عبد الله .
18- كتاب إرواء النديم في عذب حب الخديم. الشيخ محمد الأمين جوب.
19- الفيض الرباني فيما تدور عليه التربية عند الشيخ التجاني وأصحابه الكمل أهل الفضل والتهاني للشيخ إدريس بن محمد بن العابد العراقي.
20- كتاب الجواهر والدرر في سيرة الشيخ حاج عمر رضي الله عنه. تأليف الشيخ محمد منتقى أحمد تال. دار البراق للنشر والتوزيع بيروت.طبع سنة 2005م.
21- بحث بعنوان الفلسفة الأخلاقية في شعر الشيخ محمد الخليفة نياس رضي الله عنه للشيخ أحمد التجاني برهام سرين مبي نياس.

فهرس محتويات الكتاب

المقدمة ---------- 4
الحاج محمد الخليفة نياس ---------- 6
مولد الحاج عبد الله نياس---------- 11
لمحات عن أجداد الشيخ ---------- 24
الخليفة صاحب الموافقات ---------- 26
مراحل تعليمه---------- 30
البعد العلمي للحاج الخليفة نياس---------- 32
مؤلفاته---------- 33
خصائص شعر الخليفة الحاج محمد نياس---------- 53
الأعلام الذين تربوا في كنفه ---------- 62
نبذة عن رجال رأوا مراتبه في المنام ---------- 65
خلافته لوالده---------- 70
وفاته ---------- 72
ذريته الطيبة ---------- 73
بناته---------- 77
خلفاؤه من بعده رضي الله عنه---------- 79
وقفة تأمل في ولده البار سيد الأمين نياس ---------- 90
كرامات الشيخ الخليفة محمد---------- 94
الكرامة الأولى :الاستقامة في زمن الإعوجاج---------- 97
الكرامة الثانية: الزهد في زمن المغريات---------- 97
الكرامة الثالثة. فناؤه في الله وفي محبة الرسول والشيخ التجاني---------- 98
الكرامة الرابعة: إحياء السنة والحياة بها ---------- 102

كرامته في مدينة فاس ---------- 103
من كراماته: تمييز المدخنين بين الناس ---------- 104
ومن كراماته: المستعمرون يعتقون مواطنا في طيبة ببين ---------- 105
بدعائه أصبح الفقير غنيا ---------- 106
الطيور تخرج من فوتا---------- 106
بقصيدته يفرج عن المسجون ---------- 106
الرضيع يظهر حبه للنبي ---------- 107
الخليفة يصعد الجبل ويدعو---------- 107
رحلات الحاج محمد الخليفة نياس خارج وداخل البلاد ---------- 107
رحلاته خارج البلاد ---------- 107
سفره الأول إلى فاس ثم إلى الحج ---------- 108
سفره الثاني إلى فاس ---------- 114
رحلاته داخل البلاد ---------- 117
علاقات الحاج محمد الخليفة نياس بعلماء عصره ---------- 121
الخليفة الحاج محمد في عيون المشايخ ---------- 140
تقاريظ العلماء عن الحاج محمد الخليفة نياس ---------- 145
التقديم عند الشيخ الخليفة ---------- 165
رجال حول الشيخ ---------- 167
تقاريظ العلماء على كتاب ---------- 186
المصادر والمراجع---------- 190
فهرس محتويات الكتاب---------- 192

الحاج محمد خليفة نياس

صاحب البصمات الراسخة والكرامات الخالدة

تأليف:
محمد الهادي نياس
الواعظ في قناة
والفجر

المؤلف في سطور

هو الشيخ الداعية والمربي الشهير الأستاذ محمد الهادي نياس بن الحاج أحمد نياس بن الشيخ محمد الخليفة نياس الكولخي. نشأ في بيت علم وعبادة وتقوى، وتعلم عل يد كبار العلماء في السنغال وخارجها، وبرع في العلوم الشرعية واللغوية. وهو شاعر له عدة قصائد توكد تمكنه وطول باعه في العلوم الشرعية والأدبية. ويعد من أبرز الناشطين في المجال الدعوي. كما يعتبر نموذجا مثاليا لمواصفات الشباب الإسلامي. وهو في الوقت ذاته محاضر وخطيب مشهور ومشهود له بالفصاحة وفصل العبارة وسلاسة الأسلوب. وقد تناول في هذا التأليف جانبا من حياة البحر الرحب الحبر الشيخ الخليفة محمد نياس ليكون مرجعا لكل من أراد الوقوف على سيرة الشيخ وإنجازاته العلمية والتربوية وأسرته الكريمة ومقدميه وغير ذلك مما احتوى عليه هذا التأليف القيم والفريد.